الأصمعيات

ديوان الأصمعي

تقديم وشرح وتحقيق

الدكتور [illegible]

دار
الكتاب العربي

الأصمعيات

تقديم وشرح وتعليق
الدكتور محمد حمود

دار الفكر اللبناني
بيروت

دار الفكر اللبناني
للطباعة والنشر والتوزيع
كورنيش بشارة الخوري - بناية تمارا
ص. ب: ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠
تلفون: ٦٤٤٤١٦ - ٦٣١٠٠٢ - ٦٣١٧٦٠
فاكس: ٦٣٠٧٥٧ - بيروت، لبنان

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٩٨

مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف: ٨٣٧٦٢٧ - ٨٣٧٥٤٩ - ٤٦٠٧٤٣

مقدمـــة

شرع الرواة في العصر الأموي يجمعون أشعار العرب وأقوالهم وأخبارهم. وما إن أطل العصر العباسي حتى بدأت تظهر المجموعات الأدبية، وتطور النقد بعض التطور، فأصبح أهل العلم ينظرون في صحيح الشعر ومنحوله، ويجعلون للشعراء طبقات متمايزة، ويدركون عليهم سرقاتهم، ومخالفاتهم للقواعد النحوية، وسقطاتهم في الألفاظ والمعاني.

وسرعان ما انكب اللغويون في البصرة والكوفة على جمع ما بقي من الأشعار القديمة لمن بعدهم من الأجيال طوراً في دواوين لأفراد الشعراء، وطوراً في مجموعات شعرية لقبائل أو طبقات اجتماعية، وأخيراً في مختارات ومنتخبات.

وهكذا ظهرت «المعلقات» التي رواها حماد و «المفضليات» التي تنسب إلى جامعها المفضل الضبي راوي الكوفة الثقة، و «الأصمعيات» التي «أُخلت بها المفضليات» وهو نص ما كتبه العلامة الشنقيطي ـ رحمه الله ـ عنواناً للأصمعيات بخطه.

وقد أوتيت هاتان المجموعتان شهرة مميزة لأنهما توحيان بالثقة، ولكنهما تداخلتا مع الأيام حتى ذكر بعض العلماء قصائد من المفضليات على أنها من الأصمعيات.

ومهما يكن من أمر، يسعدني أن أقدم للقارىء العربي هذه «الأصمعيات» وقد جهدت في شرحها شرحاً ميسراً، كما حرصت على التعريف بأصحاب القصائد والمقطوعات ما وجدت إلى ذلك سبيلاً أو كان ذلك ممكناً.

والله من وراء القصد

بيروت ٢١ / ٥ / ١٩٩٧ **محمد حمود**

الأصمعي[1]
(١٢٢ ـ ٢١٦؟ هـ / ٧٣٩ ـ ٨٣١ م)

نسبه:

هو: أبو سعيد، عبد الملك بن قُرَيْب المعروف بالأصمعي الباهلي.

نشأته:

ولد عبد الملك في بيت متواضع سنة ١٢٢ هـ، ولمّا بلغ السادسة من عمره، التحق بأحد الكتاتيب، وتعلَّمَ الكتابةَ وقراءة القرآن وحفظه. فبزَّ أقرانه، ولمع نجمه في حي بني أصمع من البصرة، وكان ينشد الرجز الخفيف بعبارة حلوة ولسان طليق، وقد تأثر الأصمعي بوالده قُرَيْب وأخذ عنه الرِّواية والقصَّة، وكانت أمه تمتحن ذكاءه فتستمع إليه وهو يعيد حكايات أبيه وما ترويه له أمه.

فكان متوقد الذِّهن، محباً للشعر، واللهو البريء، فكان يتصارع مع أطفال الحيّ في أوقات فراغه، وتلك طبيعة البادية المران على الفروسية تقليداً للكبار في ساحات الوغى.

ولما بلغ الأصمعي سنَّ الرابعة عشرة ربيعاً قدَّمه والده إلى أحد شيوخ مسجد البصرة أبي عمرو بن العلاء علاّمة عصره في اللغة، والأدب ثم عَرَفَ أبا محرز[2]

(١) نسبة إلى جدِّه (الأصمع: القلب المتيقظ، والأصمعان: هو الرأي الحازم).
(٢) خلف الأحمر.

وافتتن به وكان لا يفارق حلقته في المسجد الجامع، وكان الأصمعي يرتاد سوق المربد الثقافي وهو مفتنٌّ بما يجري فيه من مساجلات ومناظراتٍ ثم يعود إلى أستاذه أبي محرز ليقف على رأيه في ما سمع.

ومن النحاة الذين عاصرهم: الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي أرسى قواعد القياس المنطقي وطبّقه على لغة البدو، مخطِّئاً كل ما يخالف قياسه اللغوي، فأخذ عنه اللغة، والعروض، وسمع علماء البصرة الآخرين، كشعبة بن الحجاج، وحمَّاد عجرد وحَمَّاد الزِّبْرَقان.

فتربّى هذا الفتى متأثراً بأحداث عصره، فشهد نهوض الدولة العباسيَّة وسقوط الدّولة الأموية، وما تبـع ذلك من ويلات وحروب، فكان عَمُّه سَلَم بن قُتيبة والياً على البصرة من قبل الأمويين، وكان يشجعه على تحصيل العلم،، ليصبح كابن المقفع ورؤبة بن العجاج شهرة ومكانة أدبية واجتماعية، وقد حدَث ما لم يكن متوقعاً. لقد انقسم البصريون، فانضمت ربيعة إلى الأزديين وقاتلوا أمير البصرة سلم بن قتيبة الباهلي الأموي وانتصروا عليه. فصدم الأصمعي برحيل عمِّه عن ولاية البصرة، ليحل محله والٍ جديد هو سليمان بن علي عَمُّ الحنفية أبي العباس السفَّاح، فكره الأصمعي الحرب ومآسيها. وقد ساءه كثيراً انتقال الحكم من أيدٍ عربيَّةٍ إلى أيدٍ أعجمية، فهو يرى الحكم الصالح بقيادة عربية مسلمة. فانتعشت الشعوبية في بيئة خصبة معادية للعروبة والإسلام. ومن الرموز الشعوبيين الذين عاصرهم: أبو عبيدة (معمَّر بن المثنى) صاحب «أخبار الفرس» و «فضائل الفرس». وابن المقفع صاحب «كليلة ودمنة» و «رسالة الصحابة» و «الأدب الكبير والأدب الصغير» والمتهم بالزندقة. وعاصر الأصمعي بشار بن برد الساعي إلى بعث العقيدة المجوسية الملحدة فيقول:

الأرضُ مظلمـــةٌ والنـــارُ مشـــرقـــةٌ   والنـــار معبـــودةٌ مـــذ كـــانـــت النـــارُ

في مثل هذا الجو الصاخب عاش الأصمعي ليواجه أعداء العروبة، والإسلام بالغاً أعلى المراتب الاجتماعية، شاهداً على أحداث عصره، جامعاً كل جميل من أشعار العرب، وحكمهم ونوادرهم، وقد توفاه الله سنة ٢١٦ هـ تاركاً تراثاً ضخماً.

مؤلفاته:

منها: «خلق الإنسان»، «الأجناس»، «أنواء»، «الهمز»، «المقصور والممدود»، «الفرق»، «الصفات»، «الأبواب»، «الميسر والقداح»، «خلق الفرس»، «الخيل»، «الإبل»، «الشاء»، «الوحوش»، «فَعَل وأفعل»، «الأمثال»، «الأضداد»، «الألفاظ»، «السلاح»، «اللغات»، «حياة العرب»، «النوادر»، «أصول الكلام»، «القلب والإبدال»، «جزيرة العرب»، «كتاب الاشتقاق»، «معنى الشعر»، «المصادر»، «الأراجيز»، «النخلة»، «النبات»، «ما اتفق لفظه واختلف معناه»، «غريب الحديث»، «نوادر الإعراب» و «الأخبية»[1].

ثقافته:

نستنتج من خلال استعراضنا لمؤلفات الأصمعي، أنه واسع الإطلاع، تشمل ثقافته شتى الميادين الإنسانية والأدبية واللغوية والتاريخية، وقد روى عنه المؤرخون والأدباء والرواة، فكان صاحب لغة ونحو وإماماً في الأخبار والنوادر والملح والغرائب، سمع من الأعراب كثيراً، وخالطهم طويلاً، فاكتسب لغتهم الفصيحة ووعى أدبهم ونوادرهم، وقد رُوي عنه الكثير من شعر قبائل العرب وقصصهم الاجتماعي وصراعاتهم القبلية. ونسب إليه حفظه لإثني عشر ألف أرجوزة، وحفظ الكثير من قصائد ونوادر العرب، فأصبح شيخاً، يعلِّم في المسجد، ويحاضر في موضوعات مختلفة. فأغنى الأصمعي تراثنا العربي بما ألَّف من كتب تعتبر مصادر هامَّة في بابها.

---

(١) ابن خلكان، شمس الدين أحمد: وَفَيات الأعيان. تحق. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢، ج ٦، ص ٤٦٠.

فبسم القدر للأصمعي وأصبح من وُغَاظ الرشيد يشاركه هموم الخلافة، ويوحي له بالتشدّد بحق الشعوبيَّة والتيقظ لما يحاك في الخفاء من مؤامرات لاسترجاع أمجاد أجدادهم، فكانت مواقفه القومية العربية نابعةً من فهمه الأصيل لواقع الأمَّة وتاريخها المجيد.

فكان الأصمعي يقرأ لكتَّاب عصره، متمثلاً حكمتهم، متذوقاً أدبهم، ناقداً تهتكهم، مشككاً بآرائهم المتعرِّضة للدّين، مُتَّهِماً البعض منهم بالتدليس، أمثال حماد الرواية، ورؤبة بن العجاج وخلف الأحمر، فهم يتعرّضون للدّين ويدلِّسون في رواياتهم وأخبارهم. ثم يزكي البعض منهم، كعيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، فهم ثقة مؤمنون بالعربية.

واعتبر الشر والإلحاد في مجلس عمرو بن عبيد لأنه ضم الصابئين، فهم وراء كل فتنة أو تهتك أو تعريض بالدين ومثال ذلك ما شهدته مجالس بشَّار بن بُرد المجاهر بإلحاده.

ولم يسلم الفقهاء من نقده، فكانوا في خدمة السلطان يضربون بسيفه ويتنعمون بأعطياته، متناسين التكليف الشرعي، وهو الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، فجمعوا الأموال ولم يتصدَّقوا ولو بالكلمة الصالحة متجاهلين بأن الكلمة الصالحة صدقةٌ.

وحاربَ الأصمعي البدع الدينية، والإلحادَ، وشهد نكبة الراوندية، على يدي أبي جعفر المنصور، فهم القائلون بالتناسخ الروحي، وبأن المنصور ربهم، وهذا كفرٌ وجبت محاربته، ودعا الأصمعي الأعاجم إلى اتقان اللغة العربية، ليفهموا حقيقة القرآن والحديث النبوي الشريف، ويُطِّهروا أنفسهم من الشك في الدين. وحَمَّل الرُّواة وأصحاب الحديث مسؤوليَّة تاريخية كبرى، لأنهم يخدمون العقيدة الإسلاميَّة، والتراث العربي الإسلامي، بالتزامهم الأمانة، في ما يروون، ويشكّلون خطراً كبيراً،

على العقيدة، والتراث، إذا أساؤوا الأمانة، وجنحوا بعواطفهم، باتجاه تضيع معه الحقيقة.

هذا هو الأصمعي، المؤمن بعروبته، وإسلامه، أعجوبة من أعاجيب القدر، اتصل بالرشيد، فأحبَّه، وأنعم عليه، وانتقد المأمون فأوقع به، لأن المأمون معتزلي يقول بخلق القرآن، وهو لا يرى ذلك كأهل السنَّة في زمانه.

مصادر المعرفة عند الأصمعي:

وتتمثل مصادر المعرفة، عند الأصمعي كالتالي: فللعلوم الدينية: القرآن والسنّة، وللعلوم اللغوية: ما تلقنه من والديه ومن شيوخه وما سمعه من الأعراب، وللعلوم الأدبيّة: رواية الشعر والنوادر.

وتتمثل مرحلة النضوج الأدبي واللغوي عند الأصمعي في قرار الرحيل إلى البادية ليكتب عنها اللغة والأدب. لأنه يريد أن ينهل من الجدول العربي الصافي قبل أن تكدِّره الحضارة، ثم ليبشر بعذوبة هذا المنهل وصفائه، فيمّم وجهه شطر الحجاز حاطاً رحاله في دومة الجندل، ثم التقى واحداً من الأعراب، من بني مُرَّة، فاستمع إليه مندهشاً، بما يسمع. ثم التقى ابن عُيَيْنة المحدِّث الشاب المشهور، فحفظ عنه أحاديث الرسول ودوّنها. ثم طاف على القبائل، في نجوعهم، مستمعاً إلى نوادرهم، مسجلاً بحافظته وكتبه كلّ جميل من النوادر والأخبار. ثم تلقى الأصمعي دعوةً من شيخٍ هذلي، فوجد ضالته عند هذا الشيخ، فسجَّل الكثير من أشعار أبي قُلابة، واندهش الأصمعي، بما يسمع من أشعار، وأخبارٍ، وانطرب بلذة الإنشاد، وروعة الأداء وسلامة اللغة، وأحسّ لأول مرَّة، بالديباجة العربية، التي أفسدَها الموالي بلكنتهم، وعزم أن يفرد كتاباً، لهذيل يجمع فيه كل شعرها. كما أنه أُعجب بشعب الجزيرة، ونَباتها وشجرها ومائها فألّف كتاباً، اسمه «جزيرة العرب» كما ألّف كتاباً آخر هو «نوادر الأعراب في اللغة».

تلاميذ الأصمعي:

عاد الأصمعي إلى البصرة محمّلاً بذخيرة ثرّةٍ من الأشعار والنوادر، فاطمأن أستاذه أبو عمرو بن العلاء، إلى قدرة الأصمعي على تكوين حلقة جديدة في الجامع البصري، شعوراً منه بأن الأصمعي لا يقلّ كفاية، عن معمَّر بن المثنّى، الذي تولّى إجازته في المسجد. وقد تميز الأصمعي عن رواة عصره بتحقيق ما يستقيه، من شعر الجاهليين وكان قد سبقه إلى جمعه أبو عبيدة، والمفضّل الضَّبِّي، وحمَّاد الراوية، وابن الأعرابي، فكان حمَّاد الراوية يتوسع في رواية الشعر كعادة أهل الكوفة، وأما ابن الأعرابي فكان أكثر تساهلاً من حمَّاد. لذا قرَّر الأصمعي أن يؤلف كتاباً ينخّل فيه كل ما جمع من أشعار الجاهليين وأن يتحرّى شعر امرىء القيس وينقيه، من كل نحلٍ أو وضع.

وتميز الأصمعي أيضاً بذكائه وبداهته وعذوبة إنشاده، فكان يأسُر القلوب بحسن بيانه، وجمال استهلال محاضراته، بحمد الله تعالى، والصلاة، والسلام، على نبيِّه العربي الأمي المجاهد.

فروى عنه عبد الرحمن ابن أخيه عبدالله، وأبو عبيد القاسم بن سلاَّم، وأبو حاتم السَّجستاني وأبو الفضل الرِّياشي، وأبو عثمان، بكر بن محمد بن عثمان المازني البصري النحوي وغيرهم. فذاع صيت الأصمعي كراوية ثقةٍ للشعر، والأدب، واللغة. فقد اتهم الشعوبيين، في رواية الشعر المنحول، للتكسب، فكادوا له، وتربَّصوا به، وكانت له مناظرات حادة معهم، فهو يمثل البقية الباقية المدافعة، عن العروبة والإسلام، وهم يمثلون الفئة المتضرِّرة، من العروبة والإسلام، ويدعون إلى إحياء تراثهم القومي وإلى ممارسة شعائر أديانهم الملحدة، فوقف أبو حاتم السَّجستاني إلى جانب الأصمعي في مواجهته للشعوبية فكلاهما طاقة باللغة والأخبار والشعر فضلاً عمَّا يتقناه من العروض، وكلاهما يعاني من كيد الحمراء.

ومما يؤكد على مكانة الأصمعي الأدبية، والاجتماعية، انضمام أبو زيد الأنصاري، الذي كان يحضر حلقة أبي عمرو بن العلاء، إلى حلقته وكان الأصمعي يكره فيه رأي المعتزلة، ولا يطمئن إلى صداقته، لأبي عبيدة معمَّر بن المثنَّى الشعوبي. فعلى هذه القاعدة كان يكره أحد الصبيان الجدد الذين انضموا إلى حلقته، وهو عمرو بن بحر والملقّب بالجاحظ. وقد انضم إلى حلقته أيضاً، التوَّزي، والجمحي، والترمذي، والجرمي.

شخصية الأصمعي:

شخصيته مخضرمة بين العصرين الأموي والعباسي، فشهد اضطراب الحياة السياسية في العصر الأموي وما رافقها من انقلابات وفتن أطاحت بالأمويين. قال السيوطي: «كان في هذا العصر ثلاثة هم أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب، لم يُرَ قبلهم، ولا بعدهم مثلهم، عنهم أُخِذ جلُّ ما في أيدي الناس، من هذا العلم بل كله، وهم: أبو زيد الأنصاري، وأبو عبيدة، والأصمعي»[(١)].

يتميز الأصمعي بحافظته الجيّدة، فيُروى عنه أنه يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة، عدا دواوين العرب، كان جيد الإلقاء، واسع الثقافة، سريع البديهة، ظريفاً، كَثُر طلابُه، وذاع صيته، غزُرت مؤلفاته، حتى أصبحت حديث الناس، في بلاد الرافدين، وامتلأت كتب الأدب بما روى من قصص جميل عن العرب، والأعراب، في حياتهم الاجتماعية.

فعلم والي البصرة عيسى بن سلمان بن علي بنجاح حلقة الأصمعي، في المسجد الجامع، فأراد أن يُزيِّن دار الإمارة بمحدِّث لبق، وراوٍ بارع، فأفصح عن رغبته، للأصمعي، وربط له راتباً، يضمن به ولاءه، وشخصه، ووعده أنه سوف يرسل به إلى

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: المُزهر. تحق: جاد المولى ورفاقه، القاهرة، ١٩٥٨، ج ٢، ص ٢٠٢.

بغداد. وكان له ما أراد يوم تلقى رسالة من الفضل بن الربيع، يدعوه فيها إلى بغداد، فأعجب به الحضريون، فتقرَّب من قصر الخلافة ليصبح نديم هارون الرشيد، بما يروي عن الأعراب من لغة وأدب، فتحسَّنت حالته المادية والمعنوية. فكثُر حُسَّادُه، ونسبوه إلى الخلاعة، وانتحال الشعر، فكان من أعدائه، أبو عبيدة، وابن الأعرابي، وثعلب، فأُجبر الأصمعي، على مواجهة الشعوبيين المفسدين للتاريخ العربي المخططين لهزيمة العرب ولغلبة شعوبهم، وظَفَرهـم بالحكم وعلى رأس هؤلاء ابن المقفع، وبشار بن برد، ومعمَر بن المثنّى.

فإن عُرِف الأصمعي بتعصّبه للعرب، فذلك ردٌّ على الشعوبية الحاقدة على العرب، والساخرة من قيمهم، ومن دينهم.

وإن تشدَّد الأصمعي في ما يُروى عن العرب، فلأن المدلّسين من الشعوبية قد أفسدوا التراث العربي، وشوَّهوا حقائقه.

وإن ترفَّع الأصمعي عن رواية شعر الهجاء، فلأنَّ في الهجاء حَطّاً من كرامة المهجو، وشرف قبيلته، وقدسيّة دينه.

أما امْتناعه عن تفسير القرآن بالرأي، فلأنه يعتقد بقول الله تعالى: ﴿**لا يعرف تأويله إلا الله والراسخون في العلم**﴾ وهؤلاء الذين في ألسنتهم لكنة ليسوا منهم.

كان الأصمعي نحيل الجسم، والذي زاد في نحوله حبُّه لـ «لباب» جارية ابن عمه سعيد بن سُليم بن قتيبة الباهلي ولم يتمكن من البوح لها بحبه، وطال الزّمن بينهما، لأن الأصمعي شُغِل بسفره إلى البادية، ليجمع أشعار العرب ونوادرهم، ما يقدر عليه، ثم عودتُه مريضاً إلى البصرة، واتخاذه حلقةً، في مسجد البصرة، ثم تعرُّضه لمؤامرة اتهم فيها بالتحريض على إهانة أحد الأعراب، وكادت تودي بحياته، فسجن في البصرة، ثم نقل إلى بغداد، لمحاكمته أمام الخليفة الجديد محمد المهدي، فكانت

محاكمته سياسية، لأنه كان أموي النزعة، فعفا الخليفة عنه، وعاد الأصمعي إلى البصرة، ومسجدها، ليُفاجأ بأنّ ابن الأعرابي، قد بنى بلباب، جارية الأمير سعيد.

فعاش الأصمعي في البصرة، بين واشٍ وحاسد، فلقد اتهم بالدّس، لبشار بن برد عند الهادي، وعند وزيره يعقوب، فقد تناقل أهل البصرة أنه أشاع شعراً على لسانِ أبي معاذ يقول فيه:

بنـي أميَّـة هُبّـوا طَـالَ نـومُكـم إن الخليفـةَ يعقــوبُ بــن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفــة الله بيــن الــزِّقّ والعــود

فأخذ المهدي بشّاراً أخذ الملحدين، ووكل به عبد الجبار صاحب الزنادقة، فحمله إلى البطائح، وضربه حتى قضى عليه.

فاستنكر الأصمعي، ما نسب إليه، من أمر الوشاية، وأعلن أسفه لموت شاعر كبير، وبعد ذلك، توفي المهدي وتولى الهادي ثم قضى فجأة، وخلفه أخوه هارون الرشيد.

في مثل هذا الجو المشحون بالمؤامرات، لم يستطع الأصمعي، الاستمرار في الحواضر فعاد إلى ضيعته بئر الحفير، ليعيش وحيداً، لأن والداه قد توفيا، وكذلك توفيت زوجته، تاركة له خمسة أولاد، مات منهم ولدان في سنة واحدة، وعاشت له ثلاث بنات اشترى لهن جارية تقوم على خدْمتهن، وأحسَّ بالوحدة والتشاؤم لأن الدنيا أدبرت عنه، وزاد تكالب الحمراء عليه في مسجد البصرة.

عُرِف الأصمعي بحبّه لذاته، وبطول أناته، ومرحه، فقد أهداه الفضل بن يحيى البَرْمكي جارية فاستقبحت منظره وأنشأت تبكي ثم تقول:

«يا سيدي أي ذنب جنيت حتى تدفعني إلى هذا».

ففجع الأصمعي بما يسمع، واعتبر ما حدث من تدبير الفضل لإهانته، فأشاح بوجهه عن الفضل غاضباً، فاسترضاه الفضل عوضاً منها بألف دينار وقال له:

«يا أصمعي، إني أنكرت من هذه الجارية أمراً فأردت عقوبتها، بك، ثم رحمتها، منك!». وضحك الفضل وشاركه الأصمعي الضحك، مرتفعاً إلى مستوى مرحه ثم قال: «فهلا أعلمتني بذلك قبل مجيئي إليك؟ إني لم آتك حتى سَرّحْتُ لحيتي وأصلحْتُ عمتي... فوالله لو رأتني كذلك لما عادوت شيئاً تنكره منها طوال حياتها!»[1].

عاد الأصمعي من بغداد غانماً، وأصبح من ذوي اليسار، وتحوَّل إلى تاجر في الأثمار والإبل. وقد اتهم بتضييق العيش على نفسه، فكان يركب حماراً هزيلاً فقيل له:

«بعد براذين الخلافة تركب هذا؟».

فقال متمثلاً:

ولما أبت طِراقاً[2] بوِرْدها ... وتكديرها الشَّرب الذي كان صافيا
شربنا برَنْقٍ[3] من هواها مُكدَّر ... وليس يعافُ الرَّنق من كان صاديا

لم يتنكر الأصمعي لعادات قومه، فهو يعلم أن والده يرعى الإبل ويركب الحمير، فهذا من مقتضيات البيئة ولوازم العيش فيها؛ بالإضافة إلى بسيط العيش الذي بدأت نفس الأصمعي ترنو إليه، وخاصة بعد تجربته الصاخبة في قصر بغداد، الذي تغشَّت فيه عادات البذخ، والترف الفارسية، فكان العرب يضاهون أصحاب الترف

(١) زكي، أحمد كمال: الأصمعي. المؤسسة المصرية العامة، ص ٢٣٧.
(٢) طِراقاً بوِرْدها: الطرق بمورد الماء: تعكيره.
(٣) الماء الكدر: أي تراب في الماء من القذى ونحوه.
(٤) زكي، أحمد كمال: الأصمعي. المؤسسة المصرية العامة، ص ٢٨٨.

والنعمة، والأصمعي لا يحبّذ ذلك تواضعاً.

منـزلتــه:

للأصمعي منزلة جليلة في اللغة والرواية والأدب حتى أصبح اسمه بعد موته صفة تدل على سعة الإطلاع، فيقال هذا رجل أصمعي. وتعود هذه الشهرة في كثرتها على ما أسند إليه من أقاصيص وسير تداولها الناس كقصة عنترة وغيرها، فشهر عند العامة فضلاً عن الخاصة.

وكانت تآليفه في اللغة مستنداً وثيقاً للمعاجم الكبرى. وامتاز الأصمعي في فصاحته وبيانه، وحسن إنشاده الشعر حتى ليضيع عنده الرديء والجيد. وقد فاضل أبو نواس بينه وبين أبي عبيدة فقال: «إن أبا عبيدة لو أمكنوه لقرأ عليهم أخبار الأولين والآخرين، وأما الأصمعي فبلبل يطربهم بنغماته».

واشتهر بقوة الذاكرة، قيل إنه كان يحفظ اثني عشر ألف أرجوزة، منها ما يبلغ مائة بيت أو مائتين. ومما يروى عن قوة ذاكرته خبر انتصاره على أبي عبيدة في حضرة الفضل بن الربيع حينما وقف يسمي أعضاء الفرس عضواً عضواً وينشد ما قالت الشعراء فيها. ولم يستطع ذلك أبو عبيدة على سعة تآليفه في الخيل.

وعرف الأصمعي بمهارته في نقد الشعر، أخذ ذلك عن أستاذه خلف الأحمر. وله في الشعر والشعراء آراء يُعوَّل عليها.

الأصمعيــات:

تعتبر الأصمعيات (نسبة إلى الأصمعي) واحدة من أبرز مصادر الشعر الجاهلي، وهي من كتب المنتخبات العامة. نشرت للمرة الأولى عام ١٩٠٢ نشرها ألوارد (Ahlwardt) عن نسخة سقيمة في برلين. ثم أعاد نشرها عبد السلام هارون وأحمد شاكر عام ١٩٥٥ عن نسخة للشنقيطي نقلها عن أصل قديم، وهي نشرة علمية

جيدة. يبلغ عدد قصائد الأصمعيات ومقطوعاتها اثنتين وتسعين قصيدة ومقطوعة، موزعة على واحد وسبعين شاعراً، منهم نحو أربعين جاهلياً، عى رأسهم امرؤ القيس والحارث بن عباد ودريد بن الصمة، وأبو داود الأيادي، وذو الإصبع العدواني وسلامة بن جندل وطرفة وعروة بن الورد وقيس بن الخطيم، وبينهم يهوديان هما سعية بن الغريض والسموأل. وهذه المجموعة كالمفضليات في الثقة بها وعلو درجتها، وقد جاء فيها أيضاً كثير من الكلمات المهجورة التي لم تثبتها المعاجم. غير أنها ـ على شهرتها وشهرة صاحبها ـ لم تلعب الدور الذي لعبته المفضليات، فلم يتعلق بها الشراح، ولعل ذلك يرجع إلى قلة غريبها بالقياس إلى المفضليات، وأيضاً فإن الأصمعي لم يرو كثيراً من القصائد كاملة بل اكتفى بمختارات منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وهذه بقية الأصمعيات التي أُخِلَّت بها المفضليات

ـ ١ ـ

قال سُحَيْمُ بن وَثِيلٍ الرِّياحيّ أَحَدُ بني حِمْيَرِيٍّ[(١)]:

أنـا ابـنُ جَـلاَ وطـلاَّعُ الثَّنَـايـا   متَـى أَضَـعِ العِمـامـةَ تَعْـرِفُـونـي[(٢)]

(١) هو سحيم بن وثيل بن عمرو الرياحي اليربوعي الحنظلي التميمي: شاعر مخضرم. عاش في الجاهلية ٤٠ سنة وفي الإسلام ٦٠ سنة. كان شريفاً في قومه وهو صاحب القصة المشهورة في المعاقرة، وذلك أن أهل الكوفة أصابتهم مجاعة فخرج أكثر الناس إلى البوادي، فعقر غالب بن صعصعة، والد الفرزدق، لأهله ناقة صنع منها طعاماً، وأهدى منه إلى ناس من تميم، فأهدى إلى سحيم جفنة، فكفأها وضرب الذي أتى بها، ونحر لأهله ناقة. ثم تفاخرا في النحر حتى نحر غالب مائة ناقة، ولم تكن إبل سحيم حاضرة، فلما جاءت نحر ثلاثمائة ناقة. وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب، فمنع الناس من أكلها وقال: «إنها مما أهل لغير الله به» وقد صدق. فجمعت لحومها على كناسة الكوفة، فأكلتها الكلاب والعقبان والرخم. و «سحيم» تصغير «أسحم» وهو الأسود. و «وثيل» بفتح الواو، من الوثالة وهي الرجاحة. توفي نحو ٦٠ هـ/ ٦٨٠ م.

مضمون الأبيات: كان سحيم شيخاً كبيراً، والأخوص والأبيرد شابين يافعين، فتحدياه في الشعر، فأحفظه ذلك وقال هذه الأبيات، مفتخراً بأبيه وعشيرته، وبشجاعته. ولم ينسى أن يهزأ بهما وبسنهما، ويعتز بالحنكة التي أفادها في سن الخمسين.

(٢) ابن جلا: ابن الواضح المكشوف. الثنايا: جمع ثنية وهي الطريق في الجبل. والمعنى أنه جلد مغالب للصعوبات. متى أضع العمامة: متى أسفر عن وجهي.

قال الأصمعي: حدثنا رجل من بني رِياحٍ قال: جاءَ رجل إلى الأخوصِ[١] والأُبَيْرِد[٢]، وهما من ولد عَتَّاب بن هَرْميٍّ[٣]، يطلبُ هِناءً[٤]، فقالاَ: إن بَلَّغت عنَّا سُحَيْمَ بنَ وَثِيل بيتاً وأتيتنَا بجوابِه؟ قال: نعم، هاتِيَاهُ. فأنشداهُ:

إنَّ بُـــدَاهَتــــي وجــرَاءَ حَــــوْلــــي   لَــذُو شِــقٍّ علـى الحُطَـم الحَـرُونِ[٥]

فلما أنشداه إياه أخذ عصاه وجعل يهدِج في الوادي ويقول:

أنا ابنُ جلا وطلاعُ الثنايا

يقال للنافذ في الأُمور «طَلاَّعُ الثنايا» و «طَلاَّعُ أَنجُدٍ». «جَلاَ» بارزٌ منكشفٌ.

وإنَّ مكـــانَنَـــا مِــــنْ حِمْيَــــرِيٍّ   مكـانُ اللَّيْـثِ مـن وَسَـطِ العَـرِيـنِ[٦]

---

(١) الأخوص: (٥٠ هـ/ ٦٧٠ م) هو زيد بن عمرو بن قياس بن عتاب بن هرمي الرياحي اليربوعي التميمي المعروف بالأخوص: شاعر فارس. قال البغدادي: له في كتاب بني يربوع أشعار جياد.

(٢) الأبيرد بن المعذر (نحو ٨٦ هـ/ ٦٨٨ م) هو الأبيرد بن المعذر بن عبد قيس الرياحي اليربوعي من تميم: شاعر فصيح بدوي. لم يكن مكثراً ولا مداحاً. وكان هجاءاً جيد الرثاء. أدرك دولة بني أمية. وأخباره في الأغاني كثيرة.

(٣) عتاب بن هرمي (٧٠ ق.هـ/ نحو ٥٥٥ م): عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع: من سادات العرب في الجاهلية. كانت له «الردافة» في أيام الملك المنذر ابن ماء السماء والردافة هي أنه إذا ركب الملك ركب وراءه، وإذا نزل جلس عن يمينه، وتصرف إليه الكأس بعد أن يشرب الملك وله ربع غنيمة الملك من كل غزوة يغزوها، وله إتاوة على كل من في طاعة الملك. مات في حياة المنذر.

(٤) الهناء: العطاء.

(٥) «البداهة» أول جري الفرس. وهي أيضاً أول كل شيء وما يفجأ منه. الحطم: بضم ففتح: هو العسوف العنيق. الحرون أصله: الفرس الذي لا ينقاد، إذا اشتد به الجري وقف.

(٦) الليث: الأسد. العرين: بيت الأسد.

حمَيريُّ بنُ ريَاح بن يربوع :

وإنـــي لا يَعُـــودُ إلـــيَّ قِـــرْنـــي   غـــدَاةَ الغـــبِّ إلاَّ فـــي قَـــرِيـــنِ[(١)]

«الغِبُّ» : أن تشربَ الإبلُ يوماً ثم تترك يوماً . وهو هنا معاودةُ قِرنه إليه في اليوم الثاني . أي إذا قاومني يوماً وعاودني من الغَدِ .

بِـــذِي لِبَـــدٍ يَصُـــدُّ الـــرَّكـــبُ عنـــه   ولا تـــؤتَـــى فَـــرِيسَتُـــهُ لِحيـــنِ[(٢)]

أي إذا افترسَ شيئاً لم يَتْبعه أحدٌ إلى موضع فريسته إلاَّ بعدَ حين .

عَـــذَرْتُ البُـــزْلَ إذ هِـــي خَـــاطَـــرَتْنِـــي   فمـــا بـــالـــي وبـــالُ ابْنَـــيْ لَبُـــون[(٣)]

ومـــاذَا يَـــدَّرِي الشُّعَـــرَاءُ مِنِّـــي   وقـــد جـــاوزتُ رأْسَ الأرْبعيـــنَ[(٤)]

يَدَّري : يَخْتِلُ ، والادِّرَاءُ : الخَتْلُ . أي قد كَبِرْتُ وتَحَنَّكْتُ .

أخُـــو خَمْسِيـــنَ مُجْتَمِعـــاً أَشُـــدِّي   ونَجَّـــذَنـــي مُـــدَاوَرَةُ الشُّـــؤُونِ[(٥)]

نجَّذَني : حنَّكني وعَرَّفني الأشياءَ . مُنَجَّذٌ : مُحَنَّك . مداورةُ : معالجةُ . الشؤونُ : الأُمور .

---

(١) القرين : المقارن والمصاحب . و «في» بمعنى «مع» . أراد أن قرنه لا يقاومه من الغد إلا مستعيناً بغيره .

(٢) بذي لبد : يعني بأسد ، أراد به من استعان به قرنه . «توتي» : «تؤتى» سهل الهمزة .

(٣) البزل : جمع «بازل» وهو البعير المسن . خاطرتني : رآهنتني ، من «الخطر» وهو الشيء الذي يتراهن عليه . ابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل الثانية ودخل في الثالثة . يقول : إذ راهنني الشيوخ عذرتهم لأنهم أقراني ، وأما الشبان فلا مناسبة بيني وبينهم . وأراد بابني لبون الأخوص والأبيرد فإنهما طلبا مجاراته في الشعر .

(٤) الأربعين : روي بكسر النون ، والأصل فتحها ، قال ابن السكيت : كسر نون الجمع لأن القوافي مخفوضة . ورواه المرزباني في الموشح بفتح النون وجعله مثلاً للإقواء .

(٥) أشد : جمع «شدة» كنعمة وأنعم واجتماع الأشد عبارة عن كمال القوى في البدن والعقل .

فـإنَّ عُـلاَلتِـي وجِـرَاء حَـوْلـي لَـذُو شِـقٍّ علـى الضَّـرَعِ الظَّنُـونِ[1]

العُلالَة: أن تُحلب الناقةُ ثم يقول: الذي بَقِيَ منّي على الكِبَرِ جَرْيٌ شديدُ. الضَّرَع: الصغير السن. الظَّنُون: الذي لا يوثقُ بما عنده.

سَـأَحْيَـى مـا حَيِيتُ وإنَّ ظَهـرِي لَمُسْتَنِـدٌ إلـى نَضَـدِ أمِيـنِ[2]
كـريـمُ الخـالِ مـن سَلَفَـيْ رِيَـاحٍ كنَصْـلِ السَّيْـفِ وَضَّـاحُ الجَبِيـنِ[3]
فـإنَّ قَنَـاتَنَـا مَشِـظٌ شَظَـاهـا شَـديـدٌ مَـدُّهـا عُنُـقَ القَـرِيـنِ[4]

يقال: «مَسِسْتُ شيئاً فَمَشِظَتْ يدي»، وهو أَن تَمسَّ جذعاً فيَعْلَق في يدك شيءٌ من شظاهُ.

---

(١) العلالة: في تفسيرها بياض في الأصل. وفي اللسان: «أن تحلب الناقة أول النهار وآخره. وتحلب وسط النهار، فتلك الوسطى هي العلالة». الجراء، بكسر الجيم: المجاراة. الشق: المشقة. وهذا تعريض بأن في الأخوص والأبيرد ضعفاً فلا يقدران على مجاراته وإن كان شيخاً.

(٢) النضد، بفتح الضاد: السرير ينضد عليه المتاع والثياب.

(٣) المعنى: يفتخر بنسبه وبخاله. نصل السيف: حد السيف. وضاح الجبين: مشرق الوجه.

(٤) مشظ شظاها: مثل لامتناع جانبه. أي لا تمس قناتنا فينالك منها أذى، وإن قرن بها أحد مدت عنقه وجذبته فذل، كأنه في حبل يجذبه.

ـ ٢ ـ

وقال خُفَاف بن نُدبة(١)

ألا طَـرَقَـتْ أسمـاءُ فـي غيـرِ مَطْـرَقِ   وأنَّـى إذا حَلَّـت بِنَجْـرَانَ نَلتَقِـي(٢)
سَـرَت كـلَّ وادٍ دونَ رَهْـوةَ دافـعٍ   وجلـذَانَ أو كَـرْمٍ بِلِيَّـةَ مُحْـدِقِ(٣)

---

(١) «خفاف» بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء، وهو ابن عمير بن الحرث بن عمرو الشريد السلمي من مضر أبو خراشة. اشتهر بالنسبة إلى أمه «ندبة» وكانت سوداء، وهي بنت شيطان بن قنان من بني الحرث بن كعب. وخفاف من فرسان العرب المعدودين، شاعر مجيد مشهور وهو من أغربة العرب. مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه، وشهد الفتح وكان معه لواء بني سليم، وشهد حنيناً وثبت على إسلامه في الردة وبقي إلى زمن عمر. قال الأصمعي: خفاف ودريد بن الصمة أشعر الفرسان.

مضمون الأبيات: عجب لطيف الحبيبة كيف جاز الوديان واستقر لدى وساده، ونعت هذا الطيف. ثم استعاد ذكرى لقائه صاحبته خلسة في مواضع عينها، ثم يذكر محاسنها التي أبدتها شهور الحج. ثم يبكي الشباب الزائل، ولكنه يفتخر بما كان منه في ذلك الشباب، من مروءة ونجدة وشجاعة، ومن ممارسة للحروب، على فرس كريم وصفه، وبأنه كان يربأ لقومه، ويزاول الأسفار على ناقته في موحش البلاد. وانتقل بعد إلى صفة ما شاهده من البرق والسحاب والمطر والرياح، والسيل الذي يستخرج الضباب والذئاب، ويطم حتى يكاد يبلغ مواطن العقبان في شعف الجبال.

(٢) مطرق: اسم مكان أو اسم زمان من الطروق وهو الإتيان ليلاً. حلت: نزلت. نجران: اسم موضع.

(٣) رهوة: جبل أو طريق بالطائف. جلذان: موضع قرب الطائف. لية: بكسر اللام وتشديد الياء، وهو موضع بالطائف أيضاً. دافع: يدفع الماء، صفة لواد. محدق: محيط، يريد أن الكرم استدار بهذا الموضع وأحاط به.

تَجـاوزتِ الأعـراضَ حتـى تَـوَسَّنَـت وِسـادِي ببـابِ دُونَ جِلـذانَ مُغْلَـقِ (١)

بِغُـرِّ الثَّنـايـا خَيِّـفَ الظَّلْـمُ نَبْتَـه وسُنَّـةِ رِئـمٍ بـالجُنَيْنَـةِ مُـونـقِ (٢)

ولـم أرَهَـا إلاَّ تعِلَّـةَ سـاعـة على سـاجِـر أو نظـرةً بـالمُشَـرَّقِ (٣)

وحيـثُ الجَميـع الحـابسُـونَ بـرَاكِـس وكـان المِحَـاقُ مَـوْعِـداً للتَّفَـرُّقِ (٤)

بـوَجٍّ ومـا بـالـي بِـوَجٍّ وبـالُهـا ومن يَلْقَ يوماً جِدَّة الحُبِّ يُخلِقِ (٥)

وأبـدَى شُهـورُ الحـجِّ منهـا محـاسنـاً ووجهاً متى يَحْلِلْ له الطيبُ يُشرِقِ (٦)

فـإمَّـا تَـرَيْنِـي أقصـرَ اليـومَ بـاطِلـي ولاحَ بياضُ الشَّيْب فـي كـلِّ مَفْـرَقِ (٧)

وزايَلَنِـي رَيْـقُ الشبـاب وظِلُّـهُ وبُـدِّلْـتُ منـه سَحْـق آخَـرَ مُخْلِـقِ (٨)

فَعَثْـرَةِ مـولًـى قـد نَعَشْـتُ وأُسْـرَةٍ كِـرام وأبطـالِ لَـدَى كـلِّ مَـأْزِقِ (٩)

---

(١) الأعراض: جمع عرض، وهو الوادي أو جانبه. توسنت: يقال توسن فلان فلاناً إذا أتاه عند النوم. الوساد والوسادة بكسر الواو: المخدة. جلذان: اسم موضع.

(٢) الظلم، بفتح الظاء: ماء الأسنان. أراد بفم غر ثناياه، أي بيض. قد خيف الظلم نبته، أي تخلل أسنانه. الرئم: الظبي الخالص البياض، وسنته: طريقته، أراد بها الدل. الجنينة: موضع. مونق: معجب.

(٣) التعلة: ما يتعلل به ويتلهى. ساجر، بالسين المهملة: ماء. المشرق: سوق بالطائف.

(٤) الحابسون: الذين حبسوا إبلهم عن الرعي. راكس: واد. المحاق، بتثليث الميم: آخر الشهر إذا امحق الهلال فلم ير. أراد آخر أيامهم في المقام في الحج.

(٥) وج: واد بالطائف. يخلق: يبلى، أخلق الشيء: بلى، مثل خلق وخلق، يقول: كل جديد إلى بلى.

(٦) كانت النساء في الجاهية إذا طافت إحداهن بالبيت وضعت ثيابها كلها إلا درعاً مفرجاً عليها ثم تطوف فيه، ثم حرم ذلك في الإسلام. وكانوا يحرمون الطيب على المحرم، ثم يحل له إذا أتم حجه، وذلك من شعائر إبراهيم، وقد أقره الإسلام.

(٧) أقصر: كف، أسند الفعل للباطل مجازاً. المفرق، بكسر الراء وفتحها: وسط الرأس حيث يفرق الشعر. أراد في كل مفرق من مفارق رأسه.

(٨) ريق الشباب: أفضله وأوله، السحق: الثوب الخلق البالي. عنى بذلك الشيب.

(٩) الفاء فاء «رب» نعشه: رفعه من عثرته. يفتخر بمساعدته الآخرين.

وحِـرَّةِ صـادٍ قـد نَضَحْـتُ بِشُـرْبَـةٍ وقـد ذُمَّ قَبْلـي لَيْـلُ آخَـرَ مُطْـرِقِ[1]
ونَهْـبٍ كجُمَّـاع الثُّـرَيَّـا حَـوَيْتُـهُ غِشـاشـاً بِمُحْتـاتِ القـوائِـم خيْفَـقِ[2]
ومعشـوقـةٍ طلَّقتُهـا بمُـرشَّـةٍ لهـا سَنَـنٌ كـالأتْحمِـي المُخـرَّقِ[3]
فبـاتَـت سَلِيبـاً مـن أُنـاس تُحِبُّهُـمْ كئيبـاً، ولَـوْلا طعنتـي لـم تُطَلَّـق[4]
وخَيـلٍ تعـادَى لا هَـوادَةَ بينَهـا شَهِـدتُ بمَـدْلُـوكِ المعَـاقـم مُحْنِـقِ[5]
طَـويـلٍ عُظـامٍ غيـرِ خـافٍ نَمَـى بـه سَليمُ الشَّظَا في مُكْرَباتِ المُطَبَّقِ[6]
بَصيـرٍ بـأطـرافِ الحِـدَابِ مُقلِّـصٍ نَبيـلٍ يُسـاوَى بـالطِّـرافِ المُـرَوَّقِ[7]
إذا مـا استَحَمَّـت أرضُـه مِـن سَمـائِـه جَرى وهو مَوْدُوعٌ وواعِدُ مَصْدَقِ[8]

---

(١) الحرة، بكسر الحاء: حرارة العطش والتهابه. الصادي: الظمآن. نضح عطشه: سكنه. الشربة، بضم الشين: مقدار الري من الماء. والمعنى أساعد المحتاج في الوقت الذي يمتنع سواي عن ذلك.

(٢) جماع الثريا: كواكبها المجتمعة. الغشاش: بكسر الغين وفتحها: العجلة، يقال لقيته غشاشاً وعلى غشا إذا لقيته على عجلة. المحتات: الموثق الخلق. الخيفق: السريع الخفيف. أراد بذلك الفرس.

(٣) المرشة: الطعنة اتسعت فتفرق دمها. السنن: الطريق وهي هنا الحد. الأتحمي: ضرب من البرود أحمر اللون. أراد بالمعشوقة امرأة، وأنه طعن زوجها ففرق بينها وبينه، فسمى هذا التفريق طلاقاً.

(٤) سليباً: بعيدة. كئيباً: حزينة.

(٥) تعادى: تتعادى، من العدو. المعاقم: فقر في مؤخر الصلب، أو هي المفاصل. المحنق، بكسر النون: القليل اللحم، الضامر.

(٦) العظام، بضم العين: العظيم. غير خاف: ظاهر بين الخيل. الشظا: عظم لاصق بالركبة. المكرب: الشديد العقد. المطبق: موضع انطباق العظمين. ومعنى مكرب المفاصل: ينتمي إلى أب كريم.

(٧) الحداب: جمع «حدب» بفتحتين، وهو الغليظ المرتفع من الأرض. المقلص: الطويل القوائم. النبيل: الحسن الخلقة. الطراف: بيت من أدم، أي جلد. المروق: الذي جعل له رواق، وهو ستر يمد دون السقف.

(٨) يعني إذا عرق فابتل أسفله من أعلاه. مودوع: من الدعة وهي السكون. المصدق، بفتح =

ومَـدَّ الشِّمـالَ طعْنُـهُ فـي عِنـانِـه وبـاعَ كَبَـوْعِ الشـادِنِ المُتَطَلِّـقِ[١]
مِـن الكـاتمـاتِ الـرَّبـوَ تَمْـزَعُ مُقْـدِمـاً سَبُـوقـاً إلـى الغـايـاتِ غيـرَ مُسَبَّقِ[٢]
وَعَتْـهُ جـوادٌ لا يبـاعُ جَنِينُهـا بمنسـوبـةٍ أعـراقُـه غيـرِ مُحْمِـقِ[٣]
ومَـرقَبَـةٍ طَيَّـرْتُ عنهـا حَمَـامَهـا نَعَـامَتُهـا منهـا بِضَـاحٍ مُـزَلَّـقِ[٤]
تَبيـتُ عِتـاقُ الطيـرِ فـي رَقبـاتِهـا كطُـرَّةِ بَيـتِ الفـارِسـيِّ المُعلَّـقِ[٥]
رَبَـأْتُ، وحُـرْجُـوجٍ جهَـدْتُ رَواحَهـا على لاَحب مثلِ الحَصيرِ المُشَقَّقِ[٦]
تَبيـتُ إلـى عِـدٍّ تقـادَمَ عَهْـدُهُ بِحَـرٍّ، تَقَـى حَـرَّ النهـارِ بغَلفـق[٧]

= الميم والدال: الصدق في كل شيء. والمعنى: إذا ابتلت حوافره من عرق أعاليه جرى في دعة، لا يضرب ولا يزجر، ويصدقك فيما يعدك البلوغ إلى الغاية.

(١) طعن الفرس في العنان: إذا مده وتبسط في السير. وهو إذا فعل ذلك مد شمال فارسه بجذبه العنان. البوع: مصدر «باع يبوع» وهو بسط الباع في المشي. الشادن: ولد الظبية إذا قوي واشتد. المتطلق: من قولهم «تطلق الظبي»: استن في عدوه فمضى ومر لا يلوي على شيء.

(٢) الربو: النفس العالي. تمزع: تسرع في السير. مقدماً: من الإقدام وهو راجع للفرس، مسبق: العرب تقول للذي يسبق من الخيل سابق وسبوق، وإذا كان يسبق فهو مسبق.

(٣) وعته: حفظته وجمعته، والمراد أمه التي ولدته. والجواد يقال للذكر والأنثى من الخيل، أعراق: جمع عرق. وهو الأصل: المحمق: التي تلد الحمقى.

(٤) المرقبة: الموضع الذي يرقب عليه. النعامة: كل بناء على الجبل كالظلة والعلم. الضاحي: البارز للشمس. المزلق: الأملس الذي لا تثبت عليه قدم.

(٥) عتاق الطير جوارحها. رقباتها: أعاليها الطرة: الناصية.

(٦) ربأت: صرت ربيئة، وهو العين والطليعة للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه، أي ربأت من تلك المرقبة. الحرجوج: الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. جهد دابته: بلغ جهدها وحمل عليها في السير فوق طاقتها. اللاحب: الطريق الواضح. والحصير: البساط من النبات.

(٧) العد: الماء الوافر. وضمير «تبيت» للناقة. تقي، بوزن «وقي» لغة في «اتقى». الغلفق: الطحلب، وهو الخضرة على رأس الماء. يريد أن هذا الماء برد بما علاه من الغفلق.

كـــأنَّ مَحَــافِيــرَ السِّبـــاع حِيــاضَـــهُ لتعــريسهـــا جَنْــبَ الإزاءِ المُمَــزَّقِ[١]
مُعَــرَّسُ ركـــبٍ قـــافِلِيـــنَ بصِـــرَّة صِــرَادِ إذا مــا نــارُهــم لــم تُحَــرَّقِ[٢]
فَـدَع ذا ولكـنْ هـل تَـرَى ضَـوْءَ بـارق يُضــيء حَبِيًّــا فــي ذُرَى مُتَــأَلِّــقِ[٣]
عَــلاَ الأُكْــمَ منــه وابِــلٌ بعــدَ وابــلٍ فقـد أُرْهِقَـت قِيعـانُـه كـلَّ مُـرْهَـقِ[٤]
يَجُــرُّ بــأكنــافِ البِحــارِ إلــى المَــلاَ رَبــابــاً لــه، مثــلُ النّعــامِ المُعَلَّــقِ[٥]
إذا قلــتَ تَــزهــاهُ الــرِّيــاحُ دَنَــا لــه رَبــابٌ لـه، مثـلُ النعـام المُـوَسَّـقِ[٦]
كـــأَن الحُـــدَاةَ والمُشَـــايِـــعَ وَسْطَـــه وعُــوذاً مطــافِيــلاً بــأَمْعَــزَ مُشْــرِقِ[٧]
أَســـالَ شَقـــاً يَعْلُـــو العِضَـــاهَ غُثَـــاؤُه يُصَفِّــقُ فــي قِيعــانِهــا كــلَّ مَصْفَــقِ[٨]

---

(١) محافير: «محفر» مصدر ميمي من الحفر، و «حياضه» مفعوله، التعريس: النزول ليلاً. الإزاء، بالزاي: مصب الماء في الحوض.

(٢) المعرس: مكان التعريس أي النزول. قافلين: عائدين. الصرة، بكسر الصاد: شدة البرد. صراد: أصابهم الصرد وهو البرد. لم تحرق: لم تشعل.

(٣) الحبي: السحاب المتراكم. الذري، بضم الذال: جمع «ذروة» بضمها وكسرها، وذروة كل شيء: أعلاه. متألق: صفة لبارق.

(٤) الأكم: جمع أكمة. أرهقت: غشيت، يعني بالماء. القيعان: جمع قاع، وهو الأرض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام. والوابل؛ المطر الشديد الضخم القطر.

(٥) يجر: يعني الحبي. الأكناف: النواحي. البحار والملا: موضعان. الرباب: سحاب دون السحاب الأعظم. المعلق: يشبهه قول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

كـــأن الـــربـــاب دويـــن السحـــاب نعــام تعلــق بــالأرجــل

(٦) تزهاه: تسوقه وتستخفه. الموسق والوسق: التحميل أو الطرد والسوق.

(٧) المشايع: الذي يصيح بالإبل لتجتمع وتنساق. العوذ: الحديثات النتاج، جمع عائذ. المطافيل: التي معها أولادها. الأمعز: الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة. يقول: كأن هذه الإبل وحداتها ومشايعها وسط هذا السحاب. الحداة: جمع حادي وحدا الإبل إذا زجرها وساقها.

(٨) شقاً: يبدو لنا أنه اسم مكان بعينه، ولعله واد سال فيه الماء. وقيل هو موضع من نواحي المدينة. العضاه: ما عظم من شجر الشوك وطال واشتد شوكه، الواحدة عضاهة وعضهة. الغثاء: ما يحمله السيل من الزبد والوسخ ونحوه. وصف بذلك علو السيل وتلاطم أمواجه. ويصفق: يضطرب ويهيج.

فجـادَ شَـرَوْرَا فـالسِّتـارَ فـأصْبَحَـت يَعـارُ لـه والـوادِيـانِ بمَـوْدِقِ [1]
كـأنَّ الضِّبـابَ بـالصحـارَى عَشِيَّـةً رِجـالٌ دَعـاهـا مُسْتَضِيـفٌ لِمَـوْسِـقِ [2]
لـه حَـدَبٌ يَستخـرجُ الـذِّئـبَ كـارِهـاً يُمِـرُّ غُثـاءً تحـتَ غـارٍ مُطَلَّـقِ [3]
يَشُـقُّ الحِـدَابَ بـالصَّحـارَى ويَنْتَحِـي فِـراخَ العُقَـابِ بِـالحِقَـاءِ المُحَلِّـق [4]

---

(١) شروراً والستار ويعار: مواضع في بلاد بني سليم. جادة: أصابه بالجود، وهو المطر الغزير. بمودق: اسم مكان.

(٢) الضباب: جمع ضب. المستضيف: المستغيث. الموسق: اسم مكان من الوسق وهو الجمع.

(٣) الحدب: ارتفاع الموج. الغثاء: الزبد. مطلق: متروك، خالٍ.

(٤) الحداب: جمع حدب، بفتحتين، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع. ينتحي: يقصد. الحقاء: جمع حقو، وهو الموضع الغليظ المرتفع على السيل. المحلق: المرتفع في طيرانه. وإنما خص العقاب لأنه يسكن أعالي الجبال.

ـ ٣ ـ

وقال أيضاً

طَـرقـتْ أُسَيْمَـاءُ الـرِّحـالَ ودُونَنـا ... مـنْ فَيْـدِ غَيْقَـةَ سـاعِـدٌ فكَثِيـبُ(١)

فـالطَّـوْدُ فـالمَلَكـاتُ أَصْبَـحَ دُونَهـا ... فَفـراعُ قُـدْس فعَمْقُهـا فَحُسُـوبُ(٢)

فلئِـنْ صـرَمْتِ الحبـلَ يـا ابْنَـة مـالـك ... والـرأيُ فيـه مُخْطِـىءٌ ومُصِيـبُ(٣)

فَتعَلَّمِـي أنِّـي امـرؤٌ ذُو مِـرَّةٍ ... فيمـا أَلَـمَّ مـن الخطـوبِ صَليـبُ(٤)

أَدَعُ الـدَّنَـاءَةَ لا أُلابِـسُ أهلَهـا ... ولَـدَيَّ مـن كَيْـسِ الـزمـان نَصِيـبُ(٥)

ومُعَبَّـد بَيْـضُ القَطَـا بِجُنـوبِـهِ ... ومِـن النَّـواعِـجِ رِمَّـةٌ وصَليـبُ(٦)

نَفَّـرْتُ آمِـنَ طَيْـرِهِ وسِبَـاعِـهِ ... ببُغَـامِ مِجْـذَام الـرَّوَاح خَبُـوب(٧)

أُجُـدٍ كـأَنَّ الـرَّحـلَ فَـوقَ مُقَلِّـصٍ ... عَـاري النَّـواهِـقِ لاحَـهُ التّقـريـبُ(٨)

مضمون الأبيات يبدأ القصيدة بحديث الطيف ويعجب لمسراه، وبين للحبيبة مدى صبره على جفائها، ومبلغ صلابته وكرم نفسه وما هو عليه من الكياسة. ثم تحدث عن مغامرته في قطع المفاوز والمهامه، وكيف كان ينفر آمن الطير والسباع ببغام ناقته، التي شبهها بالحمار الوحشي.
وفخر أيضاً بنزوله الغيث على فرس يطارد به بقر الوحش وحمره. ثم انصرف إلى وصف هذا الفرس.

(١) فيد وغيقة وساعد وكثيب: أسماء أماكن. أسيماء: اسم الحبيبة وهو تصغير أسما.

(٢) الطود، الملكات، قدس، حسوب، عمق: أسماء أماكن. الفراع: جمع فرع وهو مجرى الماء.

(٣) صرم الحبل: قطعه والمقصود هنا الصد.

(٤) المرة، بكسر الميم: القوة. الصليب: ذو الصلابة. الخطوب: الأحداث والمصائب.

(٥) ألابس: أخالط. الكيس، بفتح الكاف: العقل، عنى ما أكسبه الزمان من الدربة والخبرة.

(٦) المعبد: الطريق الممهد. النواعج: الإبل البيض، الواحدة ناعجة. الصليب: ودك العظام. أراد أن هذه الطريق بعيد عن الماء، حتى إن القطا تبيت فيه وتبيض قبل الورد، وإن الإبل تهلك فيه.

(٧) البغام: حنين الإبل. مجذام الرواح: سريعة السير عند الرواح. الخبوب: وف من الخبب وهو السرعة ونوع من السير. السباع: الحيوانات البرية الكاسرة.

(٨) الأجد: القوية الموثقة الخلق من الإبل. المقلص: الطويل القوائم، شبه ناقته بحمار الوحش. =

عَــدَلَ النُّهــاقُ لِسَــانَــه فكــأَنَّــه
لمــا تَخَمَّــطَ للشُّحــاجِ نقِيــبُ[1]

ولقــد هَبطــتُ الغَيْــثَ يَــدْفَـعُ مَنكِبـي
طِــرْفٌ كســافِلَــةِ القَنَــاةِ ذَنــوبُ[2]

نَمِــلٌ إذا ضُفِــزَ اللِّجــامَ كــأَنَّــه
رَجُــلٌ يُنَــوِّه بــاليــديــن سَلِيــبُ[3]

حــامٍ علــى دُبُــرِ الشيــاه كــأنَّــه
إِذْ جَــدَّ سَجْــلٌ نَــزُّهُ مَصْبــوبُ[4]

بَــرِدٌ تُقَحِّمُــهُ الــدَّبُــورُ مَــرَاتِبــاً
مُلقَــى ضَــواحِــي بينهــنَّ لُهُــوبُ[5]

مُتَطَلِّــعٌ بــالكَــفِّ يَنهَــضُ مُقْــدِمــاً
مُتَتَــابِــعٌ فــي جَــرْيِــهِ يَعبُــوبُ[6]

ربِــذُ الخِــلافِ إذَا اتــلأَبَّ، ورجْلــهُ
فــي وَقعهَــا ولَحَــاقِهــا تحْنِيــبُ[7]

= عاري النواهق: الناهقان: عظمان شاخصان في وجه ذي الحافر أسفل من عينيه، ويقال لهما النواهق أيضاً، وعريهما: تجردهما من اللحم. لاحه: غيره. التقريب: ضرب من العدو.

(١) عدل لسانه: أماله. تخمط: هدر في حدة وغضب. الشحاج: رفع الصوت، وهو بالبغل والحمار أخص. النقيب: العريف على القوم المقدم عليهم، وقيل الرئيس الأكبر.

(٢) الغيث: الكلأ، وأصله المطر، فسمي به ما نبت عنه. الطرف: الفرس الكريم الطرفين، أي الأبوين. سافلة القناة: أسفل الرمح. الذنوب: الوافر شعر الذنب.

(٣) النمل: الذي لا يستقر من فرط نشاطه. ضفز: يقال «ضفزت الفرس اللجام: إذا أدخلته في فيه». ينوه باليدين: يرفعهما يشير بهما. السليب: المسلوب العقل أو المال.

(٤) الشياه ههنا: بقر الوحش أو حمره. يقول: حمى هذا الفرس واشتد عدوه في أعقابها فلا يدعها حتى يدركها. وشبهه في جده في العدو بدلو عظيمة يصب منها الماء. والسجل: الدلو.

(٥) البرد بفتح الباء وكسر الراء: السحاب ذو البرد. تقحمه الدبور مراتباً: تدفعه هذه الريح منزلاً فلا يستقر. شبه فرسه بهذا السحاب. الضواحي: جمع ضاحية، وهي ما ظهر وبرز للشمس. اللهوب: جمع لهب، بكسر فسكون، وهو الشعب الصغير في الجبل، أو هو وجه من الجبل كالحائط لا يستطاع ارتقاؤه.

(٦) متطلع بالكف: يعني إذا كف أقدم. اليعبوب: الكثير الجري. متتابع: مستمر.

(٧) الربذ: الخفيف القوائم في مشيه. الخلاف: المشي على شق، والمخالف: هو العسر الذي كأنه يمشي على أحد شقيه. اتلأب: أقام صدره ورأسه. التحنيب: الاحديداب في ساقي الفرس، وليس ذلك بالاعوجاج الشديد، وهو مما يوصف صاحبه بالشدة.

ـ ٤ ـ

وقــــال

يــا هِنــدُ يــا أُخــتَ بَنــي الصَّــارِدِ ... مــا أنــا بــالبــاقــي ولا الخــالِــدِ[١]

إن أُمْــسِ لا أَمْلِــكُ شيئــاً فقــد ... أملِــكُ أمْــرَ المِنسَــرِ الحــارِدِ[٢]

بــالضَّــابــعِ الضــابِــطِ تَقــرِيبُــهُ ... إذْ وَنَــتِ الخيــلُ وذو الشَّــاهِــدِ[٣]

عَبْــلِ الــذِّراعيــن سَلِيــمِ الشَّظَــا ... كــالسِّيــدِ تحــتَ القِــرَّةِ الصَّــارِدِ[٤]

يَطعُــنُ فــي المِسْحَــلِ حتَّــى إذَا ... مــا بَلَــغَ الفــارسُ بــالسَّــاعِــدِ[٥]

جــدَّ سَبُــوحــاً غيــرَ ذِي سَقْطَــة ... مُسْتفْــرِغٍ مَيْعَتَــه وَاعِــدِ[٦]

يَصِيــدُكَ العَيْــرَ بِــرَفِّ النَّــدَا ... يَحْفِــرُ فــي مُبْتَكِــرِ الــراعِــدِ[٧]

يُعْقَــدُ فــي الجِيــدِ عليــه الــرُّقَــى ... مــن خِيفَــةِ الأَنْفُــسِ والحــاسِــدِ[٨]

مضمون الأبيات: يبدو الشاعر في هذه الأبيات زاهداً مستبقياً لنفسه أمرين: أحدهما قيادة الجيش وامتلاك أمره، والآخر ذلك الفرس الذي نعته بالسرعة والإبقاء، وبلحاقه حمار الوحش يصيده ويمسكه على صاحبه، وأنه لذلك كان جديراً أن تعقد في جيده الرقى والتمائم، خيفة الحسد.

(١) بنو الصارد: بطن من بني مرة بن عوف.

(٢) المنسر: قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير. الحارد: الجاد القاصد.

(٣) الضابع: الشديد الجري، يعني فرسه. الضابط: القوي. التقريب: ضرب من العدو. ونت: أبطأت. ذو الشاهد: الذي له من جريه ما يشهد له على سبقه وجودته.

(٤) عبل الذراعين: ضخمهما. الشظا: عظم لاصق بالركبة. السيد: الذئب. القرة: البرد. الصارد: من الصرد وهو البرد.

(٥) المسحل: اللجام، ويطعن فيه: إذا مد العنان وتبسط في السير.

(٦) جد: جواب «إذا» في البيت قبله. السبوح: الذي يسبح في سيره لسرعته. ميعة الجري: أوله وأنشطه. الواعد: الفرس الذي يعدك جرياً بعد جري.

(٧) يصيدك: هذا الفعل يعدى إلى واحد وإلى اثنين، «يقال صدت فلاناً صيداً. إذا صدته له». العير: حمار الوحش. رف الندا: تلألؤه، والمراد أنه يصيد في البكور. الراعد: السحاب ذو الرعد.

(٨) الرقى: جمع رقية. والمعنى تعلق الرقى في عنقه دفعاً لحسد الحاسد.

ـ ٥ ـ

قال الأصمعيُّ:

لما ارتدَّ الناسُ أتى رجلٌ من بني سُلَيمٍ أبا بكرٍ رضي الله تعالى عنه، فقال: أعطِني سِلاحاً أُقاتل به، فأعطاه، فقاتلَ به المسلمين.

فقال خُفافٌ
رحمه الله تعالى

لِمَ تَأْخذونَ سِلاحَهُ لِقتالِهِ ... ولِذاكُمُ عندَ الإلَهِ إثَامُ[1]

لا دِينكُمْ دِيني ولا أنا كافِرٌ ... حتى يَزولَ إلى صَرَاةَ شمَامُ[2]

حكاية البيتين: يسجل في هذين البيتين خيانة رجل من قومه بني سليم، يقال له الفجاءة، واسمه إياس بن عبدالله بن عبد ياليل، كان قد اختدع أبا بكر رضي الله عنه، وطلب منه سلاحاً ليقاتل به، ولكنه لم يقاتل بهذا السلاح إلا المسلمين، فساء ذلك خفافاً، فقال البيتين ينعي على قومه ذلك العار ويستعلن ثباته على دين الإسلام، وبراءته من ردة من ارتد من قومه.

(١) الأثام، بفتح الهمزة وكسرها: عقوبة الإثم.

(٢) شمام: جبل لباهلة في نجد. وأما صراة فالظاهر أنه جبل آخر. أراد حتى ينقل هذا الجبل من موضعه.

ـ ٦ ـ

وقال الحَكَمُ الخُضْريّ(١)

قال أبو سعيد: سمعتُها من الحَكَم:

إلى ابْن بلالٍ جَوْبِيَ البيدَ والدُّجى ... بزَيَّافَةٍ إنْ تَسْمَعِ الزَّجْرَ تَغْضَبِ(٢)

إذَا غَضِبَت أن يُزْجَرَ العِيسُ خَلفَها ... كسَتْ خَطْمَها من كُسْوَةٍ لم تُهذَّبِ(٣)

زِوَرَّةِ أسفارٍ كأنَّ ضُلُوعَها ... تُنَاطِحُ مِن مِسْمار ساجٍ مُضبَّبِ(٤)

---

(١) هو الحكم بن معمر بن قنبر الخضري (نحو ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م). و «الخضر» ولد مالك بن طريف، سموا بذلك لأن مالكاً كان شديد الأدمة، وكذلك خرج ولده، فسموا الخضر. قال ياقوت: «شاعر إسلامي، وكان مع تقدمه في الشعر سجاعاً كثير السجع، وكان هجاء خبيث اللسان، وكان بينه وبين الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجاة ومواقف. ويبدو أن الأصمعي نقل عنه هذه القصيدة بشكل مباشر إذ يقول: سمعتها من الحكم.

مضمون الأبيات: هذه الأبيات قطعة من قصيدة يمدح فيها «ابن بلال»، ومبلغ الظن أنه أحد الأمراء أو الأجواد. فهو يصف كيف عانى الأسفار والمشاق في الرحلة إليه لطلب العطاء، ويصف الناقة التي رحل عليها، ثم يشبهها في سرعتها بالقطاة التي تهوي إلى فراخها في البيداء، ثم يشبه هذه القطاة بالدلو تهوي من كف الساقي.

(٢) البيد: الصحارى، وجوبها: قطعها. الزيافة: الناقة تزيف بالرحل لنشاطها، أي تسرع في تمايل. الزجر: النهر.

(٣) العيس: الإبل الخالصة البياض. الخطم: مقدم الأنف. لم تهدب: من «هدبة الثوب» وهي طرفه الذي لم ينسج وأراد بالكسوة ما يعلو فم الناقة من الزبد. فهي تغضب إذا حاول غيرها أن يلحقها.

(٤) زورة أسفار: مهيأة للأسفار معدة. الساج: خشب عظيم يجلب من الهند. وتضبيب الخشب: إلباسه الحديد. يشير إلى شدة أضلاعها.

مُحنيَّـةِ الـرِّجْلَيْـنِ حَـرْفٍ كـأَنَّهـا قَطاةٌ متى يُتْمَمْ لها الخِمْسُ تَقْرَبِ[١]
إذا اسْتـوْدَعَـتْ فَـرْخيْـن بَيْـدَاءَ قلَّصَـتْ سمَـاويَّـةَ المُمْسَـى نَجـاةَ التَّقلُّـبِ[٢]
فَجَـاءَتْ مـعَ الإشـراقِ كَـدْراءَ زَادَةً فحـامَـتْ قليـلاً في مَعـانٍ ومَشْـرَبِ[٣]
فلما اسْتقَت طارَت وقد تَلَع الضُّحى بشِـرْبٍ قَـرَتْـه فـي زَهِيـدٍ مُحَبَّـبِ[٤]
فكـرَّت فـأَمَّـت حيـث جـاءَت كـأنَّهـا دَلاَةٌ هَوَت مِن كفِّ ساقٍ ومُكْرِبِ[٥]
إذا اسْتقْبَلتْهـا الـرِّيـحُ صَـدَّت بخطْمِهـا قليـلاً، وحَثَّـت مـن نَجـاءٍ مُنَحَّـبِ[٦]

---

(١) التحنيب: الاحديداب في الساقين وليس ذلك بالشديد، وهو مما يوصف صاحبه بالقوة. الحرف: الضامرة. الخمس: أن تشرب الإبل يوماً ثم ترعى ثلاثة أيام وترد الماء في اليوم الرابع فهو خامس أيامها من وردها الأول. وقد جعله هنا للقطاة. تقرب: وهو سير الليل لورد الماء. والقارب طالب الماء ليلاً. شبه ناقته بقطاة تسرع إلى الماء.

(٢) قلصت: ارتفعت. سماوية الممسى: تمسي طائرة إلى وردها. النجاة: السريعة كالناجية، يريد أنها سريعة التقلب في طيرانها.

(٣) الكدراء: ما في لونها كدرة، وهي الغبرة، ومعظم القطا كدر. الرادة: الكثيرة الطواف، وأصلها للمرأة إذا أكثرت الاختلاف إلى بيوت جاراتها. حامت: من الحوم. المعان: المباءة والمنزل.

(٤) تلع الضحى: ارتفع وانبسط، والضحى يؤنث ويذكر، الشرب بكسر الشين: الحظ من الماء. قرته: جمعته. الزهيد: الضيق، عنى به حوصلتها. محبب: مملوء.

(٥) الدلاة: الدلو الصغيرة. المكرب: الذي يكرب الدلو، يشد عليها الكرب، وهو حبل يشد على عراقي الدلو ثم يثنى ثم يثلث. شبهها في سرعة أوبتها بدلو هوت من يد الساقي.

(٦) النجاء: السرعة. منحب: من قولهم: «نحبنا سيرنا: دأبناه». والخطم: مقدم الأنف. حثت: أسرعت.

ـ ٧ ـ

وأنشدَنا أبو سَعيد لابن لَجَإٍ التَّيْمِيّ(١)

أنعتُهـــا إنِّـــيَ مِـــن نُعَّـــاتِهـــا(٢) مُنْـــدَحَـــةَ السُّـــرَّاتِ وادِقَـــاتِهـــا(٣)
مَكْفُـــوفَـــةَ الأخفَـــافِ مُجْمَـــراتِهـــا(٤) ســـابغَـــةَ الأذْنـــابِ ذَيَّـــالاَتِهـــا(٥)

---

(١) هو عمر بن لجإ بن حدير بن مصاد التيمي (نحو ١٠٥ هـ/ ٧٢٤ م) وقيل: لحأ من بني تيم بن عبد مناة شاعر راجز فصيح إسلامي، عده الجاحظ فيمن جمع الرجز والقصيد، ووقع الشر والمهاجاة بينه وبين جرير، وكان جرير أسن منه، حتى ضربهما أبو بكر بن حزم بالمدينة بأمر الوليد بن عبد الملك. وهجا جريراً ببيتين لم يقلهما، نحلهما إياه الفرزدق، فأدرك ذلك جرير، في قصة طريفة في الأغاني ويظهر أنه كان عارفاً بمثالب القبائل، حتى لجأ إليه الفرزدق يسأله عن مثالب بني جعفر بن كلاب ليهجوهم. وهو الذي يقول فيه جرير:

أنـت ابـن بـرزة منسـوب إلـى لحـأ عنـد العصـارة والعيـدان تعتصـر

وبرزة أمه. مات بالأهواز.

مضمون الأبيات: هذه الأرجوزة في صفة إبل، ينعت سمنها، وأخفافها وأذنابها، وصبرها على العطش، ويصف قوائمها وحسن مشيتها. وفي البيت الأول منها يتمدح بجودة نعته للإبل.

(٢) أنعتها: يعني الإبل.

(٣) السرات: جمع سرة، واندحت: اتسعت، وذلك من كثرة ما رعت. وادقاتها: يقال «إبل وادقة البطون والسرر: اندلقت لكثرة شحمها، ودنت من الأرض».

(٤) مكفوفة: مجموعة. مجمراتها: خف مجمر: صلب شديد مجتمع.

(٥) ذيالاتها: طويلة الذيول. السابغ: الطويل.

طَـوَتْ لِيـومِ الخِمْـسِ أَسْقِيَـاتِهـا[١] غَـابِـرَ مـا فيهـا علَـى بُـلاَّتِهَـا[٢]
كـأَنَّمـا نِيطَـت إلـى ضَـرَّاتِهـا[٣] مِـنْ نَخِـرِ الطَّلْـح مُجَـوَّفـاتِهـا[٤]
واتَّقَـتِ الشَّمـسَ بجُمجُمَـاتِهـا[٥] تَمشـي إلـى رِوَاءِ عـاطِنَـاتِهـا[٦]
تَمَشِّـي العـانِـسِ فـي رَيْطَـاتِهـا[٧]

(١) أسقياتها: السقاء يجمع على «أسقية» وجمع «أسقية» «أسقيات». الخمس: مرت سابقاً.

(٢) الغابر: الباقي في الأسقية. بلاتها: جمع بلة، بضم الباء وتشديد اللام، يقال: «اطو السقاء على بلته» أي اطوه وهو نديّ، لأنه إذا طويَ وهو جاف تكسر.

(٣) نيطت: علقت. ضراتها: جمع ضرة، وهي أصل الضرع.

(٤) النخر: المجوف. الطلح: شجر عظام. أراد: كأنما نيطت جذوع من نخر الطلح. شبه قوائمها بجذوع الطلح.

(٥) جمجمات: جمع جمجمة.

(٦) الرواء: جمع ريان وريا. العاطنات: اللاتي قد رويت من الماء ثم بركت في موضع يقرب من الماء، فذلك الموضع هو العطن.

(٧) العانس: التي في بيت أبويها لم تزوج. الريطات: جمع ريطة، وهي الملاءة التي ليست لفقين. يريد أنها تمشي مشي العانس إذا تبخترت، لأن العانس قد زادت على البلوغ، فمشيها أثقل من مشي التي حين بلغت.

— ٨ —

وقال عبدُالله بن عَنَمَةَ(١)

وكان حليفاً لبَنِي شيْبَان، يَرْثِي بِسْطَامَ بنَ قَيْسٍ(٢):

لأُمِّ الأرضِ وَيْــلٌ مــا أَجَنَّــت   غــداةَ أَضَــرَّ بــالحَسَــنِ السَّبِيــلُ(٣)

(١) عبدالله بن عنمة بن حرثان الضبي. من شعراء المفضليات. له فيها قصيدة ومقطوعة من عالي الشعر. وهو مخضرم عاش في الجاهلية ورثى فيها بسطام بن قيس. ثم شهد القادسية سنة ١٥ هـ في الإسلام (توفي بعد ١٥ هـ/ ٦٣٦ م).

(٢) بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، أبو الصهباء سيد شيبان. من أشهر فرسان العرب في الجاهلية. يضرب المثل بفروسيته. وكان يقال: «أغلى فداء من بسطام بن قيس» أسره عيينة بن الحارث فافتدي بأربع مئة ناقة وثلاثين فرساً. أدرك الإسلام ولم يسلم. قتل نحو (١٠ ق.هـ/ ٦١٢ م).

مضمون الأبيات: كان بسطام بن قيس بن مسعود سيد بني شيبان قد غزا بني ضبة بن أد، ومعه أخوه السليل بن قيس، فلما دنا من نقا يقال له «الحسن» في بلاد ضبة وجد ألف ناقة لمالك بن المنتفق الضبي فأغار عليها وأطردها، فلحقته خيل ضبة، وحمل عليه عاصم بن خليفة، أحد بني صباح، فطعنه بالرمح، فخر بسطام قتيلاً، وفر بنو شيبان. وكان عبدالله بن عنمة الضبي مجاوراً في بني شيبان فخاف أن يقتل، فقال هذا الشعر يرثي بسطاماً. وهذا اليوم يقال له يوم «نقا الحسن» و «يوم الشقيقة». وقد بدأ قصيدته بالعجب من الأرض، أن تضم مثل بسطام! وهذا من التعبير النادر. ثم أبنه بذكر جوده وأنه كان يجنب الفرس إلى جوار ناقته، ويدفع بها إلى الحرب. ثم تحدث عن دلائل رياسة بسطام، التي تتجلى في حيازة المرباع والصفايا والنشيطة والفضول. ثم صور مصرعه على الألاءة، وجزع قومه لذلك، وفجيعتهم فيه، إذ كان مطعم فقيرهم ومجير خائفهم، في الساعة التي يفر فيها الأبطال ويجبن فيها الرجل عن حماية حليلته.

(٣) أجنت: سترت. أضربه: دنا منه. الحسن: كثيب بنجد في بلاد بني ضبة في الموضع الذي قتل =

نُقَسِّمُ مالَهُ فينا ونَدْعُو أبا الصَّهْبَاءِ إذْ جنحَ الأَصِيلُ[١]
أجَدَّكَ لَنْ تراهُ ولن تَراهُ تخُبُّ به عُذافِرَةٌ ذَمُولُ[٢]
حَقِيبَةُ رَحْلِهِ بَدَنٌ وسَرْجٌ تُعَارِضُهُ مُرَبَّبَةٌ ذَؤُولُ[٣]
إلى مِيعادِ أرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ تضَمَّرُ في طَوَابِقِهِ الخيُولُ[٤]
لكَ المِرْبَاعُ منها والصَّفَايَا وحُكمُكَ والنَّشِيطةُ والفُضُولُ[٥]
لقد ضمِنتْ بنو بَدْرِ بن عَمْرو ولا يُوفِي بِبِسْطَامٍ قَتِيلُ[٦]
وخرَّ على الأَلاءَةِ لم يُوَسَّدْ كأَنَّ جَبينه سَيْفٌ صَقِيلُ[٧]
فإن تَجْزَعْ عليه بَنُو أبِيهِ لقد فُجعُوا وفَاتَهُمُ خلِيلُ[٨]

= فيه بسطام. يقول هذا على جهة التعجب، أي ويل لأم الأرض ماذا أجنت من بسطام أي حين دنا جبل الحسن من السبيل.

(١) أبو الصهباء: كنية بسطام. جنح: مال. الأصيل: العشي. أراد أنهم يدعونه في ذلك الوقت، لأنه وقت مجيء الضيفان قال التبريزي: «أي نندبه ونقول: وابسطاماه».

(٢) أجدك: أجدا منك. تخب: تسير الخبب، وهو ضرب من السير. العذافرة: الشديدة الضخمة، أراد ناقة. الذمول: السريعة.

(٣) البدن: الدرع القصيرة، وكانوا يجعلون الدروع وراء رحالهم في الحقائب ليلبسوها عند الحرب. المرببة: التي يغذونها في بيوتهم، عنى الفرس. الذؤول، بالذال معجمة: من الذألان، وهو مشي سريع. وكانوا يركبون الإبل في الغزو ويجنبون الخيل بجوارها، فإذا حضرت الحرب تحولوا إلى الخيل.

(٤) أرعن: يعني جيشاً كأنه رعن جبل، وهو أنفه المقدم. مكفهر: مرتفع عال كريه المنظر. تضمر: تصنع وتغذي. الطوابق: جمع «طابق» أو «طبق» وهما بمعنى العضو، وأراد أجزاء الجيش.

(٥) المرباع: ربع الغنيمة، كان الرئيس يأخذه في الجاهلية. الصفايا: جمع صفية، وهي ما كان يصطفيه الرئيس لنفسه من خيار الغنيمة، وقد ثبتت هذه في الإسلام. النشيطة: ما أصابه الجيش في طريقه قبل الغارة من فرس أو ناقة. الفضول: ما فضل فلم ينقسم نحو الإداوة والسكين، وهذان النوعان قد سقطا في الإسلام.

(٦) المعنى: المصيبة كبيرة وليس من يضارع بسطاماً لذا يصعب الثأر له إذ ليس له ند.

(٧) الألاءة شجرة من شجر الرمل. وشبه جبينه، لصفائه وانحسار الشعر عنه، بالسيف الصقيل.

(٨) المعنى: إن بكاه قومه فحق لهم البكاء لأنهم فجعوا بفارس صادق.

بِمِطعَـــامٍ إذَا الأشـــوالُ رَاحَـــتْ إلــى الحُجَـرَاتِ ليـس لهـا فَصِيـلُ[1]

[ومِقْـــدامٍ إذا الأبطـــالُ خَـــامَـــتْ وعَـــرَّدَ عـــن حَليلَتِـــه الحَلِيـــلُ][2]

(١) الأشوال: جمع شول، وهي الإبل التي شالت ألبانها، أي ارتفعت. الحجرات: جمع حجرة، وهي حظيرة الإبل. الفصيل: ولد الناقة.

(٢) خامت، بالخاء معجمة: جبنت ونكصت. عرد: أحجم وفر. والحليلة والحليل: الزوجة والزوج.

ـ ٩ ـ

وقــــال:
وأنشدني لعُقبَةَ بن سابق(١) في صفةِ الخيْل

وجَـــرْفٍ سَبْسَــــب، يَجْـــرِي عليـــــه مُـــــورُهُ، جَـــدْبِ(٢)
تَعَسَّفْـــــتُ علَـــــى وَجْنَـــــاءَ حَـــرْفٍ حَـــرَجٍ رَهْـــــبِ(٣)
طَليـــــحٍ كـــــالْفَنِيـــــق القَـطِـــم المُسْتَكْبِـــر الصَّعـــــبِ(٤)
تَهَـــادَى بـــــالــــرُّدَافَـــى وتَشَكَّـــى وَجَـــعَ النَّكْـــــبِ(٥)

(١) لم نجد له ترجمة، واختلفت المصادر فيه، وأكثرها يذكره باسم «عقبة بن سابق الهزاني» بكسر الهاء وتشديد الزاء، فهو من بني هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان. وذكره ابن الأعرابي في كتاب الخيل وسماه «عقبة بن سالم الهزاني» ونرجح أن «سالم» تحريف عن «سابق». وذكره المبرد في الكامل باسم «عقبة بن سابق العنبري» والظاهر أن «العنبري» محرفة عن «العنزي» نسبة إلى أصل القبيلة.

مضمون الأبيات: يفخر في أولها بقطعه البيد والسباسب على ناقة شديدة، وبأنه ينضي ناقته في الأسفار. ثم يصف فرسه وصفاً مسهباً طويلاً، يتناول فيه أعضاءه وشدته، وسرعته، وأنه يصيد به حمر الوحش والخواضب من النعام، لا يفلته شيء منها حين يقصد إليه.

(٢) الجرف: ما جرفته السيول وأكلته من الأرض. السبسب: المتسع من الأرض. موره: المور، بضم الميم، هو الغبار المتردد تثيره الريح. الجدب: المحَل.

(٣) تعسفت: التعسف ركوب المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية. الوجناء: الناقة الغليظة. الحرف: الضامرة. الحرج: الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. الرهب: التي استعملت في السفر وكلت.

(٤) الطليح: التي جهدها السير وهزلها، يقال للذكر والأنثى. الفنيق: الفحل الشديد الغليظ. القطم: المشتهى للضراب والنكاح.

(٥) تهادى: تتهادى، أي تتمايل في مشيها. الردافي: جمع ردف ورديف. النكب: أن ينكب الحجر ظفراً أو حافراً أو منسماً.

وعَنْـــسٍ قـــد بَــــرَاهَـــا لَ ـــذَّةُ الْمَـــوْكِـــبِ والشَّـــرْبِ (١)
رفَعنَــــاهَـــا ذَمِيـــلاً فـــي مُعَـــالَـــى مُعْمَـــلٍ لَحْـــبِ (٢)
وقـــد أَغْـــدُو بِطِـــرْف هَيْـ كَـــلٍ ذِي خُصَـــلٍ سَكْـــبِ (٣)
أَسِيـــــلِ سَلْجَـــــمِ المُقْبَـ ـــلِ لا شَخْـــتٍ ولا جَـــأْبِ (٤)
مِسَـــــحٍّ لا يُـــوَارِي العَـ ـيْـــرَ منـــهُ عَصَـــرُ اللِّهْـــبِ (٥)
لَـــه سَـــاقَـــا ظَلِيـــمٍ خـــا ضِـــبٍ فـــوجِـــىءَ بـــالـــرُّعْـــبِ (٦)
وقُصـــــرَى شَنِـــجِ الأَنْسَـــا ءِ نَبَّـــاحٍ مـــنَ الشُّعْـــبِ (٧)
ومَتنَــــانِ خَظَــــاتـــانِ كَـــزُحْلـــوفٍ مـــنَ الهَضْـــبِ (٨)

---

(١) العنس: الناقة الصلبة. الموكب: القوم الركوب على الإبل للزينة، وكذلك جماعة الفرسان. الشرب: اسم لجمع شارب، وقيل هو جمع.

(٢) الذميل: السير السريع اللين، ورفعها: سارها ذلك السير. المعالي: الذي عولى، أراد طريقاً. المعمل: الطريق اللحب المسلوك واللحب: الواضح.

(٣) الطرف: الكريم الأبوين، أراد فرسه. الهيكل: الفرس الطويل الضخم. الخصل: خصل الشعر. السكب: الجواد الكثير العدو.

(٤) الأسيل: يعني أسيل الخد، وهو السهل اللين الدقيق المستوي. السلجم: الطويل. المقبل: أي عند إقباله. الشخت: الدقيق. الجأب: الغليظ.

(٥) المسح: الجواد السريع، كأنه يصب الجري صباً. العير: حمار الوحش. العصر: الملجأ والمنجاة. اللهب: الصدع في الجبل. يريد أنه لسرعة عدوه لا يستطيع العير أن يلجأ منه إلى غار أو نحوه.

(٦) الظليم: ذكر النعام. الخاضب: الظليم قد احمر جلده وساقاه، وهو إذ ذاك سريع العدو لا تطلبه الخيل، وإذا فوجىء بالرعب كان أشد لعدوه.

(٧) القصرى، بضم القاف: أسفل الأضلاع. شنج الأنساء: متقبضها. والنسا: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر. والشعب: جمع أشعب، وهو الظبي إذا أسن ونبتت لقرونه شعب؛ وهو ينبح في تلك الحال.

(٨) المتنان: مكتنفا الصلب. خظاتان: تثنية «خظاة» وهي المكتنزة من كل شيء. الزحلوف: المكان الزلق في الرمل والصفا. الهضب: التلة.

تَـــــرَى فَـــــــاهُ إذَا أقبـ ـــلَ مثـلَ السَّلَــق الجَــدْبِ[1]

لـــــه بَيْـــــنَ حَـــوَامِيـــــهِ نسُــــورٌ كَنَـــوى القَسْـــبِ[2]

حَــدِيــــدُ الطَّـــرْف والمَنْكِـ ـــبِ والعُــرْقُــوبِ والكَعْــبِ[3]

جَـــوَادُ الشَّـــدِّ والتَّقْـــرِيـ ـــبِ والإحْضَــار والعقْـــبِ[4]

يَخـــــدُّ الأرْضَ خــــدًّا بـ ـصُمُــــــلٍ سَلِــــــط وَأْبِ[5]

يَــزيـــن البَيْــتَ مــربــوطــاً ويَشفِـــي قــرَمَ الـــرَّكْـــبِ[6]

ويُـــرْدِي الخَـــاضِـــبَ الأخـــرَ جَ فـــي ذِي عَمَـــدِ صُهْـــبِ[7]

وفَحْـــلَ العَـــانَـــةِ الجُـــونِ الـ ـخِمـــاصِ النُّحُـــصِ الحُقْـــبِ[8]

يَهُـــــزُّ العُنُـــــقَ الأَجْــــــرَ دَ فـــي مُسْتَـــأْمَـــن الشَّعْـــبِ[9]

---

(١) السلق: الأرض المنجردة من النبات.

(٢) الحوامي: ميامن الحافر ومياسره. النسور: جمع نسر، وهو لحمة صلبة في باطن الحافر كأنها حصاة أو نواة. القسب: رديء التمر. النوى: البذور.

(٣) الطرف: العين. عرقوب الدابة: هو في رجلها بمنزلة الركبة في يدها. وحديد هنا بمعنى قوي من الحدة.

(٤) جواد الشد: يجود بجريه عند الشد. والتقريب والإحضار والعقب وكلها أنواع من الجري.

(٥) يخد الأرض: يشقها ويؤثر فيها بحوافره. الصمل من الحوافر: الشديد الخلق. حافر سلط، بسكون اللام. وسليط: شديد. الحافر الوأب: الشديد المنضم السنابك الخفيف.

(٦) القرم: شدة شهوة اللحم. وإنما يشفى قرمهم بما ينيلهم من الصيد. وهو لقوته وجماله يزين البيت.

(٧) يردي: يسقط. الأخرج: الذي لون سواده أكثر من بياضه كلون الرماد. العمد بفتحتين: جمع عمود. وعمودا الظليم: رجلاه. الصهب: جمع أصهب وصهباء، والصهبة: الحمرة. والخاضب: أحمر الساقين.

(٨) العانة: القطعة من إناث الحمير. الجون، بضم الجيم: جمع «جون» بفتحها، يقال للأبيض وللأسود، وهو هنا الأبيض، لأن حمر الوحش توصف بالبياض، كما في اللسان. الخماص: الجياع الضامرة البطون. النحص: جمع نحوص، وهي الأتان الوحشية التي لا ولد لها. الحقب: التي في بطنها بياض، جمع «أحقب» و «حقباء».

(٩) الأجرد: القليل الشعر. الشعب: شعب الرأس وهي أجزاؤه.

— ١٠ —

وقال عُرْوَةُ بنُ الوَرْدِ(١)

أَقِلِّـي عَلَـيَّ اللَّـوْمَ يـا ابْنَـةَ مُنْـذِرِ ... ونامي، فإن لم تَشتَهي النَّومَ فاسْهَري(٢)
ذَرِينـي ونَفسـي أُمَّ حَسَّـانَ، إننـي ... بهـا قَبْلَ أَن لا أَمْلِكَ البيـعَ مُشْتَرِي(٣)
أحـاديـثُ تَبْقَـى والفَتـى غيـرُ خـالـدٍ ... إذَا هـو أَمْسـى هـامـةً تحـت صُبَّـرِ(٤)

---

(١) هو عروة بن الورد بن زيد العبسي (نحو ٣٠ ق. هـ/ ٥٩٤ م) شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها. وكان يدعى «عروة الصعاليك» لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم. وقيل إنه لقب بذلك للبيت ١٣ من هذه القصيدة. قال عبد الملك بن مروان: من قال إن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد.

مضمون الأبيات: توجه بالخطاب في هذه القصيدة إلى امرأته سلمى، وهي ابنة منذر، وكانت تلومه على الخطار بنفسه، وإدمانه الغزوات والغارات في أحياء العرب، فرد عليها قولها بأنه إنما يبغي بذلك المجد وجمع المال لها ليكفيها بعد موته. ثم هو يرسم سياسة للصعاليك، فهو لا يرضيه الصعلوك الخامل الذي لا يسعى لالتماس المال، وإنما يريده على أن يكون غازياً جريئاً يخشاه الناس في المحضر والمغيب، لا يأمنون غزوه. ثم يحتج لسياسته التي جرى عليها بأنه يريد أن يكفي قبيلتي «معتم» و «زيد» ويسد حاجتهما، ويعلن أنه سيواصل الغارات متزعماً لأصحابه، لكي يشبع رغبة الجود والبذل التي لا تفارقه.

(٢) ابنة منذر: امرأته، وهي سلمى، التي سباها من كنانة وأعتقها وأولدها أولاده.

(٣) أم حسان: كنية امرأته سلمى. البيع ههنا: بمعنى الشراء. يقول: ذريني أشتري وأبتني بمالي مجداً وذكراً في حياتي، فذريني أبادرها قبل أن يحول الموت بيني وبينها فلا أملك شراء ولا بيعاً.

(٤) الهامة: كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتصيح عند قبره تقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت. الصبر: القبر.

تُجاوِبُ أحْجَارَ الكِناسِ وتشتَكِي ... إلى كلِّ معروف تراهُ ومُنْكَرِ[1]
ذَرِيني أُطوِّفْ في البلادِ لعلَّني ... أُخَلِّيكِ أو أُغْنِيكِ عن سُوءِ مَحْضرِ[2]
فإن فازَ سَهْمٌ للمنِيَّةِ لم أكُنْ ... جَزوعاً، وهَلْ عن ذاكِ من مُتَأَخَّرِ[3]
وإن فازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عن مَقاعِدٍ ... لكمْ خلفَ أدْبارِ البُيوتِ ومَنْظَرِ[4]
تقولُ: لكَ الوَيْلاتُ هل أنتَ تاركٌ ... ضُبُوءاً بِرَجْلٍ تارةً وبِمنسرِ[5]
ومُسْتَثبِتٌ في مَالِك العامَ إنَّني ... أَرَاكَ عَلَى أقتَادِ صَرْماءَ مُذْكِرِ[6]
فَجُوعٍ بها لِلصَّالِحِينَ مَزَلَّةٍ ... مخُوفٍ رَدَاها أنْ تُصِيبَك فاحْذرِ[7]

---

(١) الكناس: موضع. يريد أن الهامة إذا صوتت أجابتها أحجار الكناس بالصدى، فهي تصوت في كل حال، إذا رأت من تعرف ومن تنكر.

(٢) التخلية: الطلاق، كنى بها عن قتله، أي أقتل عنك فأفارقك فتخلي للأزواج.
أغنيك: أي أصيب حاجتي فأغنيك عن أن تحضري محضراً سيئاً، يعني المسألة.

(٣) جعل من سهام الميسر مثلاً له في مقارعته الموت. وفوز السهم: خروجه أولاً. الجزوع: الخائف.

(٤) أدبار البيوت: كان الضيف إذا نزل بقوم نزل بأدبار البيوت حتى يهيأ له مكانه. المقاعد: جمع مقعد.

(٥) الضبوء، بالهمز: اللصوق بالأرض والاستتار ليختل الصيد. الرجل، بفتح الراء وسكون الجيم: الرجالة. المنسر كمجلس ومنبر: الجماعة من الخيل بين الثلاثين إلى الأربعين، وقيل أكثر وقيل أقل، وإنما سمى منسراً لأنه مثل منسر الطائر يختلس اختلاساً ثم يرجع ولا يزحف. تقول له: هل أنت تارك أن تغزو مرة بقوم على أرجلهم فتغير ومرة على خيل.

(٦) الأقتاد: جمع قتد، وهو خشب الرحل. الصرماء: القليلة اللبن. المذكر: قال ابن السكيت: «التي تلد الذكور، وهو أفظع ما يكون من نتاج العرب وأبغضه إليهم». تقول: هل أنت مستثبت هذا العام في مالك، فإني أخاف عليك أن لا ترجع، فإنك لا تزال تغير، فكيف تراك تسلم؟ وجعل من هذه الناقة مثلاً للداهية، وأنها في الدواهي مثل هذه في الإبل.

(٧) فجوع: تفجع الناس، وهو من صفة الصرماء. للصالحين: في جمهرة أشعار العرب أنهم «الرجال الذين يطلبون معالي الأمور»، وفي شرح ابن السكيت: «الصالحون عند العرب ذوو المعروف لا ذوو الدين». مزلة: تزل بأهلها. الردى: الموت.

أبَى الخَفْضَ مَنْ يَغْشاكِ مِن ذِي قرابة ... ومِن كـلِّ سَـوْدَاءِ المَعَـاصِـم تَعْتـرِي [1]

ومُسْتَهْنِـــىءٍ زيْـــدٌ أبـــوهُ فـــلا أرَى ... له مَدْفَعاً، فاقْنَيْ حَياءَكِ واصْبِرِي [2]

لَحَـى اللَّـهُ صُعلُـوكـاً إذَا جَـنَّ ليلُـهُ ... مَضَى في المُشَاشِ آلِفَاً كلَّ مَجزَرِ [3]

يَعُـدُّ الغنـى مـن دهْـره كـلَّ ليلـة ... أصـابَ قـرَاهـا مِـن صـديـقٍ مُيَسِّـرِ [4]

قلِيـلِ الْتِمَـاسِ المـالِ إلاَّ لنفسِـه ... إذَا هو أضحَى كالعَرِيش المُجَوَّرِ [5]

ينـامُ عَشَـاءً ثـم يُصْبِـحُ قـاعـداً ... يَحُـتُّ الحَصَـى عـن جَنْبِه المُتعَفِّـرِ [6]

يُعِيـنُ نسـاءَ الحَـيِّ مـا يَسْتَعِنَّـهُ ... فيُضْحِـي طَلِيحـاً كـالبعيـرِ المُحسَّـرِ [7]

وللَّــهِ صُعْلــوكٌ صَفِيحَــةُ وَجهـِـهِ ... كضَـوْءِ شِهَـابِ القـابِـسِ المُتَنَـوِّرِ [8]

---

(١) الخفض: الدعة ولين العيش. سوداء المعاصم: يريد أنها جهدت من الجدب والجهد والهزال فلم تلبس قفازين على يديها ولم تصن نفسها أو من شدة الجوع والبرد وحضور النيران للاصطلاء. والمعنى: تريدين من الخفض والدعة، ودفعني إلى طلب المغنم في الغارات، من يطرقك من ذي قرابة ومن يعتريك من الفقراء.

(٢) المستهنىء: طالب الهنء، بكسر الهاء وهو العطاء. زيد أبوه يعني رجلاً من قومه يجمعه وإياه زيد، وهو جد عروة، يريد أن مما يحمله على الغارة خشية أن يطرقه قريبه هذا فلا يجد عنده ما كان عوده من الصلة، ولا يستطيع رده لقرابته وحاله. فاقني حياءك: احفظيه وأمسكيه عليك.

(٣) لحاه الله: قبحه ولعنه. الصعلوك: الفقير. المشاش: رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها. المجزر: موضع الجزر وهو الذبح والنحر.

(٤) الميسر، بكسر السين المشددة: الذي سهلت ولادة إبله وغنمه ولم يعطب منها شيء. يريد أن هذا الصعلوك إذا ملأ بطنه عده غنى ولم يبال ما وراءه من عياله وقرابته.

(٥) العريش: خيمة من خشب أو جريد. المجور: الساقط. يقول: إذا شبع فملأ بطنه ألقى نفسه كأنه عريش قد انهار.

(٦) يقول: ليس بصاحب إدلاج ولا غزو.

(٧) الطليح المعيي. المحسر: المعيي أيضاً.

(٨) صفيحة الوجه: بشرة جلده. الشهاب: شعلة من نار ساطعة. القابس: الذي يقبس النار، أي يأخذها. المتنور: المضيء.

مُطِـلاًّ علَـى أعـدائِـه يـزْجُـرُونَـهُ بِسـاحَتِهِـمْ زَجْـرَ المَنيـحِ المُشَهَّـرِ (١)
وإن بَعُـدُوا لا يَـأْمَنُـونَ اقْتِـرَابَـهُ تَشـوُّفَ أهـلِ الغـائـبِ المُتَنظَّـرِ (٢)
فـذلـك إن يَلْـق المنيـة يلْقَهَـا حَميـداً، وإن يَسْتَغْـنِ يـومـاً فـأَجْـدِرِ (٣)
أَتَهْلِـك مُعْتَـمٌّ وزَيْـدٌ ولـم أُقِـمْ على نَدَب يوماً ولي نَفْسُ مُخْطِرِ (٤)
سَيُفْـزِعُ بَعْـدَ اليـأْسِ مَـن لا يَخـافُنـا كـواسِـعُ فـي أُخْـرَى السَّـوامِ المُنَفَّـرِ (٥)
نطـاعِـنُ عنهـا أوَّلَ القَـومِ بِـالقَنـا وبيـض خِفـاف وقعُهُـن مُشهَّـرُ (٦)
ويـومـاً علـى غـاراتِ نَجْـد وأهلِـهِ ويـومـاً بـأرضٍ ذاتِ شـثٍّ وعَـرْعَـرِ (٧)
يُنَـاقِلـنَ بـالشُّمـطِ الكِـرَامِ أُولـي النُّهَـى نِقَاب الحِجَاز في السَّريح المُسَيَّرِ (٨)
يُـريـحُ علـيَّ اللَّيـلُ أَضيـافَ مـاجِـدٍ كـريـم، ومـالـي سَارحـاً مـالُ مُقتِـرِ (٩)

---

(١) مطلاً على أعدائه: مشرفاً عليهم، يغزوهم أبداً فهو بذلك عال عليهم. يزجرونه: يصيحون به كما يزجر القدح إذا ضرب. المنيح ههنا: قدح مستعار سريع الخروج والفوز، يستعار فيضرب ثم يرد إلى صاحبه. المشهر: المشهور.

(٢) يقول: إن بعد أعداؤه لم يهله بعدهم أن يغزوهم، وهم لا يأمنون ذاك منه، فهم ينتظرونه في كل ساعة كما ينتظر أهل الغائب غائبهم متى يقدم، فأعينهم إليه يتشوفونه.

(٣) المعنى: فهذا إن مات مات محمودا وإن أصابه الغنى فهو جدير بذلك.

(٤) معتم وزيد: بطنان من عبس، وهما جداه. الندب، بفتحتين: الخطر. يقول: أيهلك في حياتي هذان ولم أقم نادبا نفسي فأخاطر حتى أغنيهما ولي نفس أخاطر بها دونهم.

(٥) كواسع: خيل تطرد إبلا تكسعها في آثارها. السوام: الإبل السائمة. وأخراها: آخرها. المنفر: المذعور. يقول: ستفزع خيلنا من يئس من غزونا وأمننا.

(٦) البيض: السيوف. القنا: الرماح. وفي البيت إقواء ومشهر: مشهور.

(٧) الشث والعرعر: نوعان من أشجار الجبال.

(٨) المناقلة: حسن نقل القوائم في سرعة السير. الشمط: جمع «أشمط» وهو الذي خالط سواد شعره بياض. أراد بهم الفرسان ذوي السن والتجربة. النقاب: جمع «نقب» وهو الطريق الضيق في الجبل. السريح: السيور تشد بها النعال. المسير: الذي جعل سيوراً. عنى بالسريح المسير نعال الخيل. أولي النهي: أصحاب العقول الراجحة.

(٩) يريح: يرد. ماجد: يريد نفسه. مالي: إبلي. المقتر: المقل.

ـ ١١ ـ

وقال أسماءُ بنُ خارِجَةَ(١)

إنِّـــي لسَـــائِـــلُ كـــلِّ ذِي طِـــبِّ: مـــاذا دَواءُ صَبَـــابـــةِ الصَّـــبِّ؟(٢)
ودَواءُ عـــاذلـــةٍ تبـــاكِـــرُنـــي جعلَـــتْ عِتـــابِـــي أَوْجَـــبَ النَّحـــبِ(٣)

---

(١) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري (٦٦ هـ/ ٦٨٦ م). كان شريفاً جواداً كريماً لبيباً، وكان غلاماً شاباً يوم صحراء فلج في الجاهلية، وأسر بسطام بن قيس يومئذ أمه في نسوة، وهي امرأة من بني كاهل بن عذرة بن سعد هذيم، وأسماء يذكر ذلك. وهو من المخضرمين ذكره ابن حجر فيهم، وكان الشعراء يمدحونه، كالقطامي وعبدالله بن الزبير الأسدي والفرزدق وأعشى ربيعة. وكانت بنته هند زوجاً للحجاج، وكان ابنه مالك بن أسماء من ولاته وعماله. ولأسماء شعر رائع جيد، وهو الذي قال: «ما شتمت أحداً قط». وقال الحجاج إذ بلغه موته: «هل سمعتم بالذي عاش ما شاء ومات حين شاء؟!».

مضمون الأبيات: يسائل ذوي المعرفة عن دواء الصبابة، ويعلن سخطه على العاذلة التي ألحت في عذله، مع أنه قد جربته العواذل قبلها فألفينه لا يأبه بهن، بل هو يذهب إلى أن العاذلة قد هاجت منه ذكرى الحبيبة فطفق يذكر منها المحاسن ويشبب بها ويتمدح قبيلها. وهو لا ينسى بعد ذلك أن يفخر باجتياز البلاد المجهولة الموحشة، ويصف ما تثيره في نفسه من خوف وما بها من صدى وجنان عوازف. ثم يطرق معنى أولع به بعض الشعراء، وهو المبالغة في كرم الضيافة، التي تجعل من الذئب الجائع ضيفاً لهم يقرونه ويأنسون به. وقد وجه الخطاب في فن جميل وصنعة رائعة. ثم يصف حاجة هذا الذئب الذي استدر عطفه، ودفعه ذلك أن ينحر له أكرم إبله عليه، لينال منها ما يطعم هو وعياله.

(٢) الطب، بثليث الطاء: علاج الجسم والنفس. الصبابة: الشوق. الصب المشتاق.

(٣) النحب: ههنا النذر. العاذلة: اللائمة.

أَوَ ليسَ من عَجَبٍ أُسائلُكُمْ: ما خطْبُ عاذِلَتِي وما خطْبِي[١]

أبِها ذَهابُ العقلِ أمْ عَتَبَتْ فأَزِيدَها عَتْباً على عَتْبِ[٢]

أوَ لمْ يُجَرِّبْني العواذلُ، أوْ لم أبْلُ من أمثَالِها، حَسْبي[٣]

ما ضَرَّها أن لا تُذَكِّرَني عَيْشَ الخِيَامِ لَيالِيَ الخَبِّ[٤]

ما أَصْبَحَتْ في شَرِّ أخبِيَةٍ ما بَيْنَ شَرْقِ الأرضِ والغَرْبِ[٥]

عَرَفَ الحِسانُ لها جُوَيْرِيَةً تَسْعَى معَ الأَتْرابِ في إتْبِ[٦]

بِنْتَ الذينَ نَبِيَّهمْ نَصَرُوا والحقَّ عِنْدَ مواطِنِ الكَرْبِ[٧]

والحَيُّ من غَطفَانَ قد نَزَلُوا من عِزَّةٍ في شامِخٍ صَعْبِ[٨]

بَذَلُوا لكلِّ عِمَارَةٍ كَفَرَتْ سُوقَيْنِ من طَعْنٍ ومن ضَرْبِ[٩]

حتى تَحَصَّنَ منهم مَنْ دُونَه ما شاءَ مِن بَحرٍ ومن دَرْبِ[١٠]

بلْ رُبَّ خَرقٍ لا أَنِيسَ به نَابِي الصُّوَى مُتَمَاحِلٍ سَهْبِ[١١]

---

(١) ما خطب: ما بال.

(٢) العتب: السخط والموجدة. ذهاب العقل: الجنون.

(٣) يجربني: يختبرني. أبل: اختبر، أعرف.

(٤) الخب، بفتح الخاء وكسرها موضع.

(٥) أخبية: جمع خباء.

(٦) الأتراب: من ولدن معها. الإتب، بكسر الهمزة: بردة تشق فتلبس من غير كمين ولا جيب. جويرية: تصغير جارية.

(٧) الكرب: الشدة والحرب.

(٨) شامخ صعب: كناية عن جبل عالٍ.

(٩) العمارة: الحي العظيم يقوم بنفسه.

(١٠) درب كل مدخل إلى الروم درب من دروبها. أراد أن أعداءهم يتحصنون منهم ولا تحميهم الدروب والبحار.

(١١) الخرق: الفلاة تنخرق فيها الريح. الصوى: أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازة المجهولة يستدل بها على الطريق، واحدتها «صوة». ونبوها: ارتفاعها. متماحل: بعيد ما بين الطرفين. السهب: ما بعد من الأرض واستوى في طمأنينة.

يَنسَى الدَّليلُ به هدايتَهُ   مِن هَوْلِ ما يَلْقَى مِنَ الرُّعْبِ[١]
ويَكادُ يَهْلِكُ في تَنائِفِهِ   شَأْوُ الفَريغِ وعَقْبُ ذِي عَقْبِ[٢]
وبهِ الصَّدى والعَزْفُ تَحسِبُه   صَدْحَ القِيانِ عَزَفْنَ للشَّرْبِ[٣]
كابَدْتُه بالليلِ أَعْسِفُهُ   في ظُلْمَةٍ بِسَواهِمٍ حُدْبِ[٤]
ولقد ألَمَّ بِنا لنَقْرِيَهُ   بادِي الشَّقاءِ مُحارَفُ الكَسْبِ[٥]
يَدْعُو الغِنَى أن نالَ عُلقَتَهُ   مِن مَطْعَمٍ غِبًّا إلى غِبِّ[٦]
فطَوَى ثَميلَتَهُ فأَلْحَقَها   بالصُّلْبِ بَعْدَ لُدونَةِ الصُّلْبِ[٧]
يا ضَلَّ سَعْيُكَ، ما صَنَعْتَ بما   جَمَّعْتَ مِن شُبٍّ إلى دُبِّ[٨]
لو كنتَ ذَا لُبٍّ تَعِيشُ به   لَفَعلْتَ فِعْلَ المَرْءِ ذي اللُّبِّ[٩]

---

(١) المعنى: ينسى السائر في ذلك المكان طريقه لشدة ما يلاقي من رعب وخوف.

(٢) التنائف: جمع تنوفة، وهي القفر من الأرض. فرس فريغ: واسع المشي. وشأوه: سبقه. العقب: الجري يجيء بعد الجري الأول. يريد أنه يكاد يهلك الفرس الجواد في هذه المفازة إعياء.

(٣) الصدى: الهامة. العزف: صوت الجن، وهو صوت الرياح في الجو، فتوهمه أهل البادية صوت الجن. القيان: جمع قينة وهي الأمة المغنية. الشرب: جماعة الشاربين.

(٤) أعسفه: أقطعه على غير هداية. السواهم: الإبل الضامرة لشدة التعب، أو: الخيل التي اسودت وتغيرت من شدة التعب. الحدب: جمع حدباء، وهي التي بدت حراقفها وعظم ظهرها.

(٥) ألم بنا: نزل بنا. المحارف، بفتح الراء: الذي لا يصيب خيراً من وجه توجه له. عنى بذلك الذئب. نقريه: من القرى وهو إطعام الضيف.

(٦) العلقة: ما يتبلغ به من الطعام وإن لم يكن تاماً. غبا إلى غب: فترة بعد فترة وأصل الغب: ورد يوم وظمأ آخر. يريد أن هذا الذئب يسمى ما يصيب من قليل الطعام غني.

(٧) أصل الثميلة: البقية من الطعام والشراب تبقى في البطن، أراد أنه طوى بطنه حتى لحقت بصلبه.

(٨) قالوا في المثل «أعييتني من شب إلى دب» بالتنوين، أي مذ شببت إلى أن دببت على العصا. والمعنى: أيها الخائف ماذا فعلت بما جمعته طوال حياتك.

(٩) المعنى: لو كنت عاقلاً حكيماً لفعلت ما يفعله العقلاء.

فجعلتَ صالحَ ما اخترَشْتَ وما ... جَمَّعْتَ، من نَهْبٍ إلى نَهْبِ[1]
وأظنُّه شغْباً تُدِلُّ به ... فلقد مُنيتَ بغايةِ الشَّغْبِ[2]
إذْ ليس غيْرَ مَناصِلٍ نَعْصَابها ... ورحالِنا وركائبِ الرَّكْبِ[3]
فاعْمِدْ إلى أهلِ الوَقيرِ فإنَّما ... يَخْشَى شذَاكَ مُقَرْمِصُ الزَّرْبِ[4]
أحَسِبتَنا مِمَّن تُطِيفُ به ... فاختَرْتَنا للأمْنِ والخِصْبِ[5]
وبغيرِ مَعْرِفَةٍ ولا نَسَبٍ ... أنَّى وشَعْبُكَ ليس من شَعْبِي[6]
لمَّا رأى أن ليس نافِعَهُ ... جِدٌّ تَهَاوَنَ صادِقَ الإِرْبِ[7]
وألَحَّ إلحاحاً بحاجَتِه ... شَكْوَى الضَّريرِ ومَزْجَرَ الكلْبِ[8]
ولَوَى التَّكَلُّحَ يَشتكِي سَغَباً ... وأنا ابنُ قاتِلِ شِدَّةِ السَّغْبِ[9]
فرأيتُ أنْ قد نِلْتُه بأذَى ... مِنْ عَذْمِ مَثْلُبَةٍ ومن سَبٍّ[10]

---

(١) اخترشت: جمعت واكتسبت. النهب: الغنيمة.

(٢) الشغب، بإسكان الغين: تهييج الشر والفتنة والخصام، وفتح الغين لغة ضعيفة أو من كلام العامة. تدل به: تجترىء.

(٣) المناصل: السيوف. نعصا بها: أخذه أخذ العصا، أو ضرب به ضربه بها.

(٤) الوقير: الغنم. يقول للذئب: عليك بأصحاب الغنم، نحن أصحاب إبل. الشذا: الشر والأذى. الزرب: بفتح الزاء وكسرها: حظيرة الغنم. والمقرمص: من قولهم «قرمص» أي دخل في القرموص أو القرماص، وهو حفرة يستدفىء فيها الإنسان الصرد من البرد. أراد المقرمص في الزرب.

(٥) المعنى: أو تظن أننا كمن تهاجم فهاجمتنا طمعاً بالأمن والطعام.

(٦) المعنى: فعلت ذلك دون معرفة سابقة ولا قرابة بيننا فأنت من قوم ونحن من قوم.

(٧) تهاون: استخف به. الإرب: الدهاء.

(٨) الضرير: المضرور بمرض أو هزال أو نحو ذلك. زجر الكلب: نهنهه.

(٩) التكلح: بدو الأسنان عند العبوس. السغب، بفتح الغين وإسكانها: شدة الجوع. وفي رواية اللسان. وأنا ابن بدر قاتل السغب. و «بدر» جده الأعلى.

(١٠) العذم بفتح العين وسكون الذال المعجمة: الأخذ باللسان واللوم، كالمثلبة. السب: الشتم.

ورأيـــــتُ حقًّـــــا أنْ أُضَيِّفَـــــه إذْ رامَ سِلْمـــي واتَّقـــى حــرْبــي [1]

فـــوقَفْـــتُ مُعْتَـــامـــاً أُزاوِلُهـــا بمُهنَّـــدٍ ذِي رَوْنَـــقٍ عَضْـــبِ [2]

فعَـــرَضتُـــهُ فـــي ســـاق أَسْمَنِهـــا ففـــاجْتَـــازَ بيـــنَ الحـــاذِ والكَعْـــبِ [3]

فتـــركتُهـــا لعِيَـــالِـــهِ جَـــزَراً عَمْـــداً، وعلَّـــقَ رَحْلَهـــا صَحْبِـــي [4]

---

(١) المعنى: رأيت أن أضيفه بعد أن اختار المسالمة والمهادنة.

(٢) معتاماً: مختاراً، والاعتيام: الاختيار. أزاولها: يعني الإبل، يزاول عرقبتها بسيفه. والعضب: القاطع.

(٣) الحاذ: الذي يقع عليه الذنب من الفخذين. يريد أنه عرض سيفه في ساقها فعرقبها بين الفخذ والكعب.

(٤) الجزر: ما جزر، أراد أنه ترك الناقة بعد عرقبتها طعاماً لعيال الذئب، ثم حمل صحبه ما كان عليها من رحل.

ـ ١٢ ـ

وقال رجلٌ من غَنيٍّ

قلت: هو سَهْمُ بنُ حَنْظَلَةَ الغَنَوِيُّ[١].

إنَّ العـــواذلَ قـــد أَتعَبْنَنـــي نَصبَـــا ... وخِلتُهُـــنَّ ضَعيفـاتِ القُـوَى كُـذُبَـا[٢]

الغـاديـاتُ علـى لـوْمِ الفَتَـى سَفَهـاً ... فيمـا استفـاد ولا يَـرْجِعْـنَ مـا ذَهَبَـا[٣]

يَـا أَيُّهـا الـراكـبُ المُـزْجِـي مَطِيَّتَـهُ ... لا نِعْمَـةً تَبْتَغِـي عنـدي ولا نسَبَـا[٤]

اعصِ العواذلَ وارْمِ الليلَ عن عُرُضٍ ... بـــذي سَبِيـبٍ يُقـاسِـي ليلَـهُ خَبَبَـا[٥]

(١) سهم بن حنظلة الغنوي (نحو ٧٠ هـ/ ٦٩٠ م) هو سهم بن حنظلة بن جاوان بن خويلد من بني غني بن أعصر: فارس شاعر، من أهل الشام، أدرك الجاهلية وعاش في الإسلام إلى أيام عبد الملك بن مروان.

مضمون الأبيات: يشكو العواذل. ثم يبذل نصحه لمن يرجو الغنى أن لا يقعد عاجزاً، وإنما ينطلق في الأرض جاداً، على فرس منعوت، حتى يصادف المال أو يلقى المنية، فإن أحدهما أشرف من القعود وسؤال مولى السوء، الذي يدنو منه حين اليسر، ويتنكر له إذا أصابه العسر. ثم يبث روح الأمل في صاحبه، الأمل في الحياة، والأمل في رحمة الله التي وسعت كل شيء. ثم يبين له تقلب الحالات ومداولة الأيام، ويزين له ما في اللباقة والحلم والجرأة من جمال، وينصحه أن لا يبطره الغنى ويذهله عن أهله وذوي قرباه. ينتقل بعد ذلك إلى الفخر بحزمه مع العدو والصديق، وبعزة قومه وكرم منصبه، وبلاء عشيرته في الحفاظ والحرب وقهر العدو.

(٢) المعنى: يشكو تعبه من العواذل وينعتهم بنقص العقل والكذب.

(٣) المعنى: يرى أن كلام العواذل لا يقدم ولا يؤخر ولا يفيد شيئاً.

(٤) أزجى المطية: إذا ساقها ونهرها.

(٥) رماه عن عرض: أي عن شق وناحية لا يباليه. بذي سبيب: يعني فرساً، والسبيب: شعر الناصية. الخبب: ضرب من العدو. ويقاسي هنا بمعنى يمضي.

نـابـي المَعـدَّيـن خـاظٍ لحمُـه زِيَـمٌ سَـامٍ يجُـذُّ جيـادَ الخيـل مُنجَـذِبَـا[١]
مـلءِ الحـزام إذَا مـا اشتَـدَّ مَحـزِمُـهُ ذِي كـاهـلٍ ولَبَـانٍ يَمـلأُ اللَّبَبَـا[٢]
يَظَـلُّ يَخْلِـجُ طَـرْفَ العَيْـن مُشتَـرِفـاً فَـوق الإكـام إذا مـا انتَـصَّ وارتقَبـا[٣]
كـالسِّمْـع لـم يَنْقُـبِ البَيْطـارُ سُـرَّتَـهُ ولـم يَـدِجْـهُ ولـم يَضْـرِبْ لـه عَصَبَـا[٤]
عـارِي النَّـواهـقِ لا يَنْفَـكُّ مُقتَعَـداً في المطنِباتِ كأَسرابِ القطَا عُصَبَا[٥]
تـرَى العَنـاجِيـجَ تُمْـرَى بَعْـدَمـا لَغِبَـتْ بـالقِـدِّ مَـرْيـاً، ومـا يُمْـرَى ومـا لغِبَـا[٦]
يُـدْنـي الفَتَـى للغِنَـى فـي الـراغِبيـنَ إذَا لَيْـلُ التِّمَـام أَهَـمَّ المُقْتِـرَ العَـزَبَـا[٧]

---

(١) المعدان: موضع دفتي السرج، ونبوهما: ارتفاعهما. الخاظي: الكثير اللحم. لحمه زيم: متعضل متفرق ليس بمجتمع في مكان فيصير بادناً. السامي: المرتفع. يجذ: يقطع، يعني أنه يقطعها عن اللحاق به. الانجذاب: سرعة السير.

(٢) ذي كاهل: أي ذي كاهل عظيم، وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق. اللبان، بفتح اللام: الصدر. اللبب: ما يشد في صدر الدابة ليمنع استئخار السرج أو الرحل. اشتد محزمه: وضع عليه الحزام.

(٣) يخلج: يحرك. المشترف: المشرف، وذكور الخيل توصف بالإشراف في جريها. الإكام: جمع أكمة. انتص: ارتفع. ارتقب: أشرف وعلا فوق علم أو رابية.

(٤) السمع، بكسر السين: ولد الذئب من الضبع. لم يدجه: لم يقطع ودجه، وهو عرق في العنق، والوديج والودج: قطعه، وهو في الدواب كالفصد في الناس. والمراد بالبيت أن هذا الفرس بريء من العلل، لم يحتج إلى بيطار والبيطار: معالج الدواب.

(٥) عاري النواهق: الناهقان: عظمان شاخصان في وجه ذي الحافر أسفل عينيه وعريهما تجردهما من اللحم. وقيل بل هي عروق اكتنفت خياشيمها لأن النهاق منها. مقتعداً: مركوباً، والاقتعاد الركوب. المطنبات: التي يتبع بعضها بعضاً في السير. جعل خيل هذه الغارة كالقطا سرعة وتجمعاً. والعصب: الجماعات.

(٦) العناجيج: الجياد الروائع من الخيل. تمري: يستخرج ما عندها من الجري بسوط أو غيره. لغبت: تعبت وأعيت. القد، بالكسر: السوط. يقول: لا يحتاج هذا الفرس إلى حفز بالسوط أو غيره ولا يعيا. والمري في الأصل مسح ضرع الناقة لتدر.

(٧) الراغبون: أراد بهم الأغنياء الموسرين، ليل التمام: أطول ليالي الشتاء. المقتر: الفقير المقل. العزب: الذي لا زوج له. أهم: جلب له الهم.

حتــى يُصَــادِفَ مــالاً أو يُقــالَ فَتًــى   لاقَى التي تشْعبُ الفِتيَانَ فانْشعبَا[1]
إنَّ انتيَــابَــكَ مَــوْلَــى السَّــوْءِ تَسْــأَلُــه   مثــلُ القُعــودِ ولمَّــا تَتَّخِــذْ نَشَبَــا[2]
إذَا افتقــرت نَــأَى واشتَــدَّ جــانِبُــه   وإن رآكَ غنيَّــا لانَ واقتَــرَبَــا[3]
وذُو القَــرَابَــة عنــد النَّيْــل يَطلُبُــه   وَهْــوَ البعيــدُ إذا مــا جئــتَ مُطَّلِبَــا[4]
لا يَحْمِلَنَّــك إقتــارٌ علــى زُهُــدِ   ولا تَــزَلْ فــي عطــاءِ اللَّــهِ مُــرْتغِبَــا[5]
لا، بَـلْ سَـلِ اللَّـهَ مـا ضنُّـوا عَلَيْكَ بـه   ولا يَمُــنُّ عليــك المــرءُ مــا وهَبَــا[6]
ألاَ تَــرَى أَنَّمــا الــدنيــا مُعَلِّلــةٌ   أصحــابَهــا ثــم تَسْرِي عنهــمُ سَلَبَــا[7]
بَيْنَــا الفتَــى فــي نعيــمٍ يَطمَئِــنُّ بــه   رَدَّ البَئِيــسَ عليــه الــدهــرُ فــانقلَبَــا[8]
أو فــي بَئِيــسٍ يُقــاسيــه وفــي نَصَــب   أَمْسَــى وقــد زايَــلَ البــأْســاءَ والنَّصَبَــا[9]
ومَــنْ يُسَــوِّي قَصيــراً بــاعُــهُ حَصِــراً   ضَيْــقَ الخليقــةِ عَثَّــاراً إذَا رَكِبَــا[10]
بِــذِي مَخَــارِجَ وَضَّــاحٍ، إذا نُــدِبُــوا   في الناس يوماً إلى المَخْشِيَّةِ انتدبَا[11]

---

(١) تشعب الفتيان: تفرقهم وتهلكهم، عنى بها المنية، ومن ذلك تسمى شعوب.

(٢) انتيابك: انتاب الرجل القوم: قصدهم وأتاهم مرة بعد مرة. النشب: المال الأصيل.

(٣) يقول: إذا صرت فقيراً ابتعد عنك وتشاوف عليك (يقصد مولى السوء) وإذا صرت غنياً تظاهر باللين والدماثة وطلب القرب والمودة.

(٤) يقول: وهو يقرب منك إذا رغب في نيلك وعطائك، فإذا ما طلبت منه شيئاً نأى عنك. يقصد بذلك مولى السوء الذي ذكره سابقاً.

(٥) الزهد الانصراف عن الدنيا. مرتغباً: راغباً. الأقتار: قلة العطاء.

(٦) المعنى اطلب ما بخلوا به عليك من الله ولا تحمل منة الناس.

(٧) التعليل: أن يلهيه ويشغله بالقليل. تسري عنهم السلب: تنزعه، والسلب ما يسلب، أي تأخذ ما أعطت.

(٨) البئيس: مصدر كالبؤس.

(٩) يريد: أو بينا هو في بؤس إذا هو صار في نعيم. والنصب: الهم والتعب.

(١٠) الباع: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما، وقصره يكنى به عن العجز وضعف الحيلة. الحصر: العيي في منطقه. الضيق، بإسكان الياء: مخفف «الضيق» بتشديدها. عثار: من عثر أي من يحاول الركوب فيقع.

(١١) بذي مخارج: يعني من يسوي ذاك برجل يحسن الخروج من المآزق. الوضاح: الحسن =

لا تَـكُ ضبًّـا إذا اسْتَغنَـى أَضَـرَّ ولـم يَحْفِـلْ قـرابـةَ ذي قُـرْبَـى ولا نَسَبَـا[1]
اللَّـهُ يُخلِـفُ مـا أنفقـت مُحتسِبـاً إذا شكـرت، ويُـؤْتِيـكَ الـذي كتبَـا[2]
مِثلـي يـرُدُّ علـى العَـادِي عَـدَاوَتـه ويُعْتِـبُ المـرءَ ذَا القُـرْبَـى إذا عَتَبَـا[3]
تَحْمَـــي عَلـــيَّ أُنُـــوفٌ أن أذِلَّ ولا يَحمِـــي مُنَـــاوئُهَـــا أَنْفـــاً ولا ذَنَبَـــا[4]
أَنَـا ابـنُ أَعْصُـرَ أَسْمُـو للعُلَـى وتَـرَى فيمـن أُقـاذِفُ عـن أعـراضِهـمْ نكَبَـا[5]
إذا قُتَيْبَـــةُ مَـــدَّتنِـــي حَـــوَالِبُهَـــا بالدُّهْمِ تسْمَعُ في حافاتِها لجَبَا[6]
مَـدَّ الخليـجِ تـرَى فـي مَـدِّهِ تَـأَقـاً وفـي الغَـوَارِبِ مـن آذِيِّـهِ حَـدَبـا[7]
لا يمنـعُ النَّـاسُ مِنِّـي مـا أردتُ ولا أُعطيهـمُ مـا أرادوا، حُسْنَ ذَا أَدَبَـا[8]
لا تُخْفَضُ الحرب للدُّنيا إذا اسْتَعَرَتْ ولا تَبُـوخُ إذَا كُنَّـا لهـا شُهُبَـا[9]
حَتَّـى نشُـدَّ الأَسـارَى بعـدَ مـا فَزِعُـوا مـن بَيـنِ مُتّكـيءٍ قـد فَـاظَ أو كَـرَبَـا[10]

= الوجه الأبيض البسام. المخشية: الأمر العظيم يخشى منه. انتدبا، ندبه للأمر فانتدب له، أي دعاه له فأجاب.

(١) لم يحفل: لم يبال. والضب يضرب به المثل في العقوق، يقال أعق من ضب. والمعنى: إياك والبطر إذا أصابك الغنى.

(٢) إن الله يرد عليك ما أنفقت في سبيله وبشكرك له يرزقك ما هو لك.

(٣) عتب: سخط ووجد. وأعتبه: أزال ما كان سبباً للسخط والموجدة. العادي: المعتدي.

(٤) المناوأة: المفاخرة والمعاداة. يريد أن قومه يأبون ذله، وأن مناوئهم لا يحمي شيئاً.

(٥) أعصر: هو ابن سعد بن قيس بن عيلان، وهو أبو غني قبيل الشاعر. النكب، بفتح الكاف: شبه ميل في المشي. وأقاذف: أرمي، أدافع.

(٦) قتيبة: هو ابن معن بن أعصر. حوالبها: أصله من حوالب البئر، وهي منابع مائها. الدهم: الخيل السود، والعرب تقول: ملوك الخيل دهمها. اللجب: الصوت والصياح والجلبة.

(٧) التأق: شدة الامتلاء. الغوارب: أعلى الأمواج. الآذي: الموج. الحدب: ارتفاع الموج.

(٨) المعنى: أفعل في الناس ما أريد وهم لا يستطيعون أن يفعلوا معي إلا ما أريده أيضاً.

(٩) الخفض: ضد الرفع. تبوخ: تسكن وتفتر. شهب: جمع شهاب، وهو الشعلة من النار.

(١٠) الأساري، بضم الهمزة وفتحها: جمع أسير. فاظ: مات. كرب: دنا، يريد قارب الموت.

سَـائِـلْ بِنَـا حَـيَّ عِلبَـاءٍ فقـد شَـرِبُـوا مِنَّا بكأْسٍ فلم يَسْتَمْرِئُوا الشُّرُبا[1]
إنَّـا نَحُسُّهُـمُ بـالمَشْـرَفـيِّ وهُـمْ كالهِيمِ تُغْشَى بأيدي الذَّادةِ الخُشُبَا[2]

(١) المعنى: اسأل عنّا حي علباء فقد سقيناهم كأساً لم يجدوه مستساغاً ولم يستمرئوه.
(٢) نحسهم: نقتلهم قتلاً ذريعاً. المشرفي: سيف منسوب إلى المشارف، وهي قرى للعرب تدنو إلى الريف، أو نسبة إلى «مشرف» رجل من ثقيف. الهيم: الإبل العطاش. الذادة: الذين يذودون الإبل ويدفعونها. الخشيب من الرجال: الطويل الجافي.

ـ ١٣ ـ

وقال مَقَّاسٌ العَائِذِيُّ[١]

لامرىء القيْسِ الكَلْبِيِّ[٢]، وكان وَقَع بينَ شيْبَانَ وكَلْب مُغاوَرَةٌ:

أَوْلَى فَأَوْلَى يَامْرأَ القَيْسِ بَعد ما   خَصَفن بآثَارِ المَطِيِّ الحَوافِرَا[٣]

(١) هو مسهر بن النعمان بن عمرو بن ربيعة بن تيم بن الحارث العائذي أبو جلدة الملقب بمقاس: شاعر من بني خزيمة بن لؤي من قريش. عرف بمقَّاس لقول رجل فيه: يمقس الشعر كيف شاء، أي يقوله. والعائذي نسبة إلى عائذة بنت الخمس ابن قحافة بن خثعم، وهي أم جده الحارث نسب إليها بنوه.

(٢) هناك ثلاثة شعراء يعرفون باسم امرىء القيس الكلبي. أدرك الإسلام منهم اثنان ولعل المقصود هنا هو امرؤ القيس بن بحر الزهيري الكلبي وهو شاعر جاهلي قديم وكان من الفرسان الأشداء والشعراء الأبيناء. شهد حرب بكر وتميم يوم القاع. ولم يصل من شعره سوى بيتين فقط هما:

طعنت غداة القاع شملة طعنة   تركت أبا أوس صريعاً مجدلاً

واجررته رمحي فغودر ثاوياً   عليه سباع القاع يردين حجلاً

مضمون الأبيات: يتوعد الشاعر في هذه الأبيات امرأ القيس الكلبي، ثم يفتخر بقومه، مشيراً إلى أنهم أهل بادية يصبرون على البؤس والجفاء، وهم ليسوا كأهل القرى الذين يغلبهم الحنين إلى أوطانهم. يذكر بعد ذلك فرار امرىء القيس وسبقه الخيل وإلا لقتل أو أسر ثم يعود إلى هجاء قوم امرىء القيس بأسلوب التهكم ثم يسفه عقولهم لأنهم أقدموا على قتال قومه.

(٣) أولى فأولى: صيغة توعد. امرؤ القيس: هو ابن بحر بن زهير بن جناب الكلبي. خصفن: يقصد الإبل، وخصفت الإبل الخيل: تبعتها. والعرب تركب الإبل وتقود الخيل إذا أرادوا الغارة، فإذا صاروا إلى القتال ركبوا الخيل.

فـإن كنـتَ قـد نُجِّيـتَ مـن غَمَـرَاتِهـا
فـلا تَـأْتِيَنَّـا بعـدَهـا اليـومَ سـادِرَا[1]

تَـــذَكَّـــرَتِ الخيـــلُ الشَّعيـــرَ عَشِيَّـــةً
وكُنَّـا أُنَـاسـاً يَعْلِفُـونَ الأَيَـاصِـرَا[2]

فـوالله لَـوْ أَنَّ امْـرَأَ القَيْـسِ لـم يَكُـنْ
بِفَلْـجَ علـى أَنْ يَسْبِـقَ الخيـلَ قـادرَا[3]

لَقَـــاظَ أَسِيـــراً أو لَعَـــالَـــجَ طعنـــةً
يَـرى خَلفـه منهـا رَشَـاشـاً وقـاطِـرَا[4]

فِـــدًى لأُنَـــاسٍ ذَكَّـــرُوهـــم مَعِيشَـــةً
تَـرَى لِلثَّـريـدِ الـوَرْدِ فيهـا نَـوَاخِـرَا[5]

أَجِئْتُـــمْ إلينـــا فـــي بَقِيَّـــة مَـــالِنَـــا
تُـزَجُّـون مـن جَهْـلٍ إلينـا المَنَـاكِـرَا[6]

---

(١) نجيت أنقذت. الغمرة: الشدة. السادر: الراكب رأسه بحمق وطيش.

(٢) الأياصر: جمع أيصر وهو كساء يجمع فيه الحشيش ثم أطلق على الحشيش. يريد نحن أهل بادية تصبر على البؤس وأنتم أهل قرى تحنون إليها وجعل الخيل مثلاً.

(٣) الفلج: بلد.

(٤) قاظ: أقام وقت القيظ. عالج طعنة: تلقى طعنةً. الرشاش القاطر: المقصود نزف الدم.

(٥) الورد: ما لونه بين الكمتة والشقرة. نواخر: يأكلونه فيدخل في أنوفهم من كثرة أكلهم. يتهكم بهم ويسخر إذ جعلهم فداء لمن أعاد لهم حالتهم الأولى من السلامة ولذة العيش. الثريد: نوع من الطعام.

(٦) تزجون من التزجية، وهي الدفع برفق. المناكر: الجحود.

وقال المُنَخَّلُ بنُ عامِرِ بن رَبيعةَ بن عمروٍ اليَشْكُرِيُّ[(١)]

قال أبو سعيدٍ: قرأتها على أبي عَمرو بن العَلاَءِ.

إنْ كنـــتِ عـــاذِلَتِـــي فَسِيـــرِي ... نَحْـــوَ العِـــرَاقِ ولا تَحُـــورِي[(٢)]
لا تسْـــأَلِـــي عـــن جُـــلِّ مـــا ... لِـــي وانظُـــرِي حَسَبِـــي وخِيـــرِي[(٣)]
وإذا الـــرِّيَـــاحُ تَكَمَّشَـــتْ ... بجـــوانـــبِ البَيْـــتِ الكَبيـــرِ[(٤)]

---

(١) هو المنخل بن مسعود بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكري (نحو ٢٠ ق.هـ/ ٦٠٣ م) شاعر جاهلي قديم. كان يشبب بهند أخت عمرو بن هند، وقد ذكرها هنا في البيت ٢٤. وكان يتهم أيضاً بامرأة لعمرو بن هند. وكان نديماً للنعمان بن المنذر، وكان النعمان دميماً أبرش قبيحاً، وكان المنخل من أجمل العرب، وكان يرمي بالمتجردة زوجة النعمان، ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل، فقتله النعمان، وقيل حبسه ثم غمض خبره فلم تعلم له حقيقة إلى اليوم، فيقال إنه دفنه حياً، ويقال إنه غرقه. والعرب تضرب به المثل في الغائب الذي لا يرجى إيابه يقولون: لا أفعله حتى يؤوب المنخل.

مضمون الأبيات يوجه خطابه إلى العاذلة، يريدها أن تفارقه إلى العراق، وأن لا تنظر إلا إلى حسبه وكرمه، ويصف لها جوده في زمان الجدب، وينعت لها فوارس قومه الذين تقر عينه بهم وبالكواعب اللائي يعابثهن، ويجري معهن في الهوى والغزل. ويصف لها كيف بادل إحداهن الحب حتى لقد كان بين بعيره وناقتها من ذلك ما يكون بين البشر. ثم يصف حالي صحوه وسكره. ثم يشبب بهند أخت عمرو بن هند، ويشكو إليها ما تيمته وذهبت بلبه.

(٢) لا تحورِي: لا ترجعي. قال أبو العلاء: «يقول: إن كنت عاذلتي لقلة مالي. فسيري نحو العراق فإنني أستغني هناك. يشير بذلك إلى إكرام النعمان له.

(٣) الخير، بكسر الخاء: الكرم.

(٤) تكمشت: أسرعت. والكسير: الذي له كسور، وهي ما مس الأرض من هداب الخيام.

أَلْفَيْتِنِـــــي هَـــــشَّ النَّـــــدَى بِشَــريــج قِــدْحِــي أَو شَجيــرِي(١)
وفـــــوَارسٍ كَـــــأُوَارِ حَـ ـــرِّ النــارِ أَحْــلاَسِ الــذُّكُــورِ(٢)
شـــدُّوا دَوَابِـــرَ بَيْضِهِـــمْ فـــي كـــلِّ مُحْكَمَـــةِ القَتِيـــرِ(٣)
واسْتَـــلأَمُـــوا وتَلَبَّبُـــوا إنَّ التَّلَبُّـــبَ لِلمُغِيـــرِ(٤)
وعلـــى الْجِيـــادِ المُضمَـــرَا تِ فـــوارسٌ مثـــلُ الصُّقُـــورِ(٥)
يَخْـــرُجْـــنَ مـــن خَلَـــلِ الغُبــا رِ يَجِفْـــنَ بـــالنَّعَـــمِ الكَثيـــرِ(٦)
أَقـــرَرْتُ عَيْنِـــي مـــن أُولـ ئِـــك والفَـــوَائِـــحِ بـــالعَبِيـــرِ(٧)
يَـــرْفُلْـــنَ، فـــي المِسْـــكِ الــذَّكِـ ـــيِّ وصـــائِـــكٍ كَـــدَمِ النَّحِيـــرِ(٨)
يَعْكُفْـــنَ مثـــلَ أَســـاوِدِ الـ ـتَّنُّـــومِ لـــم تُعْكَـــفْ لِـــزُورِ(٩)

(١) الشريج، بالجيم: أن تشق الخشبة نصفين فيكون أحد الشقين شريج الآخر. الشجير بالشين المعجمة: قدح يكون مع القداح غريباً، وهو المستعار الذي يتيمن بفوزه. قال ابن قتيبة: «يقول: ألفيتني في هذا الوقت من الشتاء أضرب بقدحي وأستعير قدحاً أضرب به في الميسر».

(٢) الأوار: الوهج. الأحلاس: جمع حلس، وهو كل شيء ولي ظهر الدابة تحت السرج ونحوه. وفي اللسان: «فلان من أحلاس الخيل، أي هو في الفروسية ولزوم ظهر الخيل كالحلس اللازم لظهره الفرس».

(٣) البيض: قلانس الحديد، ودوابرها: مآخيرها. القتير: مسامير الدروع. وإنما يشدون البيض إلى الدروع خشية سقوطها.

(٤) استلأموا: لبسوا اللأمة، وهي السلاح، أو هي الدرع. تلببوا: لبسوا السلاح كله. المغير: الذي يقوم بغارة.

(٥) بحاشية الشنقيطية أن في نسخة بدل «المضمرات» «المسنفات» وهي بكسر النون: المتقدمات، وبفتحها: التي شد عليها السناف، وهو لبب يشد من وراء السرج إلى صدر الفرس. والمضمرة: الرشيقة.

(٦) يجفن: يسرعن، والوجيف: ضرب سريع من السير. النعم: الإبل والشاء.

(٧) العبير: أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران، والفوائح: اللاتي يفيح منهن الطيب. قرت عينه: نال ما تمنى.

(٨) يرفلن: يجررن ذيول ثيابهن متبخترات. الصائك: اللازق، أراد به الطيب. النحير: المنحور.

(٩) يعكفن: يمشطن شعرهن ويضفرنه. الأساود: جمع الأسود من الحيات، شبه بها الضفائر. =

ولقـــد دَخَلْـــتُ علـــى الفَتَـــا ... ةِ الخِــدْرَ فـــي اليــوم المَطِيــرِ [١]

الْكـــاعِـــبِ الحسنـــاءِ تَـــرْ ... فُـلُ فـي الـدِّمَقْسِ وفـي الحَـرِيـرِ [٢]

فَـــدَفَعْتُهـــا فتـــدَافَعَـــتْ ... مَشْـيَ القطـاةِ إلــى الغَـدِيــر [٣]

وَلَثِمْتُهـــا فتنَفَّسَـــتْ ... كتَنَفُّـــسِ الظَّبْـــي البَهِيـــرِ [٤]

فـــدَنَـــتْ وقـــالـــت يـــا مُنَـ ... ـخَّـلُ مـا بجسمـكَ مـن حَـرُورِ [٥]

مـــا شَـــفَّ جِسْمِـــي غَيْـــرُ حُـ ... ـبِّـكِ فـاهْـدَئـي عَنِّـي وسِيـرِي [٦]

وأُحِبُّهـــا وتُحِبُّنِـــي ... ويُحِـــبُّ نـــاقتَهـــا بَعِيـــرِي [٧]

يـــا رُبَّ يـــوم للمُنَـ ... ـخَّـلِ قـد لهَـا فيـهِ قَصِيـرِ [٨]

فـــإذا انتَشَيْـــتُ فـــإِنَّنـــي ... رَبُّ الْخَـــوَرْنَـــق والسَّـدِيـــر [٩]

وإذا صَحَـــوْتُ فـــإِنَّنـــي ... رَبُّ الشُّـــوَيْهـــةِ والبَعِيـــرِ [١٠]

= التنوم: شجر. الزور: الباطل، يريد أنهن عفيفات لا يتزين لريبة.

(١) المعنى: لقد دخلت على الفتاة المصونة في يوم ممطر إذ يبقى العرب في بيوتهم وخيمهم في الأيام الماطرة.

(٢) الكاعب: الشابة النضرة التي برز نهداها التي ترتدي الدمقس والحرير كناية عن النعمة والغنى.

(٣) شبه استسلامها لإغوائه بسير القطاة إلى الماء.

(٤) البهير: من «البهر» وهو ما يعتري الإنسان عند السعي الشديد والعدو من النهج وتتابع النفس. واللثم: التقبيل.

(٥) الحرور: الحر. دنت: اقتربت.

(٦) شفه: هزله وأضمره حتى رق.

(٧) لم يكتف بحبه لها. بل إن جمله أحب ناقتها!!

(٨) يصف الشاعر في هذا البيت كيف أن اللهو جعل يومه قصيراً.

(٩) يقول إن نشوة الخمرة تجعله سيد الخورنق والسدير والخورنق والسدير قصران بناهما الملك النعمان المعروف بالأعور في العراق.

(١٠) المعنى: وإذا عدت إلى رشدي فإنني في الواقع صاحب فرس وناقة.

ولقــــد شَـــرِبْــــتُ مــــن المُـــدَا ... مَـــةِ بـــالقليـــلِ وبـــالكَثيـــرِ[1]
يـــا هِنـــــدُ مَـــــنْ لِمُتَيَّـــــمٍ ... يـــا هِنـــدُ لِلعَـــانـــي الأَسِيـــرِ[2]

---

(١) يصور في هذا البيت انفاقه كل ما يملك ثمناً للخمرة.
(٢) المتيم: العاشق الموله. العاني: الأسير.

ـ ١٥ ـ

وقال مالكُ بنُ حَرِيمٍ الهَمْدَانِيّ (١)

جَزِعْتَ، ولم تَجْزَعْ، من الشَّيْب مَجْزعَا ... وقـد فـاتَ ربْعِـيُّ الشبـابِ فـودَّعـا (٢)

ولاحَ بيــاضٌ فــي ســواد كــأنَّــه ... صُـوَارٌ بِجَـوٍّ كـانَ جَـدْبـاً فـأَمْـرَعـا (٣)

وأَقبَـلَ إخـوانُ الصَّفـاءِ فـأَوْضَعُـوا ... إلى كلِّ أَحْوَى في المَقَامةِ أَفْرَعا (٤)

تَـذَكَّـرْتُ سلْمَـى والـرِّكـابُ كـأَنَّهـا ... قَطـاً وَارِدٌ بَيـنَ اللُّفَـاظِ ولَعْلَعـا (٥)

فَحَــدَّثْـتُ نَفْسِـي أَنَّهـا أَو خَيَـالَهـا ... أَتـانَـا عِشَـاءً حيـنَ قُمنـا لِنَهجَعَـا (٦)

---

(١) ترجمته: هو مالك بن حريم بن مالك بن حريم بن دألان الهمداني، شاعر فحل جاهلي، من لصوص همدان. شاعر همدان في عصره، وفارسها وصاحب مغازيها. جاهلي يماني. كان يقال له «مفزع الخيل» ويعد من فحول الشعراء وهو أحد وصافي الخيل المشهورين. ومالك هذا هو صاحب البيت السائر الحكيم:

متـى تجمـع القلـب الـذكـي وصـارمـاً ... وأنفـاً حميـــاً تجتنبـــك المظالم

مضمون الأبيات: أبدى جزعه من الشيب بعد الشباب، وانصراف إخوان الصفاء عنه لذلك. ثم وصف ذكر الحبيبة في سفره وكيف طرقه خيالها، وطفق يشبب بها. وفخر بعد ذلك بإبائه وتصونه ومروءته. كما فخر أيضاً بسطوة قومه وبأسهم، ونعت فرسانهم وأفراسهم. ثم تحدث عن سياسة قومه لعبيدهم وتعليمهم الصبر في قيادة الإبل. ليخلص من ذلك إلى اعتزازه بقيادة قومه على فرس كريمة، وبأن في قومه سادة وأشرافاً، منهم زيد بن قيس. وبأنه يبالغ في قرى الضيف حتى ليخرج من عنده وهو طيب النفس قرير العين.

(٢) يريد جزعت من الشيب جزعاً، ولم يك من شأنك الجزع. ربعي الشباب: أوله. ودع: فارق وارتحل.

(٣) الصوار، بالضم والكسر: القطيع من البقر. الجو: ما انخفض من الأرض. أمرع: أخصب وأكلأ. وبقر الوحش فيه سواد وبياض. الجدب: المحل، الذي لا نبات فيه.

(٤) أوضعوا: أسرعوا. الأحوى: الأسود، عنى به أسود الشعر. المقامة: المجلس والقوم. الأفرع: التام الشعر. أراد أن شيبه نفر منه إخوانه.

(٥) الركاب: الإبل. اللفاظ: ماء لبني إياد. لعلع: موضع.

(٦) يقول: قلت لنفسي إن سلمى ـ أو خيالها ـ أتاني حين قمت لأنام.

فقلتُ لها بيتِي لَدَيْنَا وعَرِّسِي ... وما طَرَقَتْ بعدَ الرُّقَادِ لتَنْفَعَا(١)
مُنَعَّمَةٌ لم تَلْقَ في العَيشِ تَرْحَةً ... ولم تَلْقَ بُوساً عندَ ذاكَ فتَجْدَعا(٢)
أَهِيمُ بها لم أقضِ مِنهَا لُبانةً ... وكُنتُ بها في سالِف الدَّهْرِ مُوزَعَا(٣)
كأَنَّ جَنَا الكافورِ والمسكِ خالصاً ... وبَرْدَ النَّدَى والأُقحُوانَ المُنَزَّعَا(٤)
وقَلْتاً قَرَتْ فيه السَّحابةُ ماءَها ... بأَنيابِها، والفارِسيَّ المُشَعْشَعَا(٥)
وإنِّي لأَسْتَحْيي منَ المَشْيِ أَبْتَغِي ... إلى غيرِ ذي المَجْدِ المُؤَثَّلِ مَطْمَعَا(٦)
وأُكْرِمُ نَفْسِي عن أُمورٍ كثيرةٍ ... حِفاظاً، وأنهَى شُحَّها أن تَطَلَّعَا(٧)
وآخُذُ للمَوْلَى، إذَا ضِيمَ، حَقَّهُ ... منَ الأَعْيَطِ الآبِي إذا ما تَمنَّعَا(٨)
فإنْ يَكُ شابَ الرأْسُ مِنِّي فإنَّني ... أَبَيْتُ على نفسي مَنَاقبَ أَرْبَعَا(٩)
فواحدةٌ: أن لا أبيتَ بِغِرَّة ... إذَا ما سَوَامُ الحَيِّ حَوْلي تَضَوَّعَا(١٠)
وثانيةٌ: أن لا أُصَمِّتَ كَلْبَنا ... إذَا نَزَلَ الأَضيافُ حِرْصاً لنُودَعا(١١)
وثالثةٌ: أن لا تُقَذَّعَ جَارَتِي ... إذَا كان جارُ القومِ فيهمْ مُقَذَّعَا(١٢)

(١) التعريس: النزول آخر الليل. أراد أن خيالها أثار لواعجه. طرقت: أتت.
(٢) الترح، بفتح الراء: الفقر، ومنه الحزن، المرة الواحدة منه. تجدع: من الجدع، بفتحتين، وهو سوء الغذاء.
(٣) اللبانة: الحاجة. الموزع: المغري، أوزعه بالشيء: أغراه.
(٤) الجني: كل ما يجني. الأقحوان: نبت له نور أبيض. المنزع: المنزوع.
(٥) القلت: النقرة في الجبل تمسك الماء. قرت: جمعت. بأنيابها: خبر «كأن» في البيت السابق. الفارسي: المنسوب إلى فارس، أراد به الشراب، وهو الخمر. المشعشع: الممزوج بالماء.
(٦) المؤثل القديم المؤصل. يعني أنه يرفض طلب شيء من غير الكرام.
(٧) المعنى: أصون نفسي عن أمور كثيرة تسيء إليها وازجرها إذا ما فكرت بالدنية.
(٨) ضيم: انتقص حقه. الأعيط: الأبي المتمنع عن أداء الحق إلى صاحبه.
(٩) المعنى: إني وإن ألم بي الشيب لا أتخلى عن صفات أربع.
(١٠) الغرة: الغفلة. السوام: الإبل السائمة. تضوع: تفرق. يريد أنه لا يغفل عن حماية قومه إذا ما ذعروا.
(١١) لنودع: لنترك. يريد أنه لا يمنع كلبه النباح خوف الضيف.
(١٢) تقذع: من القذع، وهو الرمي بالفحش وسوء القول.

ورابعـــةٌ: أن لا أُحَجِّـــلَ قِـــدْرَنــا ... على لحمهـا حيـنَ الشتـاء لنَشْبَعَـا[1]

وإنّـي لأُعْـدِي الخيـلَ تُقْـدَعُ بـالقَنَـا ... حِفَاظاً على المولَى الحَرِيدِ ليُمْنَعَا[2]

ونحـنُ جَلَبْنَـا الخيـلَ مـن سَرْوِ حِمْيَرٍ ... إلـى أن وَطِئْنَـا أَرْض خَثْعَـمَ أَجْمَعـا[3]

فمـــن يـــأْتِنَـــا أَو يعْتَـــرِضْ بِسبيلِنَـــا ... يَجِـدْ أَثَـراً دَعْسـاً وسَخْـلاً مُـوَضَّعَـا[4]

ويَلْـــقَ سَقيطـــاً مـــن نِعَـــال كثيـــرةٍ ... إذا خَـدَمُ الأَوْسـاغِ يـومـاً تَقَطَّعَـا[5]

إذا مـــا بعيـــرٌ قـــامَ عُلِّـــقَ رَحْلُـــه ... وإنْ هـــو أَبْقَـــى أَلْحَمُـــوهُ مُقَطَّعَـــا[6]

نُـريـــدُ بَنِـي الخَيْفَـانِ، إنَّ دِمـاءَهُـمْ ... شِفَـاءٌ، ومـا وَالَـى زُبَيْـدٌ وجَمَّعَـا[7]

يَقُـودُ بـأَرْسـانِ الجيـادِ سَـرَاتُنـا ... لِيَنْقِمْـنَ وِتـراً أَو لِيـدْفَعْـنَ مَـدفَعَـا[8]

تـرَى المُهْـرَةَ الـرَّوْعـاء تَنْفُـضُ رأسَهـا ... كَـلاَلاً وأَيْنـا والكُمَيْـتَ المُقَـزَّعَـا[9]

---

(١) لا أحجل: أي لا أسترها وأجعلها في حجلة، وهي بيت للعروس يزين بالثياب والأسرة والستور. يريد أنه يظهرها ليطعمها الضيفان.

(٢) أعدى الخيل: أحملها على العدو. تقدع: تكبح لتكف من بعض جريها. الحفاظ: المحافظة على العهد والمحاماة على الحرم ومنعها من العدو. الحريد: المنفرد المعتزل.

(٣) سرو حمير: محلتها أو بلادها باليمن.

(٤) دعساً: الطريق الدعس الذي دعسته القوائم ووطئته وكثرت فيه الآثار. السخل، بالخاء المعجمة: جمع سخلة، يريد أولاد الإبل والخيل. الموضع: المتفرق. أراد أن السخال في مواضع من هذا الطريق، وذلك أنهم يسيرون فتضع الحوامل أجنتها في موضع بعد موضع. فذكر هذا المعنى ليعلم أن قومه يبعدون الغزاة فيطول سيرهم وتتعب رواحلهم وخيلهم فتضع ما في بطونها من شدة الكلال.

(٥) السقيط: ما يسقط، واستعمله في نعال الإبل. الخدم: جمع «خدمة» وهي السير الغليظ المحكم مثل الحلقة تشد في رسغ البعير ثم يشد إليها سرائح نعلها. ولم نجد الأوساغ في المعاجم ولعلها الأوزاغ: الضعفاء.

(٦) قام: قال في اللسان: «قامت الدابة إذا وقفت عن السير». علق رحله: يعني أنه رفع عنه لضعفه. أبقى: من الإبقاء، وهو أن يبقى الفرس بعض جريه يدخره. ألحموه: أطعموا الناس لحمه.

(٧) بنو الخيفان: قبيلة. شفاء: أي تشفي. زبيد، بالتصغير: قبيلة يمنية.

(٨) أرسان: جمع رسن، وهو الحبل الذي يقاد به الفرس أو غيره. السراة: الأشراف. لينقمن: ليكافئن بالعقوبة. الوتر: الثأر. مدفعاً: مصدر ميمي بمعنى الدفع: وهو رد الأمر.

(٩) الفرس الروعاء: التي كأن بها فزعاً من ذكائها وخفة روحها. الكلال والأين: الإعياء. الكميت =

ونَخْلَعُ نَعْلَ العَبْدِ مِن سُوءِ قَوْدِهِ ... لكَيْما يكونَ العبدُ للسَّهل أَضْرَعَا[1]

وقد وَعَدُوه عُقبَةً فمشَى لهَا ... فما نَالها حتى رَأى الصُّبحَ أَدْرَعَا[2]

وأَوْسَعْنَ عَقبَيْهِ دِماءً فأَصْبحتْ ... أَصابعُ رجليه رَواعِفَ دُمَّعَا[3]

طَلَعْنَ هِضَاباً ثم عَالَيْنَ قُنَّةً ... وجاوزنَ خَيْفاً ثم أَسْهَلنَ بَلقَعَا[4]

وتَهْدِي بيَ الخيلَ المُغِيرةَ نَهْدَةٌ ... إذا ضَبَرَتْ صَابَتْ قَوائمُها مَعَا[5]

إذا وَقعَتْ إحْدَى يديها بِثَبْرَةٍ ... تجَاوبَ أَثناءُ الثَّلاثِ بِدَعْدَعَا[6]

فأَصْبَحْنَ لم يَتْرُكْنَ وِتْراً عَلِمْنَهُ ... لِهَمْدَانَ في سَعْد وأَصْبَحنَ طُلَّعَا[7]

مُقَرَّبَةٌ أَدْنَيْتُها وافْتَلَيْتُها ... لتَشْهدَ غُنْماً أَوْ لِتَدْفَعَ مدْفَعَا[8]

= من الخيل: ما لونه بين السواد والحمرة. المقزع: الشديد الخلق والأسر، أو السريع الخفيف.

(١) أضرع: أدنى أو أميل، من قولهم «ضرعت الشمس» دنت من المغيب. يريد أنهم ينزعون نعل العبد ليسلك بالإبل السهولة.

(٢) العقبة النوبة في الركوب، أو الموضع الذي يركب فيه. يريد أن العبد وعد أن يركب بعد أن يسير نوبته. الأدرع: ما فيه بياض وسواد وهو وصف لليل أصلاً.

(٣) العقب، بسكون القاف: هو العقب بكسرها. وأوسعن عقبيه دماء: يعني الخيل، ملأت عقبى العبد دماء من كثرة السير. رواعف دمع: يتقاطر منها الدم، كما يتقاطر الرعاف من الأنف والدمع من العين.

(٤) القنة: أعلى الجبل. عاليتها: علوتها. الخيف: ما ارتفع عن موضع مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل. أسهلن: نزلن السهل. البلقع: الأرض القفر.

(٥) تهدى الخيل: تتقدمها. النهدة: المرتفعة الخلق. ضبرت: جمعت قوائمها ووثبت، فعل المقيد في عدوه. صابت: وقعت معاً، أي مجتمعة في وقت واحد. القوائم: الأرجل.

(٦) الثبرة: الهوة. أثناء الثلاث: معاطفها. دعدع: كلمة يدعى بها للعاثر، في معنى: قم وانتعش وأسلم. يقول: إذا وقعت قائمة من قوائم هذا الفرس في حفرة نهضت بها القوائم الثلاث، فكأن القوائم لما عثرت أعانتها ودعت لها بقولها دع دع.

(٧) طلع، بالطاء المهملة: جمع طالعة، يعني أنها تطلع الجبال والهضاب. الظلع: شبه العرج. الوتر: الثأر. همدان وسعد: قبيلتان.

(٨) المقربة: المؤثرة المكرمة. افتليتها: اتخذتها، أو نتجتها، يعني أنها ولدت عنده، فهو عارف بكرمها. الغنم: الربح، الغنيمة. تدفع: ترد.

تشَكَّيْنَ مـن أَعْضَـادِهـا حيـن مَشيِهـا أَمِ القَضُّ من تحتِ الدَّوابِرِ أَوْجَعا[1]

ومِنَّـــا رَئيـــسٌ يُسْتَضـــاءُ بنُـــورِه سَنَـاءً وحِلْمـاً فيـه، فـاجتَمعـا مَعَـا[2]

وســـارَعَ أقـــوامٌ لمجـــدٍ فقصَّـــرُوا وقـارَبَهـا زيـدُ بْـنُ قَيْـسٍ فـأَسْـرَعَـا[3]

ولا يَسْـأَلُ الضَّيـفُ الغَـرِيـبُ إذا شَتَـا بمـا زَخَـرَت قِـدْري لـه حِيـنَ وَدَّعَـا[4]

فـإنْ يَـكُ غَثًّـا أو سمِينـاً فـإنَّنِـي سـأَجْعَـلُ عَيْنَيْـهِ لِنَفْسِـهِ مَقْنَعَـا[5]

إذا حـلَّ قَـومـي كنـتُ أَوْسَـطَ دَارِهـمْ ولا أَبْتَغـي عنـدَ الثَّنِيَّـةِ مَطْلَعَـا[6]

---

(١) الأعضاد: جمع عضد. القض: الحصى. الدوابر: جمع دابرة، وهي التي تلي مؤخر الرسغ. يسائل نفسه عما تشتكي منه هذه الخيل.

(٢) المعنى: يفتخر بأن من قومه رئيساً يجمع بين السناء والحلم.

(٣) المعنى: حاول أناس بلوغ المجد فعجزوا بينما بلغه زيد بن قيس بسهولة.

(٤) شتا: أجدب في الشتاء. زخرت: جاشت. والمعنى: أن ضيفي يغادر مسروراً مكرماً.

(٥) يقول: ليس يحتاج ضيفي إذا ودعني وفارقني أن يسأل عما كنت أطبخه في قدري، لأن ما فيها من غث أو سمين لا يغيب عنه، لأني أقدمه بين يديه. وأجعل عينيه مقنعاً أي أقول له: تخير ما تحب واترك ما لا تحب.

(٦) المعنى: أنا من أعيان قومي إذا حلوا كنت في وسطهم أسمو دائماً لمعالي الأمور. يقال فلان طلاع الثنايا إذا كان يسمو إلى معالي الأمور.

ـ ١٦ ـ

وقال الأَجْدَعُ بنُ مالك الهَمْدَانِيِّ(١) والدُ مَسْرُوقِ بنِ الأجدع

أســأَلْتِنــي بــركــائــبٍ ورِحَــالِهَــا ... ونَسِيــتِ قتْــلَ فَــوارِسِ الأَرْبَــاعِ(٢)
والحَـرثَ بـنَ يَـزِيـدَ وَيْحَـكِ أَعْـوِلـي ... حُلْــواً شمــائِلُــهُ رَحِيــبَ البَــاعِ(٣)
فَلَــوَ أَنَّنِــي فُــودِيتُــهُ لَفَــديْتُــهُ ... بِــأَنَــامِلِــي، وأَجَنَّــهُ أَضْــلاعِــي(٤)
تلــكَ الــرَّزِيَّــةُ لا رَكَــائــبُ أُسْلِمَــتْ ... بِــرِحَــالِهِــا مَشْــدودةَ الأَنْسَــاعِ(٥)

---

(١) هو الأجدع بن مالك بن أمية بن عبدالله بن مر بن سلامان بن معمر. الوادعي الهمداني اليماني فارس سيد، وشاعر جاهلي، أدرك الإسلام وبقي إلى زمن عمر بن الخطاب، ووفد عليه، فقال له عمر: من أنت؟ فقال: الأجدع، فقال: إنما الأجدع شيطان، أنت عبد الرحمن! فكان ابنه مسروق التابعي يكتب اسمه مسروق بن عبد الرحمن.

مضمون الأبيات: في هذه الأبيات يرثي فوارس من بني ربيعة بن الحرث بن كعب قتلهم قومه، ثم توعد «أبا عمير» وعيّره بمقتل بنيه الثلاثة. ثم نوه باختيار قومه للجياد التي يكرمونها إكراماً. وعرض بعد ذلك لصفة ملاقاة قومه لأعدائهم، وصور وثب الخيل ومصارع الفرسان.

(٢) بركائب: الباء بمعنى «عن». الأرباع: موضع، قتلت فيه همدان هؤلاء الفوارس، وهم أولاد ذي الغصة الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان بن سلمة بن وهب بن عبدالله بن ربيعة بن الحرث بن كعب. ويقال إن ذا الغصة رأس بني الحرث بن كعب مائة سنة.

(٣) أعولي: من قولهم «أعول عليه»: صاح وبكى. رحيب الباع: واسع الكرم. حلو الشمائل: كريم الصفات.

(٤) فوديته: يقال «فاداه» يفاديه إذا أعطى فداءه لينقذه. أجنه: ستره. الأنامل: رؤوس أصابع اليد.

(٥) الأنساع: جمع «نسع»، وهو سير يشد به الرحل. الرزية: المصيبة.

أَبْلِـغْ لَـدَيْـكَ أَبـا عُمَيْـرٍ مُـرْسَـلاً ... فلقـد أَنَخْـتَ بمنـزلٍ جَعْجَـاعِ [(١)]

ولقـد قتَلْنـا مـن بَنِيـكَ ثـلاثـةً ... فَلتَنْـزِعَـنَّ وأَنـتَ غيـرُ مُطَـاعِ [(٢)]

نَقْفُـو الجيـادَ مـن البُيـوتِ ومـنْ يُبِـعْ ... فَـرَسـاً فليـس جَـوَادُنَـا بمُبَـاعِ [(٣)]

إنَّ الفـوَارسَ قـد عَلِمْـتَ مَكَـانَهـم ... فَـانْعِـقْ بِشـاتِـكَ نَحْـوَ أَهـل رُدَاعِ [(٤)]

حيَّـانِ مـن قـومـي ومـن أَعْـدَائِهـم ... خَفَضُـوا أَسِنَّتَهُـم فكـلٌّ نـاعـي [(٥)]

والخيْـلُ تَنْـزُو فـي الأَعِنَّـة بَينَهـم ... نَـزْوَ الظِّبَـاءِ تُحُـوِّشَـتْ بـالقَـاعِ [(٦)]

وكـأَنَّ قَتـلاهـا كِعـابُ مُقـامِـرٍ ... ضُـرِبَـتْ على شَـزنٍ فهـنَّ شَـوَاعِ [(٧)]

---

(١) الجعجاع: الأرض الغليظة. أنخت: أناخ الإبل: أبركها فبركت.

(٢) فلتنزعن: يقال نزع عن الأمر: كف وانتهى، يريد لتنتهين عن الحرب.

(٣) نقفو: نتبع، يريد نختار. مباع: أباع الشيء أي عرضه للبيع.

(٤) نعق بغنمه: صاح بها وزجرها. رداع، بضم الراء: مخلاف من مخاليف اليمن.

(٥) خفضوا أسنتهم: خفضوها للطعان ولم يرفعوها. ناعي: ذهب ابن السكيت إلى أنه مقلوب، أراد نائع أي عطشان إلى دم صاحبه، فقلب، وقال الأصمعي: هو على وجهه، إنما هو «فاعل» من «نعيت» وذلك أنهم يقولون. يا لثارات فلان.

(٦) تنزو: تثب. تحوشت: من حوش الصيد، وهو الإحداق به للتمكن من صيده. القاع: المستوى المطمئن من الأرض.

(٧) الكعاب: جمع كعب، وهو الذي يلعب به. الشزن: الغلظ من الأرض، أو الناحية والجانب المرتفع. شواعي، جمع شاعية، وفي اللسان: جاءت الخيل شوائع وشواعي على القلب، أي متفرقة. يقول: قتلي هذه الخيل يقع بعضها على جنبه، وبعضها على ظهره كما يقع كعب المقامرة مرة على ظهره ومرة على جنبه.

ـ ١٧ ـ

وقال الحارثُ بن عُبَادٍ(١)

قَــرِّبــا مَــرْبَــطَ النعَــامَــةِ مِنِّــي لَقِحَــتْ حَــرْبُ وائــلٍ عــن حِيَــالِ(٢)

(١) هو الحرث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة البكري، أبو منذر (٥٠ ق. هـ/ ٥٧٠ م) حكيم جاهلي. كان شجاعاً من السادات، شاعراً. انتهت إليه إمرة بني ضبيعة وهو شاب. وفي أيامه كانت حرب البسوس فاعتزل القتال مع قبائل من بكر منها يشكر وعجل وقيس. ثم إن المهلهل قتل ولداً له اسمه بجير، فثار الحارث ونادى بالحرب التي كرر فيها قوله: «قربا مربط النعامة مني» أكثر من خمسين مرة (أبيات القصيدة مائة بيت اختار منها الأصمعي هذه الأبيات الثلاثة فقط) والنعامة فرسه فجاؤوه بها فجز ناصيتها وقطع ذنبها ـ وهو أول من فعل ذلك من العرب فاتخذ سُنّةً عند إرادة الأخذ بالثأر ـ ونُصرت به بكر على تغلب، وأسر المهلهل، فجز ناصيته وأطلقه وأقسم أن لا يكف عن تغلب حتى تكلمه الأرض فيهم، فأدخلوا رجلاً في سرب تحت الأرض، ومر به الحارث، فأنشد الرجل:

أبـا منـذر أفنيـت فـاستبـق بعضنـا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فقيل: بر القسم، واصطلحت بكر وتغلب. وعمر الحارث طويلاً.

مضمون الأبيات: هذه الأبيات من قصيدة طويلة أبياتها مائة بيت، وردت في كتاب بكر وتغلب. وقد قالها في يوم قضة من أيام بكر وتغلب.

وفي هذا اليوم قتل بجير ـ وهو ابنه أو ابن أخيه عمرو بن عباد ـ وكان أرسله في الصلح بين بكر وتغلب، فقتله مهلهل بن ربيعة التغلبي، وقال له: «بؤ بشسع نعل كليب». فقال الغلام: «إن رضيت بنو بكر بهذا رضيت». فلما بلغ الحرث مصرع بجير قال: نعم القتيل قتيلاً أن أصلح الله به بين بكر وتغلب وباء بكليب! فقيل له: إنما قال مهلهل ما قال. (الكلمة). فغضب الحرث وتشمر للحرب، وهو يوم قضة أو يوم التحالق. وقال في ذلك هذه القصيدة، وفيها رثاء بجير. وهو يطلب في هذه الأبيات إعداد حصانه للقتال ويعلن أنه لم يكن سبباً في إشعال الحرب رغم اكتوائه بنارها وأن موت ولده لم يكف لإيقافها لأن قوم كليب لم يعودوا إلى رشدهم ويرتدعوا عن ضلالهم وغيهم.

(٢) النعامة: اسم فرسه. لقحت: حملت. عن حيال: بعد حيال، والحيال، بكسر الحاء: من قولهم =

لــم أَكُــنْ مــن جُنَــاتِهــا عَلِــمَ اللّـ ـــهُ، وإنّــي بِحــرِّهــا اليــومَ صَــالِ[1]

لا بُجَيْـــرٌ أَغنَـــى فَتِيـــلاً ولا رَهْـ ـــطُ كُلَيْــبٍ تَــزَاجَــرُوا عــن ضَــلاَلِ[2]

= «حالت الناقة» أي لم تحمل. قال الجواليقي: «وإذا بقيت الناقة أعواماً لم تلقح ثم ألقحت كان أقوى لولدها، كما أن الأرض إذا لم تزرع أعواماً كان أكثر لنباتها، لأن النتاج بمنزلة الحرب عندهم. وهذا مثل ضربه لشدة الحرب».

(١) صال: من قولهم «صلى بالنار»: قاسى حرها. لم أكن من جناتها: لم أكن سبب إشعالها.

(٢) يريد أن قتل بجير ابنه لم يغن شيئاً في قطع الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل.

وقال حُرْثَانُ بنُ الحارث[١]
وهو ذو الإِصْبَعِ العَدْوَانِيُّ

وعَدْوانُ بن عمرو بن قيس بن عيلانَ بن مُضَرَ بن نِزَار.

عَـــذِيــرَ الحَـــيِّ مِـــنْ عَـــدْوَا نَ كَـــانُـــوا حَيَّـــةَ الأَرْضِ [٢]
بَغَـــى بَعضُهُـــم بعضـــاً فلــم يُـرْعُـوا علـى بَعْـضِ [٣]
ومنهـــمْ كـــانـــتِ السَّـــادا تُ والمُـوفـونَ بـالقَـرْضِ [٤]
ومنهـــمْ حَكَـــمٌ يَقْضِـــي ولا يُنقَـــضُ مـــا يَقْضِـــي [٥]
ومنهـــمْ حَـــامِـــلُ النـــاسِ علـــى السُّنَّـــةِ والفَـــرْضِ [٦]

(١) ذو الأصبع العدواني (٢٢ ق.هـ/ ٦٠٠ م) حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة من عدوان ينتهي نسبة إلى مضر. شاعر حكيم شجاع جاهلي. لقب بذي الإصبع لأن حية نهشت إصبع رجله فقطعها. ويقال كانت له إصبع زائدة. وعاش طويلاً حتى عد من المعمرين. شعره مليء بالحكمة والعظة والفخر. قليل الغزل والمديح.

مضمون الأبيات: سجل في هذه الأبيات ما كان من تفرق قومه بني عدوان واختلافهم، بعد ائتلافهم واتحادهم. ثم يفتخر بعظمائهم ومنزلتهم.

(٢) العذير: العذر أو العاذر، يقول: هات عذراً لحي عدوان، أو هات من يعذرهم فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل، بعد ما كانوا حية الأرض التي يحذرها كل أحد. يقال: «فلان حية الوادي» إذا كان شديد الشكيمة حامياً لحوزته. وأراد: كانوا حيات الأرض، فوضع الواحد موضع الجمع.

(٣) الإرعاء: الإبقاء على أخيك. بغى: البغي الظلم.

(٤) القرض: ما يتجازى به الناس بينهم ويتقارضونه، من إحسان ومن إساءة.

(٥) في الأغاني: وأما قول ذي الإصبع: «ومنهم حكم يقضي» فإنه يعني عامر بن الظرب العدواني. كان حكماً للعرب تحتكم إليه.

(٦) المعنى: أن قومه بلغوا حداً من القوة بحيث يلزمون الناس السير حسب العرف والقانون.

ـ ١٩ ـ

وقال كعبُ بن سعدٍ الغَنَويُّ (١)

لقــد أَنصَبَتْنِــي أُمُّ قيــس تَلــومُنِــي ... ومــا لَــوْمُ مثلــي بــاطـلاً بِجَمِيــلِ (٢)
تقـولُ؛ أَلا يَـا اسْتَبْـقِ نَفْسَـك، لا تكُـنْ ... تُسَــاقُ لغبــراءِ المَقَــامِ دَحُــولِ (٣)
كَمُلْقَـى عِظَـامٍ أَو كَمُهْلَـكَ سـالـمٍ ... ولسـتَ لمَيْـت هـالـك بـوَصيـلِ (٤)

(١) هو كعب بن سعد بن عمرو الغنوي. من بني غني (١٠ ق.هـ/ ٦١٢ م) شاعر جاهلي. حلو الديباجة. أشهر شعره «بائيته» في رثاء أخ له قتل في حرب ذي قار أولها: تقول ابنة العبسي قد شبت بعدنا وكل امرىء بعد الشباب يشيب. ذهب القالي إلى أنه «إسلامي» وتابعه البغدادي، وهذا ليس بصواب فإن الغنوي من شعراء «ذي قار» وكانت قبل الهجرة بنصف قرن وقتل فيها أخوان له. ولم يرد له ذكر في أخبار الصدر الأول من الإسلام.

مضمون الأبيات: وجهت إليه هذه امرأة اللوم أن يجابه الأخطار ويتجشم أهوال السفر والغزو، فأجابها أن المنية بالمرصاد، تجري مع القدر، ولا ترهب مواضع الأمن والدعة. ثم اندفع إلى الفخر برعاية الصديق والأكيل. ثم أعرب عن شدة ولوعه بالسفر واقتداره عليه، وكيف ينبه صاحبه من الليل ليتابع الرحلة. وفخر بجوده وصفحه وعفة لسانه وتحمله وحفظه للأسرار. ثم عاد مرة أخرى إلى الحديث في اقتداره على السفر واجتياز المجاهيل من الأرض.

(٢) أنصبتني: أتعبتني. باطلاً: بغير وجه حق.

(٣) ألا يا استبق: ألا يا هذا استبق، حذف المنادي. الدحول بالمهملتين: البئر تأكلت جوانبها وصار لها فجوات كالكهف؛ عنى به القبر. الغبراء: الأرض.

(٤) ملقى: مصدر ميمي بمعنى الإلقاء. عظام: اسم رجل، ولم نجده وبدله في اللسان «عقال». مهلك: مصدر ميمي أيضاً، وفيه لغتان: ضم الميم وفتح اللام، من الرباعي. وفتح الميم مع فتح اللام وكسرها، من الثلاثي. بوصيل تقول: لا أصابك ما أصابهما. أي أنها تدعو له أن لا يوصل بهذين الهالكين.

أَراكَ امرأً تَرْمِي بنفسك عامداً ... مَرَامِيَ تَغتالُ الرجالَ بِغُولِ (١)
ومَن لا يَزَلْ يُرْجَى بِغَيْبٍ إيابُه ... يَجُوبُ ويَغْشى هَوْلَ كلِّ سبيلِ (٢)
على قلَت، يُوشِكْ رَدًى أَنْ يُصيبَه ... إلى غيرِ أَدْنَى موضعٍ لِمَقِيلِ (٣)
أَلَمْ تَعلمِي أَنْ لا يُرَاخِي مَنِيَّتِي ... قُعُودِي، ولا يُدْنِي الوفاةَ رحيلي
معَ القَدَرِ الموقوفِ حتَّى يُصيبَني ... حِمَامِي، لَوَ أنَّ النَّفْسَ غيرُ عَجُولِ (٤)
فإنكِ والموتَ الذي تَرْهَبِينَه ... عليَّ، وما عَذَّالَةٌ بغَفُولِ (٥)
كدَاعِي هَدِيلٍ، لا يُجابُ إذا دَعَا ... وَلا هو يَسْلُو عن دُعَاءِ هَدِيلِ (٦)
وذِي نَدَب دَامى الأَظَلِّ قَسمْتُه ... مُحافَظَةً بَيني وبَين زَميلي (٧)
وزاد رفعتُ الكفَّ عنه عَفَافَةً ... لأُوثِرَ في زَادِي عليَّ أَكِيلي (٨)
وَشخصٍ دَرَأْتُ الشَّمْسَ عنه براحَتِي ... لأَنظرَ قَبْلَ الليلِ أَينَ نُزُولِي (٩)
ومُنْشَقِّ أَعطافِ القَميصِ دَعَوْتُه ... وقد سَدَّ جَوْزُ اللَّيلِ كلَّ سَبيلِ (١٠)

---

(١) المعنى: أراك تلقي بنفسك عن عمد في مواطن التهلكة.

(٢) المعنى: من لا يزال ينتظر رجوعه يصول ويجول ولا يبالي.

(٣) على قلت: على خوف هلاك أو شر. قال أعرابي: «إن المسافر ومتاعه لعلى قلت إلا ما وقى الله». لمقيل: يقول: لا يدعه يصل إلى أقرب مقيل. الردى: الموت.

(٤) مع القدر: أي أنا مع القدر. الموقوف: المحبوس على من قدر عليه. الحمام: الموت.

(٥) المعنى: أنتِ والموت الذي تخافينه ضدي ومتى كان العاذل غافلاً.

(٦) كداعي: خبر «فإنك» في البيت قبله. الهديل: فرخ الحمام، تزعم الأعراب في الهديل أنه فرخ كان على عهد نوح، فمات ضيعة وعطشاً، فيقولون إنه ليس من حمامة إلا وهي تبكي وقيل معناه: أنت في دعائك إياي وأنا لا أجيبك كهذا الحمام الذي يدعو ولا يجاب.

(٧) الندب: الأثر. الأظل: باطن خف البعير. محافظة: وفاء وتمسكاً بالود. يريد أنه قسم هر بعيره بينه وبين رفيقه في الركوب.

(٨) أكيلي: الذي يأكل معي. أوثر: أفضل.

(٩) درأت: دفعت. الراحة: بطن الكف.

(١٠) أعطاف القميص: جوانبه. جوز الليل: معظمه ووسطه. السبيل: الطريق.

فقلت له: قد طالَ نومُكَ فارتَحِلْ … وما ذَاقَ طَعْمَ النَّوْمِ غَيرَ قَلِيلِ
سُحَيْراً، وأَعْجَازُ النُّجُومِ كأَنَّها … صُوَارٌ تَدَلَّى من سَوَاءِ أَمِيلِ[1]
وقد شَالَتِ الجَوْزَاءُ حتَّى كأَنَّها … فَسَاطِيطُ رَكْبٍ بالفَلاَةِ نُزُولِ[2]
ومَن لا يَنُلْ حتَّى يَسُدَّ خِلاَلَهُ … يَجِدْ شهَوَاتِ النَّفْسِ غيرَ قليلِ[3]
وعَوْرَاءَ قد قِيلَت فَلَمْ أَسْتمِعْ لها … وما الكِلْمَةُ العوْرَاءُ لي بقَبُولِ[4]
وما أَنا لِلشَّيءِ الذي ليس نافعي … ويَغْضَبُ منه صاحبي بِقؤُولِ[5]
وأُعْرِضُ عن مولايَ لو شِئتَ سَبَّنِي … وما كلُّ يومٍ حِلمُهُ بِأَصِيلِ[6]
ولَنْ يلبَثَ الجُهَّالُ أَن يَتَهَضَّمُوا … أَخَا الحِلْمِ ما لم يَسْتَعِنْ بجهُولِ[7]
وأَذْكُرُ أَيَّامَ العَشِيرة بعدَ ما … أُمَيِّلُ غَيْظَ الصَّدْرِ كلَّ مَمِيلِ[8]
ولستُ بِمُبْدٍ للرجالِ سَرِيرتِي … وما أَنَا عن أَسرارِهِمْ بسَؤُولِ[9]

---

(١) سحيراً: مصغر «السحر» وهو آخر الليل قبيل الصبح. أعجاز النجوم: أواخرها، أي ما يبقى منها مع الصبح. الصوار، بالضم والكسر: القطيع من البقر. الأميل: ما ارتفع من الرمل، وسواؤه: وسطه.

(٢) الجوزاء: نجم يقال إنه يعترض في جوز السماء. وشالت: ارتفعت. فساطيط: جمع فسطاط، وهو بيت من شعر دون السرادق.

(٣) ينل: بفتح الياء، وضم النون ثلاثي، أو ضم الياء وكسر النون رباعي، يقال نلته العطية ونلته بها ونلت له بها أنول نولاً، وأنلته ونولته. الخلال: جمع خلة، وهي الحاجة والفقر. يريد أن من بخل عن العطاء فأمسك عن إنالة غيره إلا بعد أن يسد حاجات نفسه خدعته بشهواتها، وهي غير قليل، فلا يكاد يعطي.

(٤) الكلمة العوراء: القبيحة التي تهوي في غير عقل ولا رشد. بقبول: بذات قبول.

(٥) المعنى: لا أقول كلاماً لا أفيد منه بشيء ويؤذي صاحبي.

(٦) المعنى: قد أتجاوز الشتيمة أحياناً مع أن الحلم لا يفيد دائماً.

(٧) الجهل: ضد الحلم. يتهضموا: يظلموا ويغصبوا.

(٨) أميل: تقول العرب: إني لأميل بين ذينك الأمرين وأمايل بينهما أيهما آتي والتمييل بين الشيئين كالترجيح بينهما. يريد أنه يختبر غيظه يوازن بينه وبين الحلم.

(٩) لا أعطي سري أحداً ولا أحاول معرفة أسرار الآخرين.

وقـــومٍ يجُـــرُّونَ الثِّيَـــابَ كـــأَنَّهـــمْ نَشـــاوَى وقـــد نَبَّهْتُهـــمْ لِـــرَحِيـــلِ[1]
وعـافـى الجَبَـاطـامِـي الجِمَـامِ وَرَدْتُـهُ بِذِي خُصَلٍ ضَافى السَّبِيبِ رَجِيلِ[2]
وقـــد نَفَّـــرَ اللَّيـــلُ النهـــارَ وأُلْبِسَـــتْ سَمَـــاوةَ جَـــوْنٍ مُجْنِـــحٍ لأَصِيـــلِ[3]

(١) نشاوى: جمع نشوان ونشيان، والانتشاء أول السكر.
(٢) الجبا، بفتح الجيم: محفر البئر وشفتها. والعافي: الدارس. الجمام: جمع جمة بضم أوله، وهو معظم الماء. الطامي: المرتفع. بذي خصل: بفرس له خصل من الشعر. ضافي السبيب: طويل شعر الذنب والعرف والناصية. الرجيل من الخيل: القوي على المشي، لا يحفى ولا يعرق.
(٣) ألبست: يعني الدنيا. الجون: أراد به ههنا النهار، وسماوته كسمائه. مجنح لأصيل: مائل إلى الأصيل، وهو آخر النهار.

- ٢٠ -

وقال أبو الفضل الكِنَانِيُّ(١)

[قال أبو سعيد: أنشدنيها أبو عمرو بن العلاء].

ومُسْتَلْحَمٍ يَخْشَى اللَّحَاقَ وقد تَلا ... به مُبْطِئٌ قد مَنَّهُ الجَرْيُ فاتِرُ(٢)
ضَعِيفُ القُوَى رِخوُ العِظَامِ كأنَّها ... حِبالٌ، نَضَتْهُ مُبْطِئاتٌ مَحَامِرُ(٣)
فَنَهْنَهْتُ عنه القومَ حتَّى كأنَّما ... حَبَا دُونَه لَيْثٌ بِخَفَّانَ خَادِرُ(٤)
شَتِيمٌ أَبو شِبْلَيْنِ أخضَلَ مَتنَهُ ... من الدَّجْن يومٌ ذو أَهاذيبَ مَاطِرُ(٥)

---

(١) لم نجد له ترجمة.

مضمون الأبيات: يصور هنا رجلاً قد رهقه العدو في القتال، وهو مع ذلك على ظهر فرس ضعيف القوى، لا يستطيع أن ينجو بنفسه، بله أن ينجو بصاحبه، فيعرض هو له وينهنه عنه القوم، فلو أبصرته حينئذ أبصرت الليث. ثم ينصرف إلى وصف الليث.

(٢) المستلحم، بصيغة المفعول: الذي روهق واحتوشه العدو في القتال. تلا به: تخلف به. منه الجري: أضعفه وأعياه. الفاتر: الذي لانت مفاصله وضعف، عنى بذلك الفرس.

(٣) نضته: سبقته وتقدمته. محامر: جمع محمر، بكسر أوله وفتح ثالثه، يقال «فرس محمر»: لئيم يشبه الحمار في جريه من بطئه. أراد أن هذا الفرس من ضعفه تسبقه ضعاف الخيل.

(٤) نهنهت: كففت وزجرت. عنه: عن المستلحم. حبا: اعترض. خفان: موضع قرب الكوفة، وهو مأسدة. الخادر؛ الذي اتخذ الأجمة خدراً.

(٥) الشتيم: الكريه الوجه، يقال أسد شتيم، أي عابس. أخضل متنه: بل ظهره. الدجن: المطر الكثير. أهاضيب: دفعات من المطر.

يَظَــلُّ تُغَنِّيــهِ الغَــرَانِيــقُ، فــوْقَــهُ   أَبَــاءٌ وغِيــلٌ فــوْقَــه مُتَــآصِــرُ[1]
مُحِــبٌّ كــإِحْبَــابِ السَّقيــم ومــا بِــهِ   سِـوى أَسَـفٍ أَن لا يَـرَى مَـنْ يُثَـاوِرُ[2]

(١) الغرانيق: من طيور الماء. الأباء: جمع أباءة، وهي أجمة القصب. الغيل: الشجر الكثير الملتف الذي ليس بشوك. متآصر: متجاور ملتف.

(٢) محب: ملقى رأسه من المرض. وأحب البعير إحباباً: أصابه كسر أو مرض فلم يبرح مكانه حتى يبرأ أو يموت. صور بذلك ربوض الأسد. يثاور: يقاتل. والمثاورة: المواثبة والمساورة.

[قال أبو سعيد: قال أَبو عمرو بن العلاء]:
قال عمرو بن الأَسْود[١]
هذه القصيدةَ يومَ ذي قارٍ

ولقــد أَمَــرْتُ أخــاك عَمْــراً أَمْــرَهُ ... فعصَــى وضَيَّعَــهُ بِــذاتِ العُجــرُمِ[٢]
فــإذا أَمَــرْتُــكِ بعــدَهــا فَتَبَيَّنِــي ... أَوْ أَقْـدِمـي يـومَ الكَـريهـةِ مُقْـدَمـي[٣]
وجعلــتُ نَحْــري دُونَ بَلْــدَةِ نَحــرِهِ ... ولَبَـان مُهْـرِي إِذْ أَقُـولُ لـه اقْـدُمِ[٤]
فـي حَـوْمَـةِ المـوتِ التـي لا تَشْتَكـي ... غَمَـرَاتهـا الأَبطـالُ غيـرَ تَغَمْغُـمِ[٥]

---

(١) عمرو بن الأسود الكلبي ثم الأجداري من بني الأجدار بن عوف بن عذرة: شاعر جاهلي. من الفرسان. كان سيداً مطاعاً في قومه.
مضمون الأبيات: يقص على تلك المرأة ما كان من عاقبة خلاف عمرو لأمره، وكيف حاق به الهلاك، ووصف حومة الحرب وتساقط الفرسان. ثم سرد أسماء القبائل المشتركة في هذه الحرب، ونعت سلاحهم، وذكر كيف نجا من هذه المآزق.
وقد قيلت هذه القصيدة في يوم ذي قار، وكان ذلك اليوم بين الفرس والعرب، وذلك بعد بعثة الرسول ﷺ، وفيه قال لأصحابه: «اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نصروا».
(٢) ذات العجرم: موضع بعينه.
(٣) مقدمي: مصدر ميمي، يريد مثل إقدامي. الكريهة: الحرب.
(٤) بلدة النحر: ثغرة النحر وما حولها. اللبان، بفتح اللام: الصدر. اقدم: زجر للفرس وأمر له بالتقدم.
(٥) التغمغم: أصوات الأبطال في الوغى عند القتال. وهذا البيت ذكره صاحب اللسان منسوباً لعنترة، وهو في معلقته.

وكـــأَنَّمـــا أَقـــدامُهـــم وأَكُفُّهـــمْ ... كـرَبٌ تَسَـاقَـط مـن خليـجٍ مُفْعَـمِ[١]

لمَّـا سَمعـتُ نِـداءَ مُـرَّةَ قـد عَـلا ... وابْنَـي رَبيعـةَ فـي الغُبَـارِ الأَقْتَـمِ[٢]

ومُحَلِّمـاً يَمْشُـون تحـتَ لـوائِهـم ... والمـوتُ تحـتَ لـواءِ آلِ مُحَلِّـمِ[٣]

وسمعـتُ يَشْكُـرَ تـدَّعِـي بحُبَيِّـبٍ ... تحتَ العَجَاجَةِ وهْيَ تقْطُرُ بالدَّمِ[٤]

وحُبيِّـبٌ يُـزْجُـونَ كـلَّ طِمِـرَّةٍ ... ومـنَ اللَّهَـازِمِ شَخْـتُ غَيْـرِ مُصَـرَّمِ[٥]

والجَمْـعُ مـن ذُهْـلٍ كـأَنَّ زُهَـاءَهُـمْ ... جُرْبُ الجِمـالِ يَقـودُهـا ابْنَـا شَعْثَـمِ[٦]

قـذَفُـوا الـرِّمـاحَ وبـاشَـرُوا بنُحـورِهـم ... عنـدَ الضِّـرَابِ بِكـلِّ لَيْـث ضَيْغَـمِ[٧]

والخيـلُ يَضْبِـرْنَ الخَبَـارَ عَـوَابِسـاً ... وعلـى مَنَـاسِجِهَـا سَبَـائِـبُ مـن دمِ[٨]

لا يَصْـدِفـون عـن الـوَغَـى بخُـدُودِهـم ... فـي كـلِّ سـابغـة كَلَـوْنِ العِظْلِـمِ[٩]

---

(١) الكرب، بفتح الراء: أصول السعف الغلاظ العراض التي تيبس فتصير مثل الكتف. من خليج: في خليج، و «من» تأتي بمعنى «في» كقوله تعالى إذا نوى للصلاة من يوم الجمعة. مفعم: مملوء.

(٢) المعنى: عندما سمعت استغاثة مرة وابني ربيعة قادماً من الغبار الحالك.

(٣) المعنى: ومحلم تمشي تحت لوائهم والموت يحوم تحت ذلك اللواء.

(٤) تدعى: تنتسب. حبيب، بالتصغير وتشديد الياء أي أن يشكر تنتسب إلى حبيب.

(٥) يزجون: يسوقون ويدفعون. الطمرة: المستفزة للوثب والعدو، يريد الفرس. اللهازم: قبائل عجل وتيم اللات وقيس بن ثعلبة وعنزة. شخت: الشخت الدقيق من الأصل لا من الهزال. مصرم: الذي أصابه قرح فلا يدر وذلك أن يصيب الضرع شيء فيكوى بالنار فلا يخرج منه لبن أبداً.

(٦) زهاءهم: قدرهم، أو شخوصهم.

(٧) المعنى: طرحوا الرماح وبادروا كالليوث إلى القتال بالسيوف.

(٨) يضبرن: ضبر الفرس إذا عدا، أو جمع قوائمه ووثب. الخبار: الأرض اللينة المسترخية نصبها على نزع الخافض، أراد: في الخبار. المناسج: جمع منسج وهو ما بين العرف وموضع اللبد. السبائب: الطرائق.

(٩) يصدفون: يعرضون ويميلون. السابغة: الدرع التامة. العظلم: عصارة شجر لونه أخضر إلى الكدرة. شبه به لون الدروع إذا صدئت.

نَجّـاكَ مُهْـرُ ابْنَـيْ حـلاَمٍ منهـمُ	حتّى اتَّقَيْتَ المـوتَ بـابْنَيْ حِـذْيَمِ[1]
ودَعَـا بَنـي أُمِّ الـرُّوَاعِ فَـأَقبَلـوا	عنـدَ اللقـاءِ بكـلِّ شـاكٍ مُعْلَـمِ[2]
يَمْشُون في حَلق الحَديدِ كما مشَتْ	أُسْـدُ الغـرِيـفِ بكـلِّ نَحْسٍ مُظلِمِ[3]
فنجـوْتَ مـن أرمـاحهـمْ مـنْ بَعْـدِما	جـاشَـتْ إليـكَ النفسُ عِنـدَ المَـأْزِمِ[4]

---

(١) حلام: اسم. اتقيت الموت: نجوت.
(٢) الشاكي: شاكي السلاح، هو ذو الشوكة والحد في سلاحه. المعلم: الجاهل لنفسه علماً يعرف به في الحرب، ولا يفعل ذاك إلا الشجاع.
(٣) الغريف: الشجر الملتف. النحس: الغبار.
(٤) جاشت النفس: ارتاعت وخافت فهمت بالفرار. المأزم: المضيق.

ـ ٢٢ ـ

وقال سَعْيَةُ بنُ الغُرَيض اليهوديُّ(١)

أَلاَ إِنِّـــي بَلِيـــتُ وقـــد بقِيـــتُ ... وإِنِّـــي لـــن أَعـــودَ كَمَـــا غَنِيـــتُ(٢)
فـــإِنْ أَوْدَى الشَّبـــابُ فلـــم أُضِعْـــه ... ولـــم أَتْكِـلْ علـى أَنِّـي غُـذِيـتُ(٣)
إذا مـــا يَهْتَـــدِي حِلْمِـــي كفَـــانـــي ... وأَسْـــأَلُ ذَا البيـــان إِذا عَيِيـــتُ(٤)
ولا أَلْحَـى علـى الحَـدَثَـانِ قـوْمـي ... علـى الحَـدَثَـانِ مـا تُبْنـى البُيُـوتُ(٥)
أُيَـــاسِـــرُ مَعْشَـــرِي فـــي كـــلِّ أَمْـــرٍ ... بـــأَيْسَـــرِ مـــا رَأَيـــتُ ومـــا أُرِيـــتُ(٦)

---

(١) هو سعية بن الغُريض بن عادياء اليهودي، شاعر متقدم مجيد، وهو أخو السموأل المشهور بالوفاء له أخبار وأشعار كانت مما يغنى به. ومن المصادفات أن أكثرها يتصل بالمال كما هي طبيعة اليهود. وكان معاوية يتمثل ببعض شعره.

مضمون الأبيات: بكى شبابه وعزى نفسه بأنه جرى مع الشباب في إبانه، وذكر أنه لا يستنكف أن يستشير غيره إذا غاب عنه وجه الرأي، وأنه لا يلوم قومه في مغامراتهم، فإن المغامرة فيها المجد والعزة. وفخر بأنه يعين قومه جهده ويناصرهم؛ إذ أن عزه من عزهم، وبأنه لا يقارف السوء، وأنه يخالف هوى النفس إذا بان له الضرر.

(٢) يريد أنه صار شيخاً فانياً، وأنه لن يعود إلى ما كان عليه من شباب.

(٣) أودى: ذهب وولى. أتكل، ضبطت بخط الشنقيطي بفتح الهمزة وسكون التاء: وأصلها «أتكل» بتشديد التاء.

(٤) المعنى إذا أرشدني عقلي إلى الصواب كفاني وإلا فلا ضير عندي من مشاورة الآخرين.

(٥) لا ألحى: لا ألوم. الحدثان، بفتح الحاء والدال: نوب الدهر وحوادثه.

(٦) أياسر: أعامل بيسر. معشري: قومي وأصدقائي.

وداري فــــي مَحَلِّهِــــمُ ونَصْـــرِي إذا نَـــزَلَ الأَلَـــدُّ المُسْتَمِيـــتُ[1]
وأَجْتَنِـــبُ المَقَـــاذِعَ حيـــثُ كـــانـــت وأَتْـــرُك مـــا هـــويـــتُ لِمَـــا خَشِيـــتُ[2]

---

(١) الألد: الخصم الجدل الشحيح الذي لا يريغ إلى الحق.

(٢) المقاذع: من القذع، وهو الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره. والمعنى: ابتعد عن الفحش في الكلام وأقاوم أهوائي صوناً لأخلاقي وشرفي.

ـ ٢٣ ـ

وقال السَّمَوْأَلُ أَخُو سعْيَةَ(١)

نُطْفَــةً مــا مُنِيــتُ يــومَ مُنِيــتُ ... أُمِــرَتْ أَمْــرَهــا وفيهــا وُبيــتُ(٢)
كنَّهَــا اللَّــهُ فــي مكــان خَفِــيٍّ ... وخَفِــيٌّ مَكــانُهــا لــو خفِيــتُ(٣)
أَنَــا مَيْــتٌ إذْ ذَاكَ ثُمَّــتَ حَــيٌّ ... ثــم بعــدَ الحيــاة للبَعْـثِ مَيْـتُ(٤)
إنَّ حِلْمِــي إذا تغَيَّــبَ عَنِّــي ... فــاعْلَمِــي أَنَّنِــي كَبِيــرٌ رُزِيــتُ(٥)
فــاجْعَلَــنْ رِزقِــيَ الحَــلالَ مــن الكَســ ... ــبِ وبِــرًّا سَــرِيــرَتــي مــا حَيِيــتُ(٦)

(١) السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي: شاعر جاهلي حكيم. من سكان خيبر، كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه «الأبلق». أشهر شعره لاميته التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكــل رداء يــرتــديــه جميــل

وهي من أجود الشعر. وهو الذي تنسب إليه قصة الوفاء مع امرىء القيس الشاعر. توفي نحو (٦٥ ق.هـ/ ٥٦٠ م).

مضمون الأبيات: يذكر في الأبيات الثلاثة الأولى، نشأة الإنسان منذ كان نطفة، ومصيره إلى الموت ثم رجعته في الحياة الآخرة. ثم يعتذر من غيبة الحلم عنه لتقدم السن، ويرجو أن يكون رزقه من حلال الكسب، ويعتز بحرصه على الأمانة، واستعماله العفو والصفح، ثم ذكر ما يكون من الحساب يوم الدين، فهو يخشاه في رهبة وخوف. ثم يضرب مثلاً في الدعوة إلى القناعة والرضا، بما كان من ذهاب ملك داود، على سعة سلطانه وملكه، ويتعزى بأن الأرزاق لا تجري على القوة والاجتهاد، وإنما يصرفها الخالق بقضائه وإرادته.

(٢) نطفة: أراد منيت نطفة، و «ما» زائدة. منيت: قدرت. وبيت: أصلها «وبئت» بتسهيل الهمزة، أي هيئت.

(٣) كنها الله: وخصها الله.

(٤) المعنى: أنا ميت ثم حي ثم ميت ثم أبعث من جديد.

(٥) وزيت: أصبت، وأصلها بالهمزة فسهلت.

(٦) المعنى: لا أكسب سوى الحلال ولا أنوي سوى الخير.

ضَيِّـقُ الصَّـدْرِ بـالخِيـانـةِ لا يَنـ ـقُـصُ فَقْـرِي أَمَـانَتـي مـا بَقِيـتُ[1]
رُبَّ شَتْـم سَمِعْتُـه فتصـامَمْـ ـت وَغَـيٍّ تَـرَكْتُـه فكُفِيـتُ[2]
ليـتَ شِعْـري وأَشْعُـرَنَّ إذا مـا قِيـلَ اقْـرأْ عُنْـوانَهـا وقَـرَيْـتُ[3]
أَلِـيَ الفَضْـلُ أَمْ عَلَـيَّ إذا حُـو سِبْتُ، إنِّي على الحسابِ مُقِيتُ[4]
مَيْتَ دَهْـرٍ قـد كنـتُ ثُـمَّ حَيِيـتُ وحَيـاتـي رَهْـنٌ بـأَنْ سَـأَمُـوتُ
وأَتَتْنِـي الأَنبـاءُ أَنِّـي إذا مـا مُـتُّ أَوْ رَمَّ أَعْظُمِـي مَبْعُـوتُ[5]
هـل أَقُـولَـنْ إذا تَـدارَكَ حِلْمِـي وتَـدَاكَـا عَلَـيَّ: إنِّـي دُهِيـتُ[6]
أَبِفَضْـلٍ مِـنَ المَلِيـكِ ونُعْمَـى أَمْ بِـذَنْـب قَـدَّمْتُـه فجُـزِيـتُ[7]
يَنفَـعُ الطَّيِّـبُ القَلِيـلُ مِـن الـرِّزْ قِ ولا يَنفَـعُ الكَثِيـرُ الخَبِيـتُ[8]
وأَتَتنِـي الأَنبـاءُ عـن مُلْـكِ دَاو دَ فقَـرَّت عَيْنِـي بـه ورضِيـتُ
ليـس يُعْطَـى القَـوِيُّ فضـلاً مـن الرِّزْ قِ ولا يُحْـرَمُ الضَّعِيـفُ الخَتِيـتُ[9]
بَـلْ لِكـلٍّ مِـنْ رِزقِـهِ مـا قَضَـى اللَّـ ـهُ وإن حَـكَّ أَنفَـهُ المُستمِيـتُ[10]

---

(١) المعنى: أكره الخيانة وأحرص على أداء الأمانة رغم فقري.
(٢) المعنى: كم تظاهرت بأني لا أسمع شتيمة من شتمني وكم تجاوزت ظلم من ظلمني.
(٣) ليت شعري: ليتني أشعر، أي أعلم. اقرأ: قطع همزة الوصل للشعر. قريت: قرأت بإبدال الهمزة ياء، وهي لغة محكية.
(٤) المقيت: الحافظ للشيء والشاهد له، أي أعرف ما عملت من السوء لأن الإنسان على نفسه بصيرة.
(٥) رم أعظمي: بليت عظامي فصارت رمة. مبعوت: هي مبعوث، قلب الثاء تاء. الأنباء: الأخبار.
(٦) تدارك: تتابع. تداكا: دافع وزاحم، وأصله «تداكأ» بالهمزة. يريد إذا تقاسمته. الهموم والهواجس. دهيت: أصبت بداهية.
(٧) المليك: هنا الله عز وجل. قدمته: ارتكبته.
(٨) الخبيت: هو الخبيث بقلب الثاء تاء.
(٩) فضلاً: زيادة. الختيت: الخسيس من كل شيء.
(١٠) المعنى: إن الله يرزق من يشاء ويحرم من يشاء.

ـ ٢٤ ـ

وقال أَعشى باهِلَة(١)
واسمه عامر بن الحرث، أحد بني وائلٍ

قَـدْ جـاءَ مِـنْ عَـلِ أَنبـاءٌ أُنَبَّـؤُهـا ... إلَـيَّ لا عجَـبٌ منهـا ولا سُخُـرُ (٢)

فَظَلْـتُ مُـرْتَفِقـاً للنَّجْـمِ أَرْقُبُـه ... حَـرَّانَ مُكْتَئِبـاً لَـو يَنْفَـعُ الْحَـذرُ (٣)

وجـاشـتِ النَّفسُ لمَّـا جـاءَ جمعُهُـمُ ... وراكـبٌ جـاءَ مِـن تثلِيـثَ مُعتمـرُ (٤)

---

(١) هو أعشى باهلة، يكنى أبا قحفان، واسمه: عامر بن الحرث بن رياح الباهلي وهو شاعر جاهلي مجيد. أشهر شعر له هذه الرائية في رثاء أخيه لأمه المنتشر بن وهب. وقيل اسمه عمر.

مضمون الأبيات: هذه القصيدة من المراثي المعدودات، يرثي بها أعشى باهلة أخاه لأمه المنتشر بن وهب. وكان المنتشر رئيساً.

وقد صور الأعشى كيف بلغه نعي أخيه، وما حز ذلك في نفسه، وأبنه بما أشاع من جوده زمان الجدب والأزمات، وذكر كيف كانت إبله تفزع منه، لما كان يفجؤها به من نحرها للضيف. ومدحه بعظم آثاره، وباتزانه، وغلبته لعدوه، ووفائه لصديقه، ومهارته في الحرب والكسب، وقدرته في المحافل، وبأنه عماد قومه، وبشدة خلقه وصحة بنيته، وخطاره بنفسه في الأسفار، وحله للمعضلات، وإدمانه الغزو، وزهادته في الطعام والشراب، وبألمعيته وعفته، وقدرته على الإدلاج. ثم بكى ما كان بينهما من اجتماع فرقة الزمان، وأبدى جزعه لهول النائبة التي لا يستطيع لها صبراً. ثم دعا على قاتله ـ وهو هند بن أسماء ـ أن لا يهنأ بظفره. وسجل لبني نفيل خيانتهم، وغدرهم بالمنتشر، وقد كان لقومه رأساً وشهاباً يستضيؤون به.

(٢) عل، بالحركات الثلاث في اللام: أي جاءت أنباء من أعلى، يريد أعلى نجد. السخر، بفتحتين وبضمتين: السخرية. يريد أنه لا يعجب من الموت ولا يسخر.

(٣) مرتفقاً: متكئاً على مرفق يده. حران: لعلها ثابت في مكاني.

(٤) جاشت: ارتاعت واضطربت. تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة. معتمر: قال الأصمعي: زائر، وقال أبو عبيدة: متعمم بالعمامة.

يَأْتِي على الناسِ لا يَلوِي على أحدٍ حتَّى الْتَقيْنا وكانت دونَنا مُضَرُ[1]

إنَّ الذي جِئتَ من تثلِيثَ تَندُبُهُ منه السَّماحُ ومنه النَّهْيُ والغِيَرُ[2]

نَعَيْتَ مَن لا تُغِبُّ الحَيَّ جَفنَتُه إذَا الكواكبُ أَخطَا نَوْءَها المطَرُ[3]

وراحتِ الشَّوْلُ مُغبَرًّا مَباءَتُها شُعْثاً تَغَيَّر منها النِّيُّ والوَبَرُ[4]

وأَجْحَرَ الكلبَ موضوعُ الصَّقِيع به وأَلْجَأَ الحَيَّ من تَنفَاحِه الحُجَرُ[5]

عليه أَوَّلُ زادِ القوم إن نزلوا ثمَّ المطِيَّ إذا ما أَرْمَلوا جَزرُوا[6]

لا تأْمَنُ البازلُ الكَوْماءُ ضَرْبتَه بالمَشرفيِّ إذا ما اخْروَّط السَّفَرُ[7]

وتفزَعُ الشَّوْلُ منه حينَ يَفجَؤُها حتَّى تَقَطَّعَ في أعناقها الجِرَرُ[8]

لم تُرَ أَرْضٌ ولم يَسْمَعْ بها أَحَدٌ إلاَّ بها من نَوادِي وَقعِهِ أَثَرُ[9]

---

(١) لا يلوي على أحد: لا يعطف ولا ينتظر.

(٢) تندبه: تبكيه وتعدد محاسنه. الغير: الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير، وغير الدهر: أحداثه.

(٣) نعيت: كان العرب إذا مات منهم شريف بعثوا راكباً إلى قبائلهم ينعاه. تغب: تأتي يوماً بعد يوم. نوءها: النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق، وكانت العرب تضيف الأمطار إلى الأنواء. يريد أن جفانه لا تنقطع في القحط والشدة.

(٤) الشول: جمع شائلة، وهي الناقة التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها. مباءتها: مراحها الذي تبيت فيه. الني، بكسر النون وفتحها: الشحم. يريد أنها صارت هزيلة.

(٥) أجحره: ألجأه إلى أن دخل جحره. الصقيع: الذي يسقط من السماء بالليل شبيه بالثلج. تنفاحه: من النفح وهو شدة الدفع، يريد من تنفاح الصقيع. والحجر: جمع حجرة، وهي الغرفة أو حظيرة الإبل من شجر. وألجأتهم الحجر: عصمتهم.

(٦) يعني أنه يلزم نفسه زاد أصحابه، فإذا فنى أباحهم جزر مطاياه. أرملوا: نفد زادهم.

(٧) البازل: ما استكمل من الإبل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه، من البزل وهو الشق، يقال للذكر والأنثى. الكوماء: العظيمة السنام. المشرفي: السيف المنسوب إلى المشارف، وهي قرى من العرب تدنو إلى الريف، أو إلى مشرف: رجل من ثقيف. اخروط السفر: امتد وطال.

(٨) الجرر: جمع جرة، بكسر الجيم فيهما، وهي ما يخرجه البعير للاجترار، يريد أن الإبل تعودت أن يعقر منها فإذا رأته كظمت على جرتها فزعاً منه.

(٩) نوادي النوى: ما تطاير منها تحت المرضخة، شبه بها ما يصيب الناس من آثاره.

وليس فيه إذا استَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ   وليس فيه إذا يَاسَرْتَهُ عَسَرُ(١)
إمَّا يُصِبْكَ عدُوٌّ في مُناوأةٍ   يوماً فقد كنت تَسْتَعْلي وتَنْتَصِرُ(٢)
مَنْ ليس في خَيْره شرٌّ يُكَدِّرُه   على الصَّدِيقِ ولا في صَفوِهِ كَدَرُ(٣)
أَخو حروبٍ ومكسَابٌ إذَا عَدِمُوا   وفي المَحافِلِ منهُ الجِدُّ والحَذَرُ(٤)
أَخو رغائِبَ يُعطِيها ويُسْألُها   يأْبى الظُّلامَةَ منه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ(٥)
لا يَغمِزُ الساقَ من أَيْنٍ ومن وَصَبٍ   ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ(٦)
لا يَتَأَرَّى لِمَا في القِدْرِ يَرْقُبُهُ   ولا يَزالُ أَمامَ القومِ يقْتَفِرُ(٧)
طَاوى المصِيرِ، على العَزَّاءِ مُنصَلِتٌ   بالقوم ليلَةَ لا ماءٌ ولا شَجرُ(٨)
مُهَفهَفٌ أَهْضَمُ الكشحَيْنِ، مُنخَرِقٌ   عنه القَميصُ، لِسَيْرِ اللَّيلِ مُحتقِرُ(٩)
لا يُصْعِبُ الأَمْرَ إلاَّ رَيْثَ يَرْكَبُه   وكلَّ أَمْرٍ سِوَى الفَحشاءِ يَأْتمِرُ(١٠)

---

(١) المعنى: لا يستعجل من يطلب منه الأمهال وليس صعباً إذا عاملته بيسر.
(٢) المعنى: إذا تمكن أحد منك ذات يوم فلطالما كنت أنت المنتصر.
(٣) المعنى: يفعل الخير ولا يعقبه بمنة أو كدر.
(٤) المعنى: بطل كريم، يهب ما يكسب، رصين حذر.
(٥) الرغائب: العطايا الواسعة. النوفل: المعطاء وقيل الشجاع. الزافر: السيد، لأنه يزدفر بالأموال في الحمالات مطيقاً لها. والمعنى يأبى الظلامة لأنه النوفل الزفر.
(٦) الأين: الإعياء والتعب. الوصب: الوجع والمرض. الشرسوف: رأس الضلع مما يلي البطن. الصفر: زعموا أنه دابة تعض الضلوع والشراسيف إذا جاع الإنسان. يصفه بشدة الخلق وصحة البنية.
(٧) لا يتأرى: لا يتحبس. قال ابن السيد: «يمدحه بأن همته ليست في المطعم والمشرب وإنما همته في طلب المعالي». الاقتفار: اتباع الأثر أي يقدم قومه ويتعرف لهم الأثر.
(٨) المصير: واحد المصران، وهي الأمعاء. وطاوى المصير: ضامر البطن من الجوع. العزاء: الشدة والجهد. المنصلت: الصلت الماضي في الحوائج.
(٩) المهفهف: الخميص البطن الدقيق الخصر. الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، والهضم، بفتحتين: لطف الجنبين. والعرب تمدح الهزال وتذم السمن.
(١٠) أصعب الأمر: وافقه صعباً. ريث: أي قدر، يقولون: يريد يفعل، أي أن يفعل. يأتمر: يفعله من غير مشاورة، كأن نفسه أمرته به فأطاعها.

لا يَـأْمَـنُ النـاسُ مُمْسَـاهُ ومُصْبَحَـهُ ... مـن كـلِّ فَـجٍّ إذَا لـم يَغْـزُ يُنتظَـرُ[١]

تَكْفِيـه حُـزَّةُ فِلْـذٍ إنْ أَلَـمَّ بهـا ... مـن الشِّـوَاءِ، ويُـرْوى شـرْبَـه الغُمَـرُ[٢]

كـأَنَّـهُ بعـدَ صِـدْقِ القـوم أنفسَهـم ... بـاليـأس يَلمَـعُ مـن قُـدَّامِـهِ البُشُـرُ[٣]

لا يُعْجِـلُ القـومَ أَنْ تَغْلِـي مـرَاجِلُهـم ... ويُـدْلِـجُ الليـلَ حتَّـى يَفسُـحَ البَصَـرُ[٤]

عِشْنـا بِـذلـكَ دهـراً ثـم فـارَقَنـا ... كـذلـك الـرُّمْـحُ ذو النَّصْلَيْـنِ يَنكسِـرُ[٥]

فـإن جَـزِعْنَـا فقـد هَـدَّتْ مُصيبَتُنـا ... وإنْ صَبَـرْنَـا فـإِنَّـا مَعْشَـرٌ صُبُـرُ[٦]

إنِّـي أَشُـدُّ حـزِيمـي ثُـمَّ يُـدْرِكُنـي ... منـكَ البَـلَاءُ ومـن آلائِـكَ الـذِّكَـرُ[٧]

أَصبْـتَ فـي حَـرَمٍ مِنَّـا أَخَـا ثِقَـةٍ ... هِنْدَ بن أَسْمَاءَ، لا يَهْنِىءْ لكَ الظفَرُ[٨]

إمَّـا سَلَكْـتَ سبيـلاً كنـتَ سَـالِكَهـا ... فـاذهـبْ فـلا يُبْعِـدَنْـكَ اللَّـهُ مُنتشِـرُ[٩]

لـو لـم تخُنـهُ نُفَيْـلٌ، وهـيَ خـائِنـةٌ، ... أَلَـمَّ بـالقـوم وِرْدٌ منـه أَو صَـدَرُ[١٠]

وَرَّادُ حَـرْبٍ شهـابٌ يُسْتَضـاءُ بِـهِ ... كمـا يُضِـيءُ سَـوادَ الطُخيَـةِ القمَـرُ[١١]

---

(١) إن لم يكن غازياً فإنهم قلقون يرقبون أن يغزوهم.

(٢) الحزة: ما قطع من اللحم طولاً. الفلذ: كبد البعير. الغمر: أصغر الأقداح. ألم بها: أصابها.

(٣) البشر: جمع بشير. يريد أنه إذا فزع القوم وأيقنوا الهلاك فكأنه من ثقته بنفسه قدامه بشير يبشره بالظفر.

(٤) المراجل: جمع مرجل، وهو ما يطبخ فيه من قدر وغيره، يريد أنه لا يعجلهم عن طعامهم. الإدلاج: سير الليل كله. يفسح: يتسع، أي يظهر النهار فيتسع مدى الأبصار.

(٥) النصل: السنان، والنصلان: على التغليب، أراد بهما النصل والزج، والزج هو الحديدة أسفل الرمح، ويقال لهما «الزجان» على التغليب أيضاً.

(٦) معشر: قوم. جزعنا: خفنا.

(٧) الحزيم: موضع الحزام من الصدر والظهر كله.

(٨) حرم: يريد به ذا الخلصة، وهو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة. هند بن أسماء: هو الحارثي الذي كان المنتشر أسره من قبل، فأسرها في نفسه حتى قتل المنتشر. الظفر: النصر.

(٩) منتشر: منادي حذف حرف ندائه. يدعو عليه بالموت.

(١٠) نفيل: هم بنو نفيل بن عمرو بن كلاب، وهم أعداء المنتشر.

(١١) الطخية، مثلثة الطاء: الظلمة. الورد في الأصل ورود القوم الماء والصدر نقيضه.

ـ ٢٥ ـ

قال كعبُ بنُ سَعْدٍ الغَنَويُّ (١)

قال أبو سعيد: عن حبيب بن شَوْذب، رجل من أهل نجد مُسِنٍّ، عن أبيه قال: أَنشدنيها كعب بن سعد الغنويُّ مواقفاً لي براذان:

أخِي ما أخِي لا فاحشٌ عندَ بَيتِهِ ... ولا وَرَعٌ عنــد اللقــاءِ هيُــوبُ (٢)
هــو العسَـلُ المــاذِيُّ حلمــاً ونــائــلاً ... وليــثٌ إذا يَلْقَــى العــدوَّ غضــوبُ (٣)
لقــد كــان، أَمَّــا حِلمُـــه فمُـــرَوَّحٌ ... علينــا، وأَمَّــا جهلُــه فعَــزيــبُ (٤)
حليــمٌ إذا مــاسَوْرَةُ الجهــل أطلقَـتْ ... حُبَى الشِّيبِ للنفسِ اللَّجُوجِ غلوبُ (٥)
هَــوَتْ أُمُّــه مــا يَبْعَـثُ الصُّبْـحُ غــادِيــاً ... ومــاذا يُــؤَدِّي اللَّيْــلُ حيــن يَــؤُوبُ (٦)

---

(١) مرت ترجمته.

مضمون الأبيات: يرثي الشاعر أخاه فيصوره جواداً جموعاً لخلال الخير، حريصاً على خلات الكرام. ثم أبدى أسفه على الصحبة الطيبة، وعزى نفسه بأنه سوف يلحق أخاه، وتمنى أن لو استطاع فداءه. ثم أنحى على الدهر يلومه فيما صنع، ونعت أخاه بالجود والعزة والحلم والهيبة.

(٢) الورع، بفتحتين الجبان.

(٣) الماذي: العسل الأبيض اللين. النائل: العطاء.

(٤) مروح: لذيذ طيب. عزيب: بعيد.

(٥) سورة الجهل: حدته. الحبى: حبوة، وهي الثوب الذي يحتبي به. وإنما خص حبى الشيب لأنهم أكثر وقاراً. اللجوج: المتمادية؛ تقال للذكر والأنثى. غلوب: شديد.

(٦) هوت أمه: هلكت، أو معناه: ثكلته أمه. وليس المراد الدعاء بذلك، بل التعجب والمدح، كقولهم: قاتله الله ما أفصحه. غادياً: أي أي شيء يبعث الصبح منه حين يغدو إلى الحرب. يؤوب: يرجع.

كعَـالِيـة الـرُّمْـحِ الـرُّدَيْنـيِّ، لـم يكُـنْ ... إذا ابْتَـدَرَ الخيـلَ الـرجـالُ يَخِيـبُ[١]
أخــو شَتَــوات يَعْلَــمُ الضَّيــفُ أنــه ... سَيَكْثُــرُ مــا فــي قِـدْرِه ويَطِيــبُ[٢]
إذا حَــلَّ لــم يُقْــصِ المحلَّــةَ بيتَــه ... ولكنــه الأَدْنــى بحيــثُ تَنــوبُ[٣]
حبيــبٌ إلــى الخِــلاَّنِ غِشيــانُ بيتــهِ ... جميــلُ المُحَيَّـا شـبَّ وهـوَ أَدِيـبُ[٤]
يَبِيــتُ النَّـدى يــا أُمَّ عَمــرو ضَجيعَــه ... إذا لـم يكـن فـي المُنْقيـاتِ حَلـوبُ[٥]
إذا نَــزَلَ الأضيــافُ أو غبْــتَ عنهــمُ ... كَفَــى ذاكَ وضَّــاحُ الجبيــنِ أَرِيـبُ[٦]
وداعٍ دَعَـا: يـا مَـنْ يُجِيبُ إلـى النَّـدَى ... فلــم يسْتَجِبْــهُ عنـدَ ذاكَ مُجيــبُ[٧]
فقلتُ ادْعُ أُخرَى وَارْفَع الصوتَ دَعوةً ... لعــلَّ أَبَــا المِغــوَارِ منـكَ قـرِيـبُ[٨]
يُجِبْـكَ كمـا قــد كــان يَفعـلُ إنــه ... بــأمثـالِهـا رَحْـبُ الـذِّرَاع أريـبُ[٩]
كــأَنَّ أبـا المِغـوارِ لـم يُـوفِ مَـرْقبـاً ... إذا رَبـــأَ القـــومَ الغُـــزَاةَ رقيــبُ[١٠]
ولــم يَــدْعُ فتيــانــاً كــرامــاً لِمَيْسِـرٍ ... إذَا اشتـدَّ مـن ريـحِ الشتـاءِ هُبـوبُ[١١]

---

(١) الرديني: نسبة إلى ردينة، امرأة سمهر، الذي تنسب إليه الرماح السمهرية، وكانا يقومان الرماح بخط هجر. ابتدر الخيل: سارع إلى امتطائها.

(٢) شتوات: العرب تكنى بالشتوات عن المجاعات والشدائد، لأنها أكثر ما تكون عندهم في الشتاء.

(٣) أي لم يبعد بيته عن المحلة. تنوب: أي تنوب النوائب. الأدنى: الأقرب.

(٤) المعنى يطيب ارتياد بيته للأصحاب وهو جميل شب على الأخلاق العالية.

(٥) المنقيات: ذوات النقي وهو الشحم. حلوب: التي تحلب، يريد الناقة. الندى: الكرم.

(٦) وضاح الجبين: طلق المحيا. أريب: عاقل.

(٧) يستجبه: يجبه، والإجابة والاستجابة بمعنى واحد.

(٨) المعنى: ارفع صوتك. لعل أبا المغوار يسمع نداءك.

(٩) رحب الذراع: كريم.

(١٠) المرقب والمرقبة: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب. وأوفيت عليه وأوفيت فيه: أشرفت وعلوت. ربأ القوم: اطلع لهم على شرف. رقيب: مراقب.

(١١) الميسر: كان العرب يتقامرون بضرب القداح على الجزر يقسمونها في المحتاجين، وأكثر ما يفعلون ذلك في الشتاء حين الجدب.

فـــإِنِّــي لَبَــاكِيــهِ وإِنِّـــي لَصــادِقٌ | عليــه، وبعــضُ البــاكيــاتِ كــذوبُ
فتًـــى أَرْيَحِيًّــا كــان يَهْتَــزُّ لِلنَّــدَى | كما اهْتَزَّ من ماءِ الحديدِ قَضِيبُ(1)
وحــدَّثْتُمَــاني أَنَّمَــا المــوتُ فــي القُرَى | فكيــفَ وهــاتَــا هضْبَــةٌ وقَلِيــبُ(2)
ومـــاءُ سمـــاءٍ كـــان غَيْــرَ مُخمَّــر | بِبَـــرِّيَّـــة تَجْــرِي عليــه جَنُــوبُ(3)
ومنــزِلَــة فــي دارِ صِــدْقٍ وغِبْطَــة | ومــا اقتــالَ مــن حُكــمٍ علــيَّ طَبِيــبُ(4)
تــرعــى عَــرَصَــاتِ الحَيِّ تُمْسِي كــأَنَّهــا | إِذَا غــابَ لــم يَحْلُــلْ بهــنَّ عَــرِيــبُ(5)
لِيَبْكِــكَ دَاعٍ لـــم يَجِـــدْ مَـــن يُعِينــه | وطاوِي الحشا نائي المَزَارِ غريبُ(6)
تَـــرَوَّحَ تَـــزْهَـــاهُ صَبــاً مُسْتَطِيفَـــةٌ | بكـــلِّ ذَراً والمُسْتَـــرَادُ جَـــدِيـــبُ(7)

(١) الأريحي: الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف. يهتز للندى: يندفع للبذل والكرم، يرتاح للكرم.

(٢) القرى: من المساكن والأبنية والضياع، وقد تطلق على المدن. القليب: البئر.

(٣) مخمر: غير مغطى وذلك أنقى لفساده. الجنوب: الريح التي تقابل الشمال، قال الأصمعي: «إذا جاءت الجنوب جاء معها محير وتلقيح».

(٤) اقتال: تحكم. وقد عنى أن أخاه لم يمرض فيحتاج إلى طبيب.

(٥) العرصات: جمع عرصة، البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء. عريب: أحد، ولا تستعمل في غير النفي.

(٦) المعنى: ليبكيك مستغيث لم يجد من يغيثه وضيف لم يجد من يكرمه وينزله في داره.

(٧) تروح: سار في ارواح، وهو من لدن زوال الشمس إلى الليل، والضمير للغريب في البيت السابق. تزهاه: تسوقه وتدفعه. الصبا: ريح تهب من المشرق. مستطيفة: مطيفة، استطاف وطاف بمعنى. الذرا، بفتح الذال: كل ما استتر به، يقال أنا في ذرا فلان أي في كنفه وستره. يريد أن الصبا تستطيف بكل ما يلجأ إليه. المستراد: موضع الارتياد للكلأ. جديب: لا شيء فيه.

ـ ٢٦ ـ

وقال غُرَيْقَةُ بن مُسَافِعٍ العَبْسيُّ[(١)]

تقَولُ سُلَيْمَى ما لِجِسْمِكَ شاحباً ... كأَنَّك يَحميكَ الشَّرابَ طبيبُ[(٢)]

فقلتُ ولم أَعْيَ الجوابَ ولم أُلِحْ ... وللدَّهرِ في صُمِّ السِّلاَمِ نَصيبُ[(٣)]

تَتَابُعُ أَحداثٍ تخَرَّمْنَ إخوتي ... وشيَّبْن رأْسِي والخطوبُ تُشِيبُ[(٤)]

أَتَى دونَ حُلوِ العيشِ حتى أَمَرَّه ... نُكوبٌ على آثارهِنَّ نُكوبُ[(٥)]

لعَمْرِي لَئِنْ كانت أَصَابت مصيبةٌ ... أَخي، والمنايَا لِلرِّجال شعُوبُ[(٦)]

أَخي كان يَكفيني وكان يُعينني ... على نائباتِ الدهر حينَ تَنوبُ[(٧)]

هَوتْ أُمُّه ماذا تَضَمَّنَ قبرُه ... منَ الجُودِ والمعروفِ حينَ يَنوبُ[(٨)]

---

(١) لم نجد ترجمة له. ولعل هذه القصيدة هي القسم الأول من قصيدة كعب بن سعد الغنوي السابقة.

مضمون الأبيات: يمدح أخاه بالعفة والشجاعة والحلم والكرم وأنه رجل حرب وسخاء.. ثم يبكيه بصدق ويصور لنا مكانه في الحي وعطفه على المحتاج.

(٢) شاحباً: متغيراً، لعارض من مرض أو سفر أو نحوهما.

(٣) أعي: يقال عييت بالأمر، وعييته: عجزت عنه. لم ألح: لم أحاذر. السلام، بكسر السين: الحجارة الصلبة، والصم: الصلاب الشداد.

(٤) تخرمن اقتطعن واستأصلن.

(٥) النكوب: جمع نكب، بفتح فسكون، والنكب والنكبة بمعنى واحد وهي المصيبة.

(٦) شعوب: وصف مبالغة من «الشعب» بفتح الشين، بمعنى التفريق. المنايا: الموت.

(٧) المعنى: كان أخي يكفيني ويساعدني على عوادي الأيام ومصائب الدهر.

(٨) ينوب: أي حين ينزل ما ينزل من المهمات والحوادث. الجود: الكرم.

جَمُـوع خِـلَالَ الخير مـن كـلِّ جانـب ... إذا جـاءَ جَيَّـاءٌ بهـن ذَهُـوبُ[1]

مُفِيـدٌ مُلَقَّـى القـائِـدَاتِ، مَعَـوَّدٌ ... لِفِعْل النَّدَى، للمُعْـدمَاتِ كَسُوبُ[2]

فَتًـى لا يُبَـالِـي أَن يكـونَ بجسمِـه ... إذَا نـالَ خَـلاَّتِ الكـرام، شُحُـوبُ[3]

غنينَـا بخيـرٍ حِقبَـةً ثـم جَلَّحَـتْ ... علينـا التـي كـلَّ الـرجـال تُصيبُ[4]

فـأبْقـت قليـلاً ذاهبـاً وتَجَهَّـزَت ... لآخَـرَ، والـرَّاجـي الحيـاة كَـذوبُ[5]

وأعْلـمُ أنّ البـاقـيَ الحَـيَّ منهمـا ... إلـى أجَـلٍ أقصَـى مـدَاهُ قـريـبُ[6]

فلـو كـان مَيْـتٌ يُفتَـدَى لَفَـدَيْتُـهُ ... بمـا لـم تكـن عنه النُّفـوسُ تَطِيبُ[7]

بعَيْنَـيَّ أو يُمْنَـى يَـدَيَّ، وقيـل لـي ... هـو الغـانـمُ الجَـذْلانُ حيـن يَـؤُوبُ[8]

فـإن تكـن الأيـامُ أحسَـنَّ مَـرَّةً ... إلـيَّ فقـد عـادت لهـنَّ ذُنـوبُ[9]

كثيـرُ رَمَـادِ القِـدْرِ رَحْـبٌ فِنـاؤُهُ ... إلـى سَنَـدٍ لـم تحتَجْنْـهُ غُيُـوبُ[10]

---

(١) جموع: جامع. الخلال: الصفات.

(٢) مفيد: أي مستفيد مال. الملقى: الذي لا يزال يلقاه مكروه. القائدات: هي من الإبل التي تتقدمها. يريد أن إبله لا تزال تلقى منه المكروه بنحرها للأضياف. المعدم: الفقير ذو العدم. كسوب: أي يكسب المعدم. والندى: الكرم.

(٣) خلات: جمع خلة، بفتح الخاء، وهي الخصلة.

(٤) جلحت علينا: أتت علينا، أو حملت علينا، يريد المنايا.

(٥) المعنى: ساذج من يطمع في الخلود على وجه هذه الأرض.

(٦) المعنى: أن الحي لا بد أن يموت قريباً.

(٧) المعنى: لو كان الميت أن يفتدي لافتديته بكل عزيز غالٍ.

(٨) المعنى: لكنت افتديته بعيني أو يدي اليمنى ولرأيته فرحاً مسروراً بعودته.

(٩) المعنى: وإذا كانت الأيام قد أحسنت مرّةً، فقد عادت وأساءت.

(١٠) السند: ما ارتفع من الأرض في قبل الجبل أو الوادي. تحتجنه: تحتوى عليه. قال البكري: «إنما مدحت العرب برحب الفناء لأنهم يريدون أنه سيد يكثر وراده وزواره، وتطيف به عشيرته. والغيوب: جمع غيب، وهو ما انخفض من الأرض، يمدحه بحلول الروابي والبروز للأضياف». وكثير رماد القدر: كناية عن الكرم، يكثر رماده من كثرة الطبخ.

قَـــرِيـــبٌ ثـــرَاهُ لا يَنَـــال عَـــدُوُّه ... لــه نَبَطــاً، عنــدَ الهَــوَانِ قطــوبُ[١]

لقــد أَفسَــدَ المــوتُ الحيــاةَ وقــد أَتَــى ... علــى يــومــهِ عِلْــقٌ إلــيَّ حَبيــبُ[٢]

حَليــمٌ إذا مــا الحِلــمُ زَيَّــن أهلَــه ... مـع الحلـم فـي عيـنِ العَـدُوِّ مَهِيبُ[٣]

إذا مــا تَــرَاءاه الــرجــالُ تَحَفَّظــوا ... فلــم تُنطـق العَـوْرَاءُ وهْـو قـريـبُ[٤]

---

(١) قريب ثراه: قريب خيره. النبط: الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر. يقال: «فلان لا ينال نبطه» لمن يوصف بالعز. عند الهوان: أنه يغضب إذا أريد به الهوان.

(٢) العلق: واحد الأعلاق. وهو النفيس من كل شيء.

(٣) المعنى: على الرغم من وفرة حلمه إلا أنه مهيب في عيون الأعداء.

(٤) العوراء: الكلمة القبيحة الزائغة عن الرشد.

ـ ٢٧ ـ

وقالت سُعْدَى بنتُ الشَّمَرْدَلِ الجُهنِيَّة[(١)]

[ترثي أَخاها، قَتَلتْهُ بهزٌ من بني سُلَيم بن منصور]:

أَمِـنَ الحــوادثِ والمَنُــونِ أُرَوَّعُ وأَبيــتُ لَيْلِــي كُلَّــه لا أَهْجَــعُ[(٢)]

وأَبِيــتُ مُخْلِيَــةً أُبَكِّــي أَسْعَــداً ولِمثلِـه تَبْكِـي العُيــونُ وتَهْمَــعُ[(٣)]

وتَبَيَّــنُ العَيْــنُ الطَّلِيحَــةُ أَنَّهــا تبكـي مـن الجَزَعِ الـدَّخِيـلِ وتـدْمَعُ[(٤)]

ولقـد بَـدا لـي قَبْـلُ فيمـا قـد مَضـى وعَلمـتُ ذاكَ لـوَ أنَّ عِلْمـاً يَنْفَـعُ[(٥)]

أَنَّ الحــوادثَ والمَنُــونَ كليهمــا لا يُعْتِبَـانِ ولـو بَكَـى مـن يَجْـزَعُ[(٦)]

---

(١) سعدى بنت الشمردل الجهنية: شاعرة من بني جهينة. جاهلية اشتهرت بهذه القصيدة التي قالتها في رثاء أخ لها قتله بنو «بهز» من سليم بن منصور. وفي الرواة من يسميها سلمى بنت مجدعة.

مضمون الأبيات: راعها مصرع أخيها، فطفقت ترثيه في جزع ولوعة، ثم اجتبت لنفسها العزاء بأن الموت غاية الحي، وأن كل جمع إلى شتات، وأن أخاها إنما أقبل على الموت في شجاعة. ثم نوهت بشجاعته واحتماله للأسفار، وعنايته برفاقه، وأنه صاحب ميسر وزعامة في الحروب، وذكرت كيف ظفرت به بهز وحازت لنفسها الشرف بمقتله. ثم خاطبت قاتله لأئمة له، وتوجهت بعد إلى «أسعد» تنعى فيه الجود والجرأة في السفر، ثم اضطربت بين العزاء والهلع، وعرجت على الثناء عليه في نجدته وسماحته، وأبدت ما كانت تكن من رغبها في فدائه لو قبل الفداء. ثم أعولت عليه إعوال الحزينة الكئيب.

(٢) المنون: الموت. أروع: أخاف. أهجع: أنام، أغفو.

(٣) مخلية: خالية، أرادت منفردة. خلوت وأخليت بمعنى واحد. تهمع: تسيل دموعها.

(٤) الطليحة: المتعبة الكليلة. الدخيل: الداخل.

(٥) المعنى: لقد علمتني الأيام لو أن العلم يفيد صاحبه.

(٦) يعتبان: من قولهم «أعتبني فلان» أي ترك ما كنت أجد عليه من أجله ورجع إلى ما أرضاني عنه

ولقـد علمـتُ بـأَنَّ كـلَّ مُـؤَخَّـرٍ يـومـاً سبيـلَ الأَوَّليـن سَيتْبَـعُ [١]

ولقـد علمـتُ لـوَ أنَّ علمـاً نـافـعٌ أَنْ كـلُّ حَـيٍّ ذاهـبٌ فمُـوَدِّعُ [٢]

أَفَلَيْـسَ فيمـن قـد مضَـى لِـيَ عِبْـرَةٌ هَلَكُـوا وقـد أَيقنتُ أَنْ لـنْ يَـرْجعُـوا [٣]

ويْـلُ مِّ قَتْلَـى بـالـرِّصَـافِ لـوَ أنَّهـم بَلَغُـوا الـرَّجـاءَ لقـومهـم أَو مُتِّعُـوا [٤]

كـم مِـن جَميـعِ الشَّمْـلِ مُلْتئِـمِ الهَـوى كـانـوا كـذلـكَ قبلَهـم فَتَصَـدَّعُـوا [٥]

فَلتَبْـكِ أَسْعَـدَ فِتيـةٌ بسَبَـاسِـبٍ أَقـوَوْا وأَصبـحَ زادُهـم يُتمـزَّعُ [٦]

جـادَ ابـنُ مَجْـدَعَـةَ الكَمِـيُّ بنفسِـه ولقد يَـرَى أَنَّ المَكَـرَّ لأَشْنَـعُ [٧]

وَيْلُمِّـه رجـلاً يُلِيـذُ بِظَهْـرِهِ إِبـلاً، ونَسَّـالُ الفَيَـافـي أَرْوَعُ [٨]

يَـرِدُ الميـاهَ حَضِيـرَةً ونَفيضَـةً وِرْدَ القَطَـاةِ إِذَا اسْمَـأَلَّ التُّبَّـعُ [٩]

وبـه إِلـى أُخـرَى الصِّحَـابِ تلَفُّـتٌ وبـه إِلـى المكـروبِ جَـرْيٌ زَعـزَعُ [١٠]

بعد إسخاطه إياي عليه. والمعنى أن البكاء لا يرد مفقوداً.

(١) المعنى: أن كل حي سيلحق بمن سبقه.

(٢) المعنى: أن كل حي لا بد ميت.

(٣) المعنى: أفليس قد مضى لي أهل وأصحاب، أفلا أعتبر بذهابهم وموتهم.

(٤) ويلمه: تعجب ومدح ولا يقصد به الدعاء. الرصاف بكسر الراء: موضع.

(٥) المعنى: كم من قوم كانوا يعيشون مجتمعين ثم فرقتهم المنايا.

(٦) أسعد: هو أخوها الذي ترثيه. السباسب: جمع سبسب، وهي المفازة. أقووا: نزلوا القواء وهو القفر، أو نفد زادهم. يتمزع: يتقسم.

(٧) ابن مجدعة: هو أخوها أسعد، والظاهر أنه أخوها لأمها. الكمي: الشجاع الجريء. المكر: المعركة، أو مصدر ميمي من الكر. أشنع: تفضيل قصد به الوصف، أي شنيع.

(٨) يليذ: يحمي ويمنع. نسال: مبالغة من «نسل ينسل وينسل» أي أسرع. الأروع: الرجل الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسؤدد والجمال. الفيافي: القفار.

(٩) الحضيرة: النفر يغزى بهم العشرة فمن دونهم. النفيضة: الطليعة تتقدم الجيش فتنظر الطريق وتعرف ما فيه. اسمأل: تقلص وضمر. التبع: الظل، لأنه يتبع الشمس، واسمئلاله: بلوغه نصف النهار. ورد القطاة: ذهابها إلى الماء.

(١٠) أخرى الصحاب: أواخرهم. زعزع: شديد. المكروب: المبتلي.

ويُكَبِّــرُ القِــدْحَ العَنــودَ ويَعْتَلــي ... بِأُلَى الصِّحابِ إذا أَصاتَ الوَعْوَعُ[1]
سَبَّــاقُ عَــادِيَــة وهَــادِي سُــرْيَــةٍ ... ومُقَــاتِــلٌ بَطَــلٌ ودَاعٍ مِسْقَــعُ[2]
ذَهَبَــتْ بِــه بَهْــزٌ فــأَصبــح جَــدُّهــا ... يَعْلو، وأَصبحَ جدُّ قَوْمي يَخْشَعُ[3]
أَجَعَلْــتَ أَسْعَــدَ للــرِّمــاحِ دَرِيئَــةً ... هَبِلَتْــكَ أُمُّــكَ أَيَّ جَــرْدٍ تَــرقَــعُ[4]
يــا مُطْعِــمَ الــرَّكْــبِ الجيــاعِ إِذَا هُــمُ ... حثُّوا المَطِيَّ إلى العُلى وتَسَرعُوا[5]
وتَجَــاهَــدُوا سَيــراً فبعــضُ مَطِيِّهِــمْ ... حَسْــرَى مُخلَّفَــةٌ وبعــضٌ ظُلَّــعُ[6]
جَــوَّابُ أَودِيَــةٍ بغيــرِ صَحَــابَــةٍ ... كَشَّــافُ دَاوِيِّ الظَّــلاَم مُشَيَّــعُ[8]
هــذا علــى إِثْــرِ الــذي هــو قَبْلَــهُ ... وهــيَ المَنَــايــا والسَّبيــلُ المَهْيَــعُ[9]
هــذا اليقيــنُ فكيــفَ أَنْسَــى فَقْــدهُ ... إِنْ رابَ دهــرٌ أَو نَبَــا بــيَ مَضْجَــعُ[10]

---

(١) القدح: من أقداح الميسر. العنود: الذي يخرج سريعاً معترضاً من بين القداح. يعتلي: يرتفع. ألى الصحاب: أوائلهم وأصلها «أولى الصحاب» يقابل في البيت السابق «أخرى الصحاب» أصات: نادى، يعني من الفزع. الوعوع: الجبان.
(٢) العادية: الخيل تعدو. السرية: السرى وهو السير بالليل. والسرية: جماعة ينسلون من العسكر فيغيرون ويرجعون، أو الجماعة من الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين. المسقع، بالسين: مثل «المصقع» بالصاد، وهو البليغ. داع: بمعنى خطيب.
(٣) الجد: الحظ والعظمة. يخشع: يخضع ويذل.
(٤) أسعد: أخوها الذي ترثيه. الدريئة الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها. هبلته أمه: ثكلته. الجرد، بفتح الجيم وسكون الراء: الثوب الخلق. تريد أنه جنى بقتله جناية لا يدري ما وراءها، وفتق فتقاً يعجز عن إصلاحه.
(٥) المعنى: يا مطعم الجياع إذا هم أسرعوا إلى طلب العلى.
(٦) تجاهدوا سيراً: اشتدوا فيه. حسري: معيبة. مخلفة: متروكة لتموت في الطريق. ظلع: جمع ظالع أو ظالعة، من الظلع وهو العرج والغمز في المشي.
(٧) المشيع: الشجاع، لأن قلبه لا يخذله، فكأنه يشيعه ويقويه. جواب: يقطع.
(٨) المهيع: الواضح الواسع البين.
(٩) راب دهر: ناب وأصاب. نبا: أخل.

إنْ تَـأْتِـهِ بعـدَ الهُـدُوِّ لحـاجـةٍ | تَـدعُـو، يُجِبْـكَ لهـا نَجِيـبٌ أَرْوَعُ[(1)]
مُتَحَلِّـبُ الكَفَّيْـنِ أَمْيَـثُ بـارِعٌ | أَنِـفٌ طُـوَالُ السَّـاعِـدَيـنِ سَمَيْـدَعُ[(2)]
سَمْـحٌ إذَا مـا الشَّـوْلُ حَـارَدَ رِسْلُهـا | واسْتَـرْوَحَ المَـرَقَ النّسـاءُ الجُـوَّعُ[(3)]
مِـن بَعْـدِ أَسْعَـدَ إذْ فُجِعْـتُ بيـومِـه | والمـوتُ ممَّـا قـد يَـرِيـبُ ويَفْجَـعُ[(4)]
فَـوَدِدْتُ لـو قُبِلَـتْ بـأَسْعَـدَ فِـدْيَـةٌ | ممَّـا يَضَـنُّ بـه المُصَـابُ المُـوجَـعُ[(5)]
غَـادَرْتَـه يـومَ الـرِّصَـافِ مُجَـدَّلاً | خَبَـرٌ لعمـرُكَ يـومَ ذلـك أَشْنَـعُ[(6)]

---

(١) المعنى: أن تقصده لحاجة تجده نجيباً كريماً رائعاً.

(٢) متحلب الكفين: تسيل كفاه بالعطاء. الأميث: اللين السهل، يعني سمح العطاء. الأنف: الذي يأنف أن يضام. طوال: طويل. السميدع: الكريم، السيد الجميل الجسيم الموطأ الأكناف.

(٣) السمح: الجواد. الشول: الإبل شولت ألبانها أي ارتفعت. الرسل، بكسر الراء وسكون السين: اللبن. حارد رسلها: انقطع لبنها. استروح: تشمم. تقول: إنه جواد حين الجدب والأزمة في الشتاء.

(٤) المعنى: لقد فجعت بأسعد والموت يفجع.

(٥) المعنى: ليتني أستطيع افتداءه لافتديته بكل عزيز وغال.

(٦) الرصاف موضع. مجدلاً: صريعاً ملقى على الجدالة، وهي الأرض.

ـ ٢٨ ـ

قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ(١)
[يرثي أخاه عبدَالله]

أَرَثَّ جَـديـدُ الحَبْـلِ مِـنْ أُمِّ مَعْبَـدِ ... بعـاقبـةٍ وأَخْلَفَـتْ كـل مَـوعِـدِ(٢)
وبـانَـتْ ولـم أُحْمِـدْ إليـكَ جِـوارَهـا ... ولـم تَـرْجُ فينـا رِدَّةَ اليـوم أَو غَـدِ(٣)

---

(١) دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن: شجاع من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية. كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم. غزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها. وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه. أدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين. وكانت هوازن خرجت لقتال المسلمين فاستصحبته معها تيمناً به وهو أعمى فلما انهزمت جموعها أدركه ربيعة بن رفيع السلمي فقتله. له أخبار كثيرة. والصمة لقب أبيه معاوية بن الحارث. توفي (٨ هـ/ ٦٣٠ م). وقال خاله عمرو بن معدي كرب: «لو طفت بظعينة أحياء العرب ما خفت عليها، ما لم ألق عبديها وحريها» يعني بالعبدين: عنترة بن شداد والسليك بن السلكة، وبالحرين: دريد بن الصمة وربيعة بن مكدم.

مضمون الأبيات: بدأ مرثيته لأخيه ثم أعرب عن فداحة رزئه، وذكر ما كان من نصيحته وإنذاره قومه بأعدائهم، وعصيانهم أمره، ثم تناول مقتل أخيه وولهه لذلك، ووصف أخاه بالشجاعة والجود والمضاء والصبر وحزم الشيوخ. وذكر أن مما هون وجده على أخيه أن دريداً كان لا يكذب له أمراً ولا يضن عليه بما ملك. ثم صور مصرع أخيه وجزعه عند ذلك، وذكر أنه لم يتركه دون أن يناضل عنه أصدق نضال. ثم تمدح بشجاعة نفسه، ووصف فرسه.

(٢) أرث: أخلق. بعاقبة: بآخرة، وعاقبة كل شيء آخره. أخلفت: لم تف بما وعدت.

(٣) الردة: الرجوع. وفي الأغاني: «أن أم معبد التي ذكرها دريد في شعره هذه كانت امرأته فطلقها لأنها رأته شديد الجزع على أخيه، فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته، فطلقها، وقال فيها». ثم ذكر البيتين.

أَعَــاذِلَ إنَّ الــرُّزْءَ فــي مثــل خــالــدٍ ... ولا رُزْءَ فيمـا أَهلَـكَ المرءُ عـن يَـدِ[1]

وقلــتُ لعــرَّاضٍ وأصحــابِ عــارضٍ ... وَرهطِ بَنِي السَّوداءِ والقومُ شُهَّدِي[2]

عَــلاَنيــةً: ظُنُّــوا بــأَلْفَــيْ مُـدَجَّــجٍ ... سَــرَاتُهــمُ فــي الفــارِسِــيِّ المُسَــرَّدِ[3]

أَمَــرتُهُــمُ أَمْــرِي بمُنْعَــرَجِ اللِّــوَى ... فلم يَسْتَبِينوا الرُّشْدَ إلاَّ ضُحَى الغَدِ[4]

فلمَّـا عَصَـوْنـي كنـتُ منهـم وقـد أَرَى ... غَــوَايتَهــمْ وأنَّنــي غيــرُ مُهْتَــدِ[5]

ومــا أَنــا إلاَّ مِــنْ غَــزِيَّــةَ إن غَــوَتْ ... غَـوَيْـتُ وإن تَـرْشُـدْ غَـزِيَّـةُ أَرْشُـدِ[6]

وإن تُعْقِــبِ الأَيــامُ والــدَّهــرُ تَعْلَمُــوا ... بَنِــي قــارب أَنَّــا غِضَــاب بمَعبَــدِ[7]

تَنَــادَوْا فقــالــوا: أَرْدتِ الخيــلُ فــارســاً ... فقلــتُ: أَعبــدُ اللَّــهِ ذلكــمُ الــرَّدِي[8]

---

(١) خالد هو إما أخوه خالد بن الصمة الذي قتله بنو الحرث بن الحرث بن كعب، وإما عمه خالد بن الحرث أخو الصمة بن الحرث الذي قتله بنو أحمس، وهم بطن من شنوءة. يريد أن الرزء إنما هو في فقد الرجال وليس في إهلاك المال. العاذل: اللائم.

(٢) عرَّاض: وأصحاب عارض، قوم من بني جشم، كان دريد نهاهم عن النزول حيث نزلوا فعصوه. ورهط بني السوداء فيهم. شهدى: أي حاضرين مقامي، أو شهودي أنى قد نهيتهم.

(٣) علانية: أي قلت لهم علانية. ظنوا: أيقنوا، أو معناه: ما ظنكم بألفي مدجج. المدجج: التام السلاح. سراتهم: أشرافهم ورؤساؤهم. الفارسي: الدرع الذي يصنع بفارس. المسرد: المحكم النسج، وقيل هو الدقيق الثقب.

(٤) اللوى: موضع بعينه كانت به الوقعة التي قتل فيها عبدالله أخوه. وأصل اللوى ما التوى من الرمل، ومنعرجه حيث انعرج. قال ياقوت في «اللوى»: «قد أكثرت الشعراء من ذكره، وخلطت بين ذلك اللوى والرمل، فعز الفصل بينهما. الرشد: الصواب.

(٥) كنت منهم: بقيت معهم غير مهتد: أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غي، وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد، كراهة الخروج من هواه. وجعل أبو هلال هذا البيت أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل لأخيه.

(٦) غزية، بفتح الغين وكسر الزاي بعدها ياء مشددة: وهو أحد أجداده «غزية بن جشم». غوت: ضلت.

(٧) تعقب الأيام: تمر وتأتي أعقابها. بمعبد: غضب له: غضب على غيره من أجله، وذلك إذا كان حياً. فإن كان ميتاً قلت غضب به.

(٨) الردى: الهالك، من الردى وهو الهلاك. أردى: أوقع، قتل.

وإن يَــكُ عبــدُالله خَلَّــي مكـــانَـــه فمـا كـان وَقَّـافـاً ولا طـائِـشَ اليـدِ[1]

ولا بَــرَمــاً إذا الــرِّيَــاحُ تَنَــاوَحَــت بِرَطْبِ العِضَاهِ والضَّرِيعِ المُعَضَّدِ[2]

كَمِيـشُ الإِزَارِ خـارجٌ نِصـفُ سـاقِـهِ صَبـورٌ علـى العَـزَّاءَ طَـلاَّعُ أَنْجُـدِ[3]

رئيـــسُ حُـــروبٍ لا يَـــزال رَبيئـــةً مُشِيحاً على مُحْقَوْقِفِ الصُّلْبِ مُلْبَدِ[4]

صَبـورٌ علـى رُزء المصـائِـبِ حـافـظٌ من اليوم أَدْبَارَ الأَحاديثِ في غَدِ[5]

صَبَا ما صَبَا حتى عَلاَ الشيبُ رأْسَه فلمَّـا عــلاهُ قـال للبـاطِـلِ: ابعُـدِ[6]

وهَـــوَّنَ وجْـدِي أَنَّـنـي لــم أَقُــلْ لَــه كَذَبْتَ، ولم أَبْخَلْ بما مَلَكتْ يدِي[7]

وكنـــتُ كـــأَنِّـــي واثـــقٌ بمُصَـــدَّرٍ يُمَشِّـي بـأَكنـاف الحبيـب فمَحْتِـدِ[8]

غــداةَ دَعَــانِــي والــرِّمــاحُ يَنُشْنَــهُ كوَقْعِ الصَّيَاصي في النَّسِيج الممَدَّدِ[1]

---

(١) خلى مكانه: أي مات. الوقاف: المحجم عن القتال، كأنه يقف نفسه عنه ويعوقها. طائش: لا يصيب.

(٢) البرم، بفتح الراء: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. تناوحت: تقابلت في المهب، وذلك إذا اشتد هبوبها. العضاه: ما عظم من شجر الشوك وطال واشتد شوكه، الواحدة عضاهة. الضريع: نبت بالحجاز له شوك كبار، يقال له الشبرق. المعضد: يقال «عضد الشجرة»: نثر ورقها لإبله، أو قطع فروعها بالمعضد.

(٣) الكميش: الماضي العزوم السريع في أموره. ورجل كميش الإزار: مشمره. ويزيده قوة الوصف بعده بخروج نصف الساق. العزاء: الشدة. طلاع أنجد: ركاب لصعاب الأمور، أو هو السامي لمعالي الأمور. والأنجد جمع نجد، وهو ما ارتفع وغلظ من الأرض. أو الطريق في الجبل.

(٤) الربيئة: الطليعة وهو الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف. المشيح الجاد. المحقوقف: المعوج. الملبد: الفرس شد عليه لبد السرج.

(٥) المعنى: أنه لا يتألم للنوائب تنزل بساحته. وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس في غده.

(٦) صبا من الصبوة، وهي جهلة الفتوة واللهو.

(٧) المعنى: ليس القصد إلى أنه لم يقل له كذبت فقط، وإنما المراد أنه لم يجفه بأدون جفاء. ولم يبخل عليه بأي بذل أو عطاء.

(٨) المصدر: السابق من الخيل. الأكناف: النواحي. الحبيب:

(٩) ينشنه: يتناولنه. الصياصي: جمع «صيصية» وهي شوكة الحائك التي يسوي بها السداة =

وكنت كَذاتِ البَوِّ ريعتْ فأَقبَلَتْ إلى جِذَمٍ مِن مَسْكِ سَقْب مُجَلَّدِ[1]
فطَاعَنْتُ عنه الخيلَ حتى تَبَدَّدَتْ وحتى عَلاَنِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ[2]
طِعَانَ امرِىءٍ آسَى أَخاه بنفسهِ وأَعْلَمُ أَنَّ المَرْءَ غيرُ مُخَلَّدِ[3]
وهَوَّنَ وَجْدِي أَنَّما هو فارِطٌ أمامي، وأَنِّي واردُ اليوم أَو غَدِ[4]
وغارةِ بَين اليوم واللَّيلِ فَلْتَة تَدَارَكْتُها رَكْضاً بِسِيدٍ عَمَرَّدِ[5]
سَليم الشَّظَاعَبلِ الشَّوَى شَنِج النَّسَا طويلِ القَرَا نَهْدٍ أَسِيلِ المُقلَّدِ[6]
ويُخْرِجُ منه صَرَّةُ القَوْم مَصْدَقاً وطولُ السُّرَى دُرِّيَّ عَضْبٍ مُهَنَّدِ[7]

= واللحمة. يريد أن أخاه دعاه والرماح تتناوله ولها خشخشة ووقع كوقع صياصي الحاكة في ثوب ينسج.

(١) البو: ولد الناقة يذبح ويحشى جلده تبناً أو حشيشاً لتعطف عليه وترأمه فتدر عليه. ريعت: فزعت. الجذم، جمع جذمة، بسكون الذال، وهي القطعة. المسك: بفتح الميم: الجلد. السقب: ولد الناقة. المجلد: المسلوخ.

(٢) أسود: بالرفع. وهو إقواء. طاعنت: قاتلت. تبددت: تفرقت.

(٣) المعنى: قاتلت عنه قتال امرىء يفدي أخاه بروحه خاصة وأن الإنسان ميت لا محالة.

(٤) الفارط: المتقدم السابق. وجدي: حزني. وارد اليوم أو غد: سألحق به عما قريب.

(٥) اليوم: النهار فقط. فلتة: في اللسان عن أبي الهيثم: «كان للعرب في الجاهلية ساعة يقال لها الفلتة يغيرون فيها. وهي آخر ساعة من آخر يوم من أيام جمادي الآخرة، يغيرون تلك الساعة، وإن كان هلال رجب قد طلع تلك الساعة، من آخر جمادي الآخرة ما لم تغب الشمس». السيد: الذئب. العمرد: الطويل. شبه فرسه بالذئب.

(٦) الشظا: عُظيمٌ ملزق بالذراع، فإذا تحرك من موضعه قيل «قد شظى الفرس» بالكسر، قاله الأصمعي كما في اللسان. عبل الشوى: غليظ القوائم. النسا، بفتح النون وبالقصر: قال الأصمعي: «عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر». والشنج: المتقبض، وهو مدح له لأنه إذا تقبض نساه وشنج لم تسترح رجلاه. القرا: الظهر. النهد: الجسيم المشرف. الأسيل: الطويل الأملس المستوى. المقلد: موضع القلادة.

(٧) صرة القوم: ضجتهم وصراخهم. المصدق: صدق الجري؛ والمصدق أيضاً الجد أو الصلابة. يعني أنه إذا صاح به القوم ظهر منه الجد في الجري. العضب: السيف القاطع، ودريه: تلألؤه وإشراقه كأنه منسوب إلى الدر بصفائه ونقائه.

ـ ٢٩ ـ

وقـــال

يـــا راكبــاً إمَّــا عَــرَضْــتَ فَبَلِّغَــنْ ... أَبَـا غـالـبٍ أَنْ قَـدْ ثَـأَرْنَـا بغَـالِـبِ (١)
وأَبْلِــغْ نُمَيْــراً إنْ مَــرَرْت بــدارهــا ... علـى نَـأْيِهـا فـأَيُّ مَـولًـى وطـالِـبِ (٢)
قَتَلْــتُ بعبــدِاللَّــهِ خَيْــرَ لِــدَاتــهِ ... ذؤابَ بنَ أَسماءَ بنِ زيدِ بنِ قارِبِ (٣)
فلليَــوْمِ سُمِّيتُــمْ فَــزَارةُ فــاصبِــرُوا ... لِـوَقْـعِ القَنَـا تنْـزُون نَـزْو الجَنَـادِبِ (٤)
تَكُــرُّ عليهــم رَجْلَتِــي وفــوَارِسِــي ... وأُكْـرِهُ فيهـم صَعْـدَتـي غيـرَ نَـاكِـبِ (٥)
فإن تُدْبِرُوا يَأْخُذْكُمْ في ظُهورِكم ... وإن تُقْبلوا يأْخُذْكُمْ في التَّرَائِبِ (٦)
وإنْ تُسْهلُــوا للخيــل تُسْهــلْ عليكــم ... بطَعْنٍ كإيزَاغِ المَخَاضِ الضَّوارب (٧)

مضمون الأبيات: يفخر دريد بتشفيه من قاتلي أخيه، وظفره بثأره، ويتوعد فزارة ويصف ما أصابهم في القتال مقبلين ومدبرين، مسهلين ومحزنين، ويصف أيضاً ما لقيته مرة في الحرب وما كان من هرب أشجع، وفرار عياض بن ناشب التغلبي. ثم يذكر ما منيت به خضر محارب من التقتيل حتى شبعت منهم الضباع، ويتهددهم بإعادة الكرة عليهم لو ظفر بهم.

(١) عرضت: أتيت العروض، بفتح العين، وهي مكة والمدينة وما حولهما، وقيل واليمن أيضاً. ثأرنا بغالب: قتلنا قاتله.

(٢) المعنى: أبلغ نميراً إن مررت بديارها رغم بعد تلك الديار أي سيد قتلت.

(٣) اللدة، بكسر اللام: تربك الذي ولد معك. وذؤاب بن أسماء هو القتيل.

(٤) النزو: الوثبان. الجناد: ضرب صغار من الجراد. القنا: الرماح.

(٥) الرجلة: جمع راجل، وهو الذي ليس له ظهر يركبه في سفره. الصعدة: القناة المستوية، يعني الرمح. وإكراهها فيهم: إدخالها بقوة. غير ناكب: غير عادل عنهم.

(٦) يأخذنكم، يعني الرجلة والفوارس. الترائب: عظام الصدر.

(٧) تسهلوا: تنزلوا السهل من الأرض. الإيزاغ: إخراج البول دفعة دفعة. والإيزاغ أن ترمي الناقة ببولها وتضربه بذنبها. شبه رشيش الطعنة من الدم بذلك. والضوارب: اللواقح. المخاض: الحوامل من النوق.

إذَا أَحـزَنُـوا تَغْشَـى الْجبـالَ رجـالُنـا ... كما استَوفزَتْ فُدرُ الوُعُولِ القَرَاهِبِ(١)

ومُـرَّةَ قـد أَخْـرَجْنَهـم فتَـرَكْنَهُـمْ ... يـرُوغـونَ بـالصَّلعَـاءِ رَوْغَ الثعـالـبِ(٢)

وأَشْجـعَ قـد أَدْرَكنَهـم فتـرَكنَهُـمْ ... يخَافُونَ خَطفَ الطَّيرِ من كلِّ جانِبِ(٣)

وثَعلَبَـةَ الْخُنثَـى تَـرَكْنـا شـرِيـدَهـم ... تَعِلّـةَ لاهٍ فـي البـلاد ولاعِـبِ(٤)

ولـولا جَنَـانُ الليـلِ أَدْرَكَ رَكْضُنَـا ... بِذِي الرِّمثِ والأَرطَى عِياضَ بنَ ناشِبِ(٥)

فليـتَ قُبـوراً بـالمَخـاضَـةِ أَخْبَـرَتْ ... فَتُخْبِـرَ عَنَّـا الْخُضْـرَ خُضْـرَ مُحـاربِ(٦)

رَدَسْنَـاهُـمُ بـالخَيـلِ حتـى تَمَـلأَتْ ... عَوَافي الضِّبَاعِ والذئاب السَّوَاغِبِ(٧)

ذَرِينِـي أُطَـوِّفْ فـي البـلاد لَعَلَّنِـي ... أُلاَقِـي بـإِثْـرِ ثُلَّـةً مـن مُحَـارِبِ(٨)

وأَنْـتَ امـرؤٌ جَعْـدُ القَفـا مُتَعَكِّـسٌ ... من الأَقِطِ الْحَوْلِي شَبْعَانُ كـانِبُ(٩)

---

(٨) أحزنوا: صاروا في الحزن، وهو ما غلظ من الأرض. استوفز: استقل على رجليه ولم يستو قائماً وقد تهيأ للأفز والوثوب والمضي. والأفز: هو الوثبة بالعجلة. الفدر والقراهب: نوعان من الوعول.

(١) يروغون: يذهبون ههنا وههنا كما يروغ الثعلب. الصلعاء: موضع بين حاجر والنقرة أغار فيه دريد على أشجع.

(٢) المعنى: كما أدركوا أشجع فتركوها تخشى أن تنتهبها الطير.

(٣) وصفهم بالخنثى والخنثى الذي لا يخلص لذكر ولا أنثى. التعلة: ما يتعلل به ويتلهى.

(٤) جنان الليل وجنه وجنونه: شدة ظلمته وادلهمامه. ذو الرمث: واد لبني أسد. ذو الأرطى: موضع.

(٥) المخاضة: موضع في ديار ذبيان. خضر محارب: قبيلة.

(٦) الردس: الرمي بالشيء الثقيل. تملأت: امتلأت. العوافي: طلاب الرزق من الإنس والدواب والطير. السواغب: جمع ساغب وهو الجائع.

(٧) الثلة: الجماعة من الناس. ذريني: دعيني. محارب: اسم قبيلة.

(٨) الجعد: القصير، المتعكس. الأقط: لبن مجفف يابس مستحجر. الكانب: الغليظ. وفي البيت إقواء. والمعنى: «أنت سمين وأنت صاحب غنم».

— ٣٠ —

وقال عبدُالله بن جِنْحٍ النُّكْرِيّ (١)

[نُكْرَة بن لُكَيز بن أَفصَى بن عبد القيس بنِ أَفصى بن دُعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. قال الأصمعيّ: أَنشدنيها خلفٌ الأحمر].

زَعَمَ الغَوَانِي أَن أَرَدْنَ صَرِيمَتِي ... أَنْ قَدْ كَبِرْتُ وأَدْبَرَتْ حاجاتي (٢)

وضَحِكْنَ مِنِّي سَاعةً وسَأَلْنَنِي ... مُذْ كَم كَذَا سَنَةً أَخَذْتُ قَنَاتي (٣)

مَا شِبْتُ مِن كِبَرٍ ولَكِنِّي امرُؤٌ ... أَغْشَى الْحُرُوبَ ومَا تَشِيبُ لِدَاتي (٤)

أَحْمِي أُنَاسِي أَن يُبَاحَ حَرِيمُهُم ... وهُمُ كَذَاك، إذا عُنِيتُ، حُمَاتي (٥)

مِن مَعْشَرٍ يَأْبَى الهَوَانَ أَخُوهُمُ ... شُمِّ الأُنُوفِ جَحَاجِحٍ سَادَاتِ (٦)

---

(١) لم نجد له ترجمة.

مضمون الأبيات: شاب رأسه فزعم الغواني أن مشيبه ذاك لعلو سنه وتقدم عمره، فطفقن يسخرن به من ذلك، فأجابهن أن بياض رأسه ليس لما زعمته، وإنما هي الحروب شيبن رأسه. وفخر باقتحامه الأهوال، وذبه عن الحريم، وأنه من معشر سادة أباة، يحمون الجار، ويجنون الجناية فلا يطلب منهم ثأر.

(٢) صرم وصريمة: قطيعة. أدبرت: ولت.

(٣) القناة هنا: العصا. يريد أنهن يسألنه: متى أحوجه الكبر إلى أن يدب على العصا.

(٤) المعنى: يقول إنه لم يشب بسبب كبر سنه وإنما بسبب الأهوال التي لقيها في الحروب التي خاضها. واللد: الخصم.

(٥) عنيت: قصدت، أي أراده عدوه بالأذى. أناسي: قومي.

(٦) الجحجح والجحجاح: السيد الكريم. الهوان: الذل. شم الأنوف: أباة.

عَـــزُّوا وعَـــزَّ بِعِـــزِّهِـــم مَـــنْ جـــاورُوا وهُـــمُ الـــذُّرَى وغَـــلاَصِـــمُ الهـــامَـــاتِ[1]
إنْ يَطْلُبُـــوا بجَـــرِيـــرَةٍ يَنْـــأَوْنَهَـــا أَوْ يُطْلَبُـــوا لا يُـــدرَكُـــوا بتِـــرَاتِ[2]

(١) الذرى: الأعالي، واحدها ذروة بكسر الذال وضمها. الهامات: الرؤوس. الغلاصم: جمع غلصمة، وأصلها رأس الحلقوم، وتستعار لمعنى الشرف. أراد أنه في معظم قومه وشرفهم.

(٢) الجريرة: الجناية. ينأونها: يبعدونها يقال «نأى» أي بعد، و «نآه وأنآه» أبعده. أراد أنهم إذا طلبوا ثأر جناية جنيت عليهم بعدوا به إلى أقصى الغايات. والترات: جمع ترة، وهي الثأر.

ـ ٣١ ـ

وقال عُمر بن حُنَيٍّ التغلبيُّ(١)

يُجيبُ طَرِيفاً العَنبَرِيَّ:

ولقد دَعَوْتَ طَرِيفُ دَعْوَةَ جاهلٍ سَفَهاً، وأَنتَ بِمَنْظَرٍ لو تَعْلَمُ(٢)
ولَقِيتَ حَيًّا في الحروبِ مَحَلُّهُمْ والجيْشُ باسم أَبِيهِمُ يُسْتَهْزَمُ(٣)
فإِذَا دَعَوْا بأَبي رَبيعةَ أَقْبَلُوا بِكتائِب دُونَ النِّسَاءِ تلمَّمُوا(٤)

(١) هكذا ورد اسمه في مخطوطات الأصمعيات (راجع الأصمعيات تحقيق شاكر وهارون) ويبدو أن اسمه جابر بن جني التغلبي نحو ٦٠ ق.هـ/ ٥٦٠ م. وهو شاعر جاهلي من أهل اليمن. طاف أنحاء نجد وبادية العراق، وأشار في بعض شعره إلى منازلها. وصحب امرأ القيس حين خرج إلى القسطنطينية مستنجداً بقيصر. وأغلب الظن أن هذه الأبيات من شعر «حمصيصة بن جندل الشيباني» وهو الذي قتل طريف بن تميم العنبري، وقال له هذه الأبيات جواباً عن تحديه في القصيدة الآتية برقم ٣٩. والذي قتل طريفاً شيباني باتفاق الروايات، ويؤيده قول الأخطل:

برجال تغلب كالأسود ومعشر قتلوا طريفاً من بني شيبان

مضمون الأبيات: يسخر من مقالة خصمه ويهزأ منه ويفتخر بشجاعة قومه وإقدامهم ثم يشير إلى سلب درع طريف وحصانه.

(٢) طريف: هو العنبري، كان دعا أن لا يحول الحول حتى يلقى الشاعر. الجاهل: الأحمق. السفه: التفاهة.

(٣) المعنى: أن قومه يعيشون في الحرب واسم أبيهم يكفي لهزيمة الجيش.

(٤) المعنى: إذا نوديوا باسم أبي ربيعة أقبلوا جاهزين للدفاع عن نسائهم وأعراضهم.

فلقيـــتَ فيهـــم هـــانِئـــاً وسِـــلاَحَـــهُ بَطَـــلاً إذا هـــابَ الفـــوارسُ يُقـــدِمُ[1]

سلبُـــوكَ دِرْعَـــكَ والأَغـــرَّ كليهمـــا وبَنـــو أُسَيِّـــدَ أَسْلمُـــوكَ وخَضَّـــمُ[2]

(١) هانىء: هو ابن مسعود الشيباني رئيس بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان. هاب الفوارس: أحجم الفوارس.

(٢) الأغر: فرس طريف العنبري. بنو أسيد: قبيلة، وهو ابن عمرو بن تميم. خضم، بفتح الخاء وتشديد الضاد المفتوحة: لقب العنبر بن عمرو بن تميم، وغلب على القبيلة. أسلموك: تخلوا عن حمايتك والدفاع عنك.

ـ ٣٢ ـ

وقال أبو النَّشْناشِ النَّهْشَليُّ اللِّصُّ (١)

وسـائلـةٍ أيـنَ الـرَّحيـلُ وسـائـلٍ ... ومَـنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَين مَذاهِبُهْ (٢)

ودَاويَـةٍ يَهمَـاءَ يُخْشَـى بهـا الـرَّدَى ... سَرَت بـأَبِي النَّشْنـاشِ فيها رَكـائِبُهْ (٣)

لِيُـدْرِكَ ثَـأْراً أَو لِيُـدْرِك مَغْنَمـاً ... جَزِيلاً، وهذا الدَّهْرُ جَمٌّ عَجائِبُهْ (٤)

---

(١) هو أبو النشناش النهشلي، من لصوص العرب من بني تميم، كان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين الحجاز والشأم، وكان في عصر مروان بن الحكم. ولم نعرف اسمه.

مضمون الأبيات: روى أبو الفرج في الأغاني من خبر هذا الشعر أن أبا النشناش كان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها، فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة، ثم أمكنه الهرب في وقت غرة فهرب، فمر بغراب على بانة ينتف ريشه وينعب، فجزع من ذلك، ثم مر بحي من بني لهب فقال لهم: رجل كان في بلاء وشر وحبس وضيق فنجا من ذلك، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بان ينتف ريشه وينعب؟ فقال اللهبي: إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه وقيده، ويطول ذلك به ويقتل ويصلب. فقال له: بفيك الحجر! قال: لا، بل بفيك. وأنشأ يقول الشعر.

وقد جرى في شعره على نهج صعاليك العرب في فخرهم بالحصول على المغانم والأسلاب، وأن العيش يطلب من صاحبه الجرأة وألا يبالي بالموت في سبيل الظفر بما يبغيه من مال.

(٢) المعنى: هناك من يسألني من الرجال والنساء أين أريد الذهاب ومتى كان يُسأل الصعلوك عن تحركاته؟!.

(٣) الداوية بتشديد الياء وتخفيفها: المفازة البعيدة الأطراف. اليهماء: الفلاة التي لا ماء فيها ولا علم فيها ولا يهتدى لطرقها. الردى: الموت.

(٤) المعنى: أنه يقصد تلك الفلوات لينال مغنماً أو يقتص من عدو ولا عجب فالدهر يقدم الكثير من الأمور الغريبة.

إذَا المَرءُ لم يَسْرَحْ سَوَاماً ولم يُرِحْ سَوَامـاً ولـم تَعْطِـفْ عليـه أَقـارِبُـهْ[(١)]
فَلَلْمَـوْتِ خيـرٌ للفتَـى مـن قُعُـودِهِ فقيـراً ومِـن مَـوْلًـى تـدِبُّ عَقَـارِبُـهْ[(٢)]
ولـم أَرَ مِثْـلَ الهـمِّ ضـاجَعَـهُ الفتَـى ولا كسَـوَاد الليـلِ أَخْفَـقَ طَـالِبُـهْ[(٣)]
فَمُـتْ مُعـدِمـاً أَو عِـشْ كـريمـاً فـإنَّنِي أَرَى الموتَ لا يَنْجُو من الموتِ هاربُهْ[(٤)]
ولـو كـان شـيءٌ نـاجيـاً مـن مَنِيَّـةٍ لكـان أُثَيْـرٌ يـومَ جـاءَتْ كَتَـائِبُـهْ[(٥)]

---

(١) يسرح ثلاثي يتعدى ولا يتعدى، سرحت الإبل: رعت، وسرحها هو: أرعاها. السوام: الإبل الراعية.

(٢) تدب عقاربه: كناية عن الأذى. والعقارب هنا: النمائم. يقال للرجل الذي يقترض أعراض الناس «إنه لتدب عقاربه».

(٣) أخفق طالبه: أخفق الطالب فيه.

(٤) المعنى: مت فقيراً أو عش كريماً إذ لا مناص من الموت ولا خير في هذه الدنيا إذا فقد الإنسان كرامته.

(٥) أثير، بضم الهمزة: الظاهر أنه «أثير بن عمرو السكوني» الطبيب الذي دعى لعلاج الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام حين ضربه ابن ملجم، بعد أن جمع الأطباء، وكان أبصرهم بالطب، وإليه تنسب صحراء أثير بالكوفة. جاءت كتائبه: هنا جاءت منيته.

ـ ٣٣ ـ

وقال أُحَيْحَةُ بنُ الجُلاحِ(١)

إذَا مــا جئتُهــا قــد بِعْــتُ عِــذْقــاً ... تُعَــانِــقُ أَو تُقبِّــلُ أَو تُفَــدِّي(٢)

أَهَنْــتُ المــالَ فــي الشَّهَــوَاتِ حتَّــى ... أَصَــارتْنــي أَسِيفــاً عَبْــدَ عَبــدِ(٣)

فَمَــنْ نَــالَ الغِنَــى فلْيَصْطَنِعْــهُ ... صنيعَتَــه ويَجْهَــدْ كــلَّ جَهْــدِ(٤)

أُعَلِّمُكُــمْ وقــد أَرْدَيْــتُ نفسِــي ... فَمَــنْ أَهْـدِي سَبيـلَ الـرُّشْـدِ بَعْـدِي(٥)

---

(١) أحيحة بن الجلاح (نحو ١٣٠ ق. هـ/ نحو ٤٩٧ م) هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش الأوسي، أبو عمرو: شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم. كان سيد يثرب، وكان له حصن فيها سماه «المستظل» وحصن في ظاهرها سماه «الضحيان» ومزارع وبساتين ومال وفير ويبدو أنه كان سيد الأوس في الجاهلية وكان مرابياً كثير المال أما شعره فالباقي منه قليل جيد.

مضمون الأبيات: يذكر أن تلك المرأة يعجبها أن يلقى بين يديها بالمال، فهي تعانقه لذلك، وتقبله وتفديه. ثم يرى أن الشهوات تتطلب بذل المال، وأن الثراء جدير أن يجهد صاحبه كل الجهد في بذله وحسن اصطناعه. ويدعو الناس إلى الاعتبار بتجربته.

(٢) العذق، بفتح العين وسكون الذال: النخلة بحملها، وبكسر العين: العرجون بما فيه من الشماريخ. وضبطت في الأصلين بالفتح. تفدي: تقول إنها فداء له.

(٣) الأسيف: العبد أو الأجير.

(٤) يصطنعه صنيعته: ينفقه كما يجب.

(٥) أرديت: قضيت على نفسي. أهلكت.

ـ ٣٤ ـ

وقال عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ(١)

وَمُرْدٍ على جُرْدٍ شَهِدْتُ طِرَادَهَا ... قُبَيْلَ طُلوعِ الشَّمسِ أو حينَ ذَرَّتِ(٢)
صَبَحْتُهُمْ بَيضَاءَ يَبْرُقُ بَيْضُها ... إذَا نَظَرَت فيها العُيُونُ ازْمَهَرَّتِ(٣)

---

(١) هو عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبدالله الزبيدي (٢١ هـ/ ٦٤٢ م)، ويكنى أبا ثور. كان فارس اليمن ويقدم على زيد الخيل في الشدة والبأس. وقدم عمرو على رسول الله ﷺ في عشرة من بني زبيد، ثم ارتد عمرو عن الإسلام حتى كانت غزوة تبوك، فلقي رسول الله في منصرفه منها فدعاه إلى الإسلام فأسلم وبايع لقومه على الإسلام. وشهد عمرو القادسية وهو ابن مائة وست سنين فيما يزعمون وأبلى فيها بلاء عظيماً. واختلف في وفاته، فقيل في القادسية وقيل بعد وقعة نهاوند. له شعر جيد وأشهر قصائده القصيدة التي مطلعها:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

مضمون الأبيات: كان من قصة هذه الأبيات أن جرما ونهدا ـ وهما قبيلتان من قضاعة ـ كثرت بطونهم فتلاحقوا، فاقتتلوا وتفرقوا وتشتت أمرهم ووقع الشر بينهم، فلحقت نهد بن زيد ببني الحارث بن كعب فحالفوهم، ولحقت جرم بن ربان ببني زبيد فحالفوهم، ثم وقعت الحرب بين بني الحارث وبني زبيد واستتبع ذلك أن تحارب نهد جرما، فهزمت بنو زبيد وانخذلت عنها جرم لم ترع حق الحلف. ففي هذه الأبيات يذكر عمرو ما كان في تلك الحرب وما كان من قوة أعدائه، وكيف قابل تلك الصدمة ببأس شديد، لا يبالي بالقرابة الدنيا. ثم أنحى باللائمة على جرم إذ خامت عند اللقاء وفرت، ولكنه بقي في قومه يمارس الحرب في شجاعة.

(٢) المرد: جمع أمرد. الجرد: جمع أجرد، وهو الفرس القصير الشعر. الطراد: هو مطاردة الفرسان بأن يحمل بعضهم على بعض في الحرب. ذرت الشمس: طلعت وظهرت أول طلوعها.

(٣) صبحتهم: جئتهم بالكتيبة صباحاً. بيضاء: يريد كتيبة بيضاء عليها بياض الحديد. بيضها: قلانس الحديد على رؤوسها، واحدها بيضة. ازمهرت: احمرت من الغضب.

ولمَّــا رأَيْــتُ الخيــلَ رَهْــواً كَــأَنَّهــا جَــدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَــتْ فــاسبَطَــرَّتِ[١]
وجَــاشَــتْ إلَــيَّ النفــسُ أَوّلَ وَهْلَــةٍ ورُدَّتْ على مَكْـرُوهِهـا فـاستقَـرَّتِ[٢]
عَـلاَمَ تَقـولُ الـرُّمْـحُ يُثْقِـلُ عـاتِقِـي إذَا أَنَـا لـم أَطعُـنْ إذَا الخيـلُ وَلَّـتِ[٣]
عَقـرْتُ جَـوَادَ ابنَـيْ دُرَيْـدٍ كليهمـا ومَـا أَخَـذَتْنِي فـي الخُتُـونَـةِ عِـزَّتـي[٤]
لَحَـا اللَّـهُ جَـرْمـاً كلَّمـا ذَرَّ شـارِقٌ وُجُـوهَ كـلابٍ هـارَشَـتْ فـازْبَـأَرَّتِ[٥]
ظَلِلْــتُ كــأَنِّــي للــرِّمــاحِ دَرِيئَــةٌ أُقَــاتِـلُ عــن أبنــاءِ جَــرْمٍ وفَــرَّتِ[٦]
فلـم تُغْـن جَـرْمٌ نَهْـدَهـا إذْ تَـلاَقَتَـا ولَكـنَّ جَـرْمـاً فـي اللِّقـاءِ ابْـذَعَـرَّتِ[٧]
فلـو أَنَّ قَـوْمِـي أَنْطَقَتْنِـي رمـاحُهُـمْ نَطَقْـتُ، ولكـنَّ الـرمـاحَ أَجَـرَّتِ[٨]

---

(١) رهواً: سراعاً متتابعة. الجداول: الأنهار الصغار. اسبطرت: امتدت في سرعة.

(٢) جاشت: ارتفعت من فزع، وهذا ليس لكونه جباناً بل هو بيان حال النفس، ونفس الجبان والشجاع سواء فيما يدهمهما عند الوهلة الأولى، ثم يختلفان، فالجبان يركب نفرته، والشجاع يدفعها فيثبت. ردت على مكروهها: أي رددتها على الشدة.

(٣) المعنى: ما فائدة حملي للرمح إذا لم أطعن به خلال المعركة.

(٤) الختونة، الختن: أبو امرأة الرجل وأخو امرأته وكل ما كان من قبل امرأته، والاسم الختونة. عقر: قتل.

(٥) لحاه الله: أهلكه، وهو دعاء، وأصل اللحو نزع قشر العود. جرم: قبيلة. ذرت الشمس: طلعت. شارق: الشمس. وجوه: بالنصب على الذم والشتم. هارشت: من المهارشة، وهي تقاتل الكلاب. ازبأرت: انتفشت حتى ظهر أصول شعرها وتجمعت للوثب.

(٦) الدريئة: الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها.

(٧) نهد: قبيلة. لم تغنها جرم: لم تقاومها ولم تكفها ولكنها فرت منها. ابذعرت: تفرقت وتبددت.

(٨) أجرت: الإجرار أن يشق لسان الفصيل لئلا يرضع. يقول: لو أن قومي قاتلوا وأبلوا لذكرت ذلك وفخرت بهم، ولكن رماحهم أجرتني، أي قطعت لساني عن مدحهم لفرارهم، أراد أنهم لم يقاتلوا.

ـ ٣٥ ـ

وقال أبو سعيد: أنشدني أبو مَهدِيّةَ(١) يصف حية

قَــد كــادَ يَقْتُلُنِــي أَصَــمٌ مُــرَقَّــشٌ ... مِــن جُــبِّ كَلْثَــمَ والخُطــوبُ كَثِيــرُ(٢)
حتَّــى أَصَــدَّ اللَّــهُ عَنِّــي رَأسَــهُ ... واللَّــهُ بــالمــرءِ المُضَــافِ بَصِيــرُ(٣)
خُلِقَــت لَهَــازِمُــهُ عِــزِيــنَ ورأسُــه ... كـالقُرْصِ فُلْطِـحَ من طَحِينِ شَعِيرِ(٤)
وكــأَنَّ شِــدْقَيــهِ إذَا مــا أَقْبَــلاَ ... شِـدْقَـا عَجـوزٍ مَضْمضـتْ لِطُهُـورِ(٥)
ويُــدِيــرُ عَيْنــاً للــوِقــاعِ كــأَنَّهــا ... سَمـراءُ طـاحَـتْ مِـن نَفِيـضِ بَـرِيـرِ(٦)

---

(١) أبو مهدية الكلابي، ويقال أبو مهدي كما في مواضع كثيرة (نحو ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م) هو محمد بن سعد بن ضمضم بن الصلت، أبو مهدي الكلابي: شاعر فصيح أعرابي. مدح محمد بن عبدالله بن طاهر ورثاه بعد وفاته. وكان جده ضمضم شاعراً أيضاً.

مضمون الأبيات: سعى إلى صاحبته يسوقه قلبه، ولكنه لقي في مسعاه ما يكره، لقي حية شنعاء، ولكن الله لطف به في لقائها، إذ صرفها عنه فلم تره. ولكنه لم ينس هول منظرها وبشاعته، فجعل يصفها في نعت طريف.

(٢) الأصم من الحيات: ما لا يقبل الرقية كأنه قد صم عن سماعها. المرقش: الذي فيه نقط سواد وبياض. جب كلثم: الظاهر أنه بئر بعينه، والجب البئر. ويروى: «من حب كلثم». الخطوب: المصائب.

(٣) أصد: يقال صده عنه وأصده: صرفه. المضاف: الملجأ المحرج المثقل بالشر.

(٤) اللهازم: أصول الحنكين. عزين: متفرقات، واحدها عزة وأصلها العصبة من الناس. فلطح: فلطح القرص وفرطحه: إذا بسطه.

(٥) الطهور بضم الطاء: التطهر. الشدق: الفم. مضمضت: المضمضة: تحريك الماء في الفم. الطهور: هنا الوضوء والغسل.

(٦) الوقاع: المواقعة في الحرب. سمراء: أراد ثمرة سمراء. النفيض: المنفوض، يريد ما وقع من الثمر بعد تحريكه. البرير: ثمر الأراك.

ـ ٣٦ ـ

وقال ذُو الخِرَق الطُّهَوِيُّ(١)

[وإنما سُمِّيَ «ذَا الخِرَق» بهذا البيت:

عِجَافاً عليها الرِّيشُ والخِرَقُ

و «الورقَ» أيضاً. وذلك أنَّ البعيرَ إذا دَبِرَ وضَعوا على دَبَره الريش والورَق لئلا يَقْرَبَه الطَّيرُ والغِربانُ].

لَمَّـا رأَتْ إبِلـي جـاءَتْ حَلُـوبتُهـا ... هَزْلَي عِجافاً عليها الرِّيشُ والوَرَقُ(٢)

قـالـت: أَلاَ تَبتَغِـي مـالاً تَعيـشُ بـه ... مِمَّـا تُـلاقِي، وشَـرُّ العِيشَـةِ الرَّمَـقُ(٣)

فِيئِـي إليـكِ فـإنَّـا مَعشَـرٌ صُبُـرٌ ... فـي الجَـدْبِ لا خِفَّـةٌ فينـا ولا نَـزَقُ(٤)

إنَّـا إذا حَطْمَـةٌ حُتَّـتْ لَنـا ورَقـاً ... نُمـارِسُ العُـودَ حتـى يَنْبُـتَ الـوَرَقُ

(١) ذو الخرق لقب لثلاثة شعراء كلهم من بني طهية، أحدهم قائل هذا الشعر واسمه خليفة بن حمل بن عامر بن حميري، وكان من فرسانهم. والثاني قرط بن قرط. والثالث شمير بن عبدالله بن هلال. وفي الأعلام ترجمة لشاعر راجز هو جندل بن المثنى الطهوي كان معاصراً للراعي النميري.

مضمون الأبيات: يذكر ما كان من زوجته حين أقبل الجدب وعز العيش، فبرمت بحياتها في ضجر، وحثته على طلب المال، فواساها وأرادها أن تصبر كما صبر، فإن مع العسر يسراً.

(٢) الحلوبة: الناقة التي تحلب. العجاف: الهزلي التي لا لحم عليها ولا شحم.

(٣) الرمق: القليل من العيش الذي يمسك الرمق وهو بقية الحياة. تبتغي: تطلب.

(٤) فيئي إليك: ارجعي إلى نفسك. الجدب: القلة. النزق: الطيش، التسرع.

(٥) الحطمة، بفتح الحاء وضمها: السنة الشديدة لأنها تحطم كل شيء. حت الورق: قشره. نمارس: الممارسة شدة العلاج.

ـ ٣٧ ـ

وقال تأبَّطَ شَرًّا(١)

وشِعْـبٍ كَشَـلِّ الثَّـوْبِ شكسٍ طَـرِيقُـه ... مَجـامِـعُ صُـوْحَيْـهِ نِطـافٌ مَخَـاصِـرُ(٢)
بـه مِـن سُيُـول الصَّـيفِ بِيـضٌ أَقَـرَّهـا ... جُبَـارٌ لِصُـمِّ الصَّخْـرِ فيـه قَـرَاقِـرُ(٣)
تبَطَّنْتُــه بــالقَــوم لــم يَهْــدِنــي لــه ... دليـلٌ ولـم يُثْبِـتْ لـيَ النَّعْـتَ خَـابـرُ(٤)
بــه سَمَــلاَتٌ مِــن ميــاهٍ قــديمــةٍ ... مَــوَارِدُهــا مــا إنْ لَهُــنَّ مَصَــادرُ(٥)

---

(١) تأبط شراً (نحو ٨٠ ق. هـ/ نحو ٥٤٠ م) هو ثابت بن جابر بن سفيان أبو زهير الفهمي من مضر، شاعر عداء من فتاك العرب في الجاهلية. كان من أهل تهامة. شعره فحل. يقال إنه كان ينظر إلى الظبي في الفلاة فيجري خلفه فلا يفوته. قتل في بلاد هذيل وألقي في غار يقال له «رخمان» فوجدت فيه جثته بعد مقتله.

مضمون الأبيات: يصف قدرته على اجتياز المسالك الصعبة، وقطع مجاهيل الأرض في جرأة، يقتحمها غير محتاج إلى وصف الواصف، أو هداية الدليل.

(٢) الشعب، بكسر الشين: الطريق في الجبل. شل الثوب: خياطته خياطة خفيفة. الطريق الشكس: الذي يصعب الذهاب فيه. الصوحان، بضم الصاد وفتحها: جانبا الجبل أو حائطا الوادي. النطاف: جمع نطفة، وهي ما يجتمع من ماء المطر في موضع. مخاصر: باردة، جمع «مخصر» وهو اسم مكان من «الخصر» وهو البرد.

(٣) بيض: أراد بها الغدران. أقرها: تركها. جبار: يعني سيلاً كل ما أهلك وأفسد جبار، والجبار: الهدر. قراقر: أصوات، جمع قرقرة. أراد أن السيل عظيم قد قلع الصخر من مواضعه وأنت تسمع أصواته.

(٤) تبطنته: دخلت في بطنه. الخابر: المختبر المجرب. النعت: الوصف.

(٥) سملات: جمع «سملة» بفتحتين، وهي بقية الماء في الحوض.

ـ ٣٨ ـ

وقال شمرُ بن عَمرٍو الحَنَفيُّ (١)

لـو كُنـتُ فـي رَيْمَـانَ لسـتُ ببـارحٍ ... أَبـداً وسُـدَّ خَصَـاصُـهُ بـالطِّيـنِ (٢)
لـي فـي ذَرَاهُ مَـآكِـلٌ ومَشـارِبٌ ... جـاءَتْ إلـيَّ مَنِيَّتِـي تَبْغِينِـي (٣)
ولقـد مَـرَرتُ علـى اللَّئيـم يَسُبُّنِـي ... فمَضَيـتُ ثُمَّـتَ قلـتُ لا يَعْنِينِـي (٤)
غضبـانُ ممتلئـاً علـيَّ إهـابُـهُ ... إنِّـي، وربِّـكِ، سُخْطُـهُ يُـرضِينِـي (٥)
يـا رُبَّ نِكْـسٍ إنْ أَتَتْـهُ مَنِيَّتِـي ... فَـرِحٍ، وخِـرْقٍ إنْ هَلكـتُ حَـزِيـنِ (٦)

---

(١) شمر بن عمرو الحنفي، أحد شعراء بني حنيفة باليمامة. وفي الأغاني أن شمر هذا قتل المنذر بن ماء السماء غيلة، وكان الحارث بن جبلة الغساني قد بعث إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الأمان، على أن يخرج له عن ملكه ويكون من قبله، فركن المنذر إلى ذلك وأقام الغلمان معه، فاغتاله شمر، وتفرق من كان مع المنذر وانتهبوا عسكره.

مضمون الأبيات: يذكر أن الموت غاية الحي يتقحم عليه الحصون والأسوار. ثم جعل يمدح نفسه بالحلم واحتمال أذى اللئيم في رضا وسماحة، بل في سخرية من حمقه وإهلاكه نفسه بما يحترق به صدره من العداء. وهو يرى أن موته لا يبتئس به إلا الكرام. وأما من يشمت بموته فهم أدنياء الناس وأرذالهم.

(٢) ريمان بفتح الراء وسكون الياء: قصر باليمن. خصاصه: فروجه وخلله. بارح: تارك.

(٣) الذرى، بفتح الذال: ما يكن من الريح من حائط أو شجر. جاءت: قدمت. المنية: الموت. تبغيني: تطلبني.

(٤) المعنى: أتجاهل شتم اللئيم لأنه أحقر من أن يعني لي شيئاً.

(٥) الإهاب: الجلد الذي لم يدبغ، واستعير هنا لجلد الإنسان. يقول: يسرني مرآى اللئيم الذي يمتلىء غضباً وسخطاً لدى رؤيتي.

(٦) النكس: الرجل الضعيف، أو المقصر عن غاية النجدة والكرم. الخرق: الكريم المتخرق في الكرم، أو الفتى الظريف في سماحة ونجدة. والمعنى أن الخسيس يسر لموته فيما يحزن الكريم لذلك.

ـ ٣٩ ـ

وقال طَرِيفُ العَنْبَرِيُّ(١)

أَوَ كلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبيلَةٌ بَعثُوا إلَيَّ رسولَهمْ يَتَوَسَّمُ(٢)

فتَوَسَّمُونِي، إنَّنِي أَنَا ذَاكُمُ شاكٍ سِلاحِي في الحوادثِ مُعْلِمُ(٣)

تَحْتِي الأَغَرُّ وفوقَ جِلْدِي نَثْرَةٌ زَغْفٌ تَرُدُّ السيفَ وهو مُثَلَّمُ(٤)

---

(١) هو طريف بن تميم العنبري أبو عمرو، شاعر مقل، جاهلي، قتله أحد بني شيبان، وكان يسمى «ملقى القناع»، لأنه أول من ألقى القناع بعكاظ، وقال: من شاء فليطلبني. ووصفه رجل من قومه للمنصور أمير المؤمنين قال: «كان أثقل العرب على عدوه وطأة، وأدركهم بثأر، وأيمنهم نقيبة، وأعساهم قناة لمن رام هضمه، وأقراهم لضيفه، وأحوطهم من وراء جاره، اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقر له بهذه الخلال، غير أن امرأ أراد أن يقصر به فقال: والله ما أنت ببعيد النجعة، ولا قاصد الرمية. فدعاه ذلك إلى أن جعل على نفسه أن لا يأكل إلا لحم قنص، ولا ينزع كل عام عن غزوة يبعد فيها أثره».

مضمون الأبيات: يفتخر بفروسيته وفرسه الأغر، كما يشيد بفروسية أسيد وخضم ويشير إلى عداوته للبكريين.

(٢) عكاظ: نخل في واد، بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال، وبه كانت تقام سوق العرب، قالوا: كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال، ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج. يتوسم: يتفرس ويطلب الوسم وهو العلامة. بعثوا: أرسلوا.

(٣) فتوسموني: يأمرهم أن يتوسموه. شاك: بالضم والكسر، بمعنى تام السلاح أو حاده. المعلم، بكسر اللام: الذي شهر نفسه في الحرب بعلامة يعرف بها.

(٤) الأغر: فرسه. النثرة: الدرع السلسلة الملبس. الزغف: الدرع اللينة. مثلم: كُسر حرفه.

حَــوْلــي فَــوارسُ مِــن أُسَيِّـدَ شِجْعَـةٌ وإذا غَضِبـتُ فَحَـولَ بَيتِـيَ خَضَّـمُ[1]
ولِكـــلِّ بَكْـــريٍّ لَـــديَّ عـــداوةٌ وأَبـــو رَبيعـــةَ شـــانـىءٌ ومُحَلِّـمُ[2]

---

(١) أسيد: هو ابن عمرو بن تميم، وهو تصغير «أسود» في لغة بني تميم، وسائر العرب يقولون «أسيود» فإذا نسبوا إليه قالوا «أسيدي»، كرهوا كثرة الكسرات. الشجعة، بتثليث الشين: اسم جمع لشجاع. خضم: لقب بني العنبر بن عمرو بن تميم.

(٢) أبو ربيعة: هو ابن ذهل بن شيبان، يريد القبيلة التي رئيسها هانىء بن مسعود. شانىء: مبغض. محلم: هو ابن ذهل بن شيبان، يريد به القبيلة أيضاً.

ـ ٤٠ ـ

قال أبو سعيد :
سمعت أبا عمرو بن العلاء
ينشِد هذه القصيدة لامرىء القيس[(١)]

نَطْعُنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلُوجَةً ... لَفْتَكَ لأْمَيْنِ على نَابِلِ[(٢)]

إذ هِيَ أَقْسَاطٌ كَرِجْلِ الدَّبَا ... أَو كَقَطَا كَاظِمَةَ النَّاهِلِ[(٣)]

---

(١) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة. وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين. ويعده الرواة شيخ الشعراء في الجاهلية ويعدونه مبتدعاً لكثير من المعاني التي سطا عليها الشعراء من بعده. (نحو ١٣٠ ـ ٨٠ ق.هـ/ ٤٩٧ ـ ٥٤٥ م).

مضمون الأبيات : كانت بنو دودان ـ وهم قبيلة من بني أسد ـ قتلت حجراً والد امرىء القيس فحلف امرؤ القيس لا يغسل رأسه ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه، فتبعهم في إحدى غزواته فأدركهم وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، صوره في هذه الأبيات التي وصف فيها الطعن الدراك، ونعت الخيل وكثرتها وشدة عدوها في الغارة. ثم أشار إلى أنه قد أحل لنفسه ما كان قد حرم عليها بعد مصرع أبيه من شرب الخمر، التي جعل الآن يحتسيها حراً راضياً.

(٢) السلكي : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه. المخلوجة : الطعنة إذا كانت غير مستقيمة، تذهب يمنة أو يسرة. اللفت : الرد. لأمين : مثنى «لأم» يقال «سهم لأم» أي عليه ريش لؤام، وريش لؤام : يلائم بعضه بعضاً، وهو ما كان بطن القذة منه يلي ظهر الأخرى، وهو أجود ما يكون. النابل : الرامي بالنبل. يقول : يذهب الطعن فيهم ويرجع كما ترد سهمين على رام رمى بهما.

(٣) أقساط : قطع، يريد الخيل، جمع «قسط». الدبا : الجراد قبل أن يطير. ورجله : جماعته. كاظمة : جو على سيف البحر من البصرة على مرحلتين، ماؤها شروب. الناهل : العطشان. شبه الخيل في سرعتها برجل من الدبا أو بقطا عطاش تطلب الماء فهي لا تألو طيراناً.

حَلَّـتْ لـيَ الخمـرُ وكنـتُ امـرأً عـن شُـرْبهـا فـي شُغُـلٍ شـاغِـلِ[1]
فـاليـومَ أَشْـرَبْ غيـرَ مُستَحْقِـب إثْمـاً مـنَ اللّـهِ ولا وَاغِـلِ[2]

(١) المعنى: بما أنني نلت ثأري فقد صار بمقدوري التحلل من نذري والعودة إلى شرب الخمر.
(٢) المستحقب: من قولهم «احتقب فلان الإثم» كأنه جمعه واحتقبه من خلفه. الواغل: الداخل على القوم في شرابهم ولم يدع إليه.

ـ ٤١ ـ

وقـــال

أَلاَ يـــا لَهْـــفَ هِنْـــدٍ مـــن أُنـــاسٍ هُـمُ كـانـوا الشِّفَـاءَ فلـم يُصَـابُـوا[١]

وَقـــاهـــمْ جَـــدُّهـــم بِبنِـــي أَبيهـــمْ وبـــالأَشقَيْـــنَ مـــا كـــانَ العِقَـــابُ[٢]

وأَفْلَتَهُـــــنَّ عِلْبَـــــاءٌ جَـــــريضـــــاً ولـــو أَدْرَكْنَـــهُ صَفِـــرَ الـــوِطَـــابُ[٣]

مضمون الأبيات: يذكرون أن بني أسد لما بلغهم تهديد امرىء القيس لهم انتقلوا عن منازلهم ونزلوا على قوم من بني كنانة، والكنانيون لا يعلمون بمسير امرىء القيس إليهم، فطرقهم في جيش عظيم فأغار عليهم وقتل منهم، وهو يظن أنهم بنو أسد، ثم تبين أنهم ليسوا إياهم.

(١) هند: أخت امرىء القيس. أناس: يريد بهم بني أسد الذين قتلوا أباه حجراً. يريد أنه لو أصابهم بثأره اشتفى.

(٢) جدهم: حظهم. ببني أبيهم، يريد بني كنانة الذين حاربهم يحسبهم بني أسد ثم كف حين تبينهم، وأسد وكنانة أخوان، أبوهما خزيمة.

(٣) أفلتهن: يعني أفلت الخيل التي طلبته فلم تلحقه وكادت تأخذه. علباء: هو ابن الحرث الذي أنذر بني أسد بأن امرأ القيس وراءهم. الجرض والجريض: غصص الموت. جعل علباء حين قاربته الخيل وفرسانها يطلبونه حتى يقتلوه بمنزله الذي قد قارب الموت. ولو أدركته: يعني الخيل، واللفظ لها والمعنى لفرسانها. صفر: خلا. الوطاب: جمع «وطب» وهو سقاء اللبن. ومعنى صفر الوطاب أي قتل فصفرت وطابه من اللبن، لأنه قد مات فلم يكن لها من يأمر بالحلب فيها، وقيل إنه مات وخرجت روحه من جسده وبقي جسمه صفراً من حياته، وجعل خلوه من الروح بمنزلة خلو الوطب من اللبن».

ـ ٤٢ ـ

وقال سَلاَمةُ بنُ جَنْدَلٍ (١)

لِمَـنْ طَلَـلٌ مثـلُ الكتـابِ المُنَمَّـقِ ... خَـلا عهـدُه بيـنَ الصُّلَيْـبِ فمُطْـرِقِ (٢)
أَكَـبَّ عليـه كـاتِـبٌ بـدوَاتِـهِ ... وحـادِثُـهُ فـي العَيْـنِ جِـدَّةُ مُهْـرَقِ (٣)
لأسمـاءَ إذْ تَهْـوَى وصَـالَـكَ إنَّهـا ... كَذِي جُدَّةٍ من وَحْشِ صاحَةَ مُرْشِقِ (٤)

(١) سلامة بن جندل (نحو ٢٣ ق. هـ/ ٦٠٠ م) سلامة بن جندل بن عبد عمرو من بني كعب بن سعد التميمي، أبو مالك: شاعر جاهلي من الفرسان. من أهل الحجاز. في شعره حكمة وجودة يعد في طبقة المتلمس. وهو من وصاف الخيل. له ديوان شعر صغير رواه الأصمعي. وأكثر المؤرخين على أنه «جاهلي قديم» مع أنهم يذكرون معاصرته لعمرو بن كلثوم.

مضمون الأبيات: وقف على أطلالها التي شبهها بالكتاب أجاد راقمه تنميقه، وهي أطلال أسماء التي جعل لها شبهاً في ضرب غريب من الظباء، له جدة تعلوه كما تعلو حمار الوحش. وهو يقف على تلك الرسوم مسائلاً فتعيا بجوابه، ولكنه في ذلك يخالطه شعور غريب كأنه ذهول الشارب، ويظل يبكي حيث لا يجدي بكاء. ثم نقل الكلام إلى الفخار بما كان من أيام قومه وغلبتهم أعداءهم، فوصف الكتيبة وسلاحها، ومطاعنة الأبطال، ومطاولة القتال والكر والفر، وما نالوا من مغانم العدو وأسلابه، وما استذلوه به من النصر المحقق، والفوز الحاسم. ثم يذكر أن الله وحده هو القادر على كل شيء.

(٢) الطلل: ما شخص من آثار الديار. المنمق: المحسن الموشى. الصليب بضم الصاد، ومطرق: موضعان.

(٣) حادثه: جديده، كأنه يجدد في عينه. المهرق: الصحيفة. جدة مهرق: أي مهرق جديد، وإنما أراد كتاباً في مهرق، اتساعاً منه في الكلام، ولعلم السامع بما أراد.

(٤) الجدة، بضم الجيم: الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه. صاحة: مكان. المرشق: بكسر الشين: الظبية المادة عنقها الناظرة، وهي أحسن ما يكون. ويقال: ترشقك بعينها كما يرشق صاحب النبل أي يصيب شيئاً.

لَـهُ بقَـرَارِ الصُّلْـبِ بَقْـلٌ يَلُسُّـهُ وإنْ يَتَقَـدَّمْ بـالـدَّكـادِكِ يَـأْنَـقِ[1]
وقَفْـتُ بهـا مـا إنْ تُبِيـنُ لسـائـلٍ وهـل تَفْقَـهُ الصُّمُّ الْخَـوالِـدُ مَنْطِقِـي[2]
فبِـتُّ كـأَنَّ الكـأْسَ طـالَ اعتيـادُهـا علـيَّ بِصَـافٍ مِـن رَحيـقٍ مُـرَوَّقِ[3]
كَـرِيـحِ ذكِـيِّ المسـكِ بِـاللَّيـلِ رِيحُـهُ يُصفَّـقُ فـي إبـريـقِ جَعْـدٍ مُنَطَّـقِ[4]
ومـاذا تُبَكِّـي مِـن رُسـومٍ مُحِيلَـةٍ خَـلاءٍ كسَحْـقِ اليُمْنـةِ المُتمَـزِّقِ[5]
أَلاَ هـل أَتَـتْ أَنْبَـاؤُنـا أَهـلَ مَـأْرِبٍ كما قد أَتَتْ أَهلَ الدَّبَا والخَوَرْنَقِ[6]
بـأَنَّـا مَنَعْنَـا بـالفَـرُوقِ نسـاءَنـا ونحـن قتَلنـا مَـن أَتـانـا بِمُلْـزقِ[7]
تُبَلِّغُهُـمْ عِيـسُ الـرِّكـابِ وَشُـومُهـا فَـرِيقَـيْ مَعَـدٍّ مـن تَهـام ومُعْـرِقِ[8]

---

(١) الصلب: موضع، والقرار: مستقر الماء في الروضة. تلسه: تأكله، أو تتناوله بألسنتها. الدكادك: جمع «دكدك» بفتح الدالين وكسرهما، وهو من الرمل ما التبد بعضه على بعض بالأرض ولم يرتفع كثيراً. يأنق: يكسب الأنق أجمع، والأنق: النبات الحسن المعجب.

(٢) الصم: الحجارة الصلبة، وجعلها خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال. تفقه: تفهم. تبين: تكشف.

(٣) اعتيادها: معاودتها. المروق: المصفى بالراووق، وهو المصفاة. يصف ذهوله لما نابه من الحزن، كالمكثر من الشراب.

(٤) يصفق: يمزج، أو يحول من إناء إلى إناء. الجحد: الخفيف من الرجال، عنى به الساقي. المنطق: المشدود على وسطه النطاق. الذكي: الطيب الرائحة.

(٥) الرسوم: آثار الديار. المحيلة: التي غاب عنها أهلها منذ حول أو منذ أحوال. السحق: الثوب الخلق البالي. اليمنة: بضم الياء وفتحها: ضرب من برود اليمن.

(٦) مأرب: موضع باليمن. الدبا، بفتح الدال والقصر: سوق من أسواق للعرب بعمان. الخورنق قصر بالحيرة.

(٧) الفروق عقبة دون هجر إلى نجد وكان فيه يوم من أيامهم. ملزق: موضع كان به يوم من أيامهم. منعنا: حمينا.

(٨) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة. شومها: وشوم الإبل سودها. تهام، بفتح التاء: منسوب على غير قياس إلى «تهامة» بكسر التاء. معرق الذي يأتي العراق أو يكون به.

ومَـوْقِفُنـا فـي غيـر دارٍ تَئِيَّـةٍ ... ومَلْحَقُنـا بـالعـارِض المَتَـأَلِّـقِ[١]

إذَا مـا عَلَـوْنـا ظهْـرَ نَعْـلٍ كـأَنَّما ... على الْهَـامِ مِنَّـاقَيْـضُ بَيْـضٍ مُفَلَّـقِ[٢]

مـن الْحُمْـسِ إذْ جـاؤُوا إلينا بجَمعهِمْ ... غَـدَاةَ لقِينـاهـم بِجَـأْوَاءَ فَيْلَـقِ[٣]

كـأَنَّ النَّعـامَ بـاضَ فـوق رؤوسهـمْ ... بنَهْـيِ القِـذَافِ أو بِنِهْـيِ مُخَفِّـقِ[٤]

ضَمَمْنَـا عليهـم حـافَتَيْهـم بصـادقٍ ... مـن الطَّعْـن حتـى أزمعـوا بتَفَـرُّقِ[٥]

كـأَنَّ مُنـاخـاً مـن قُيُـونٍ ومَنْـزِلاً ... بحيـثُ التَقَيْنَـا مـن أَكُـفٍّ وأَسْـوُقِ[٦]

كـأَنَّهُـمُ كـانُـوا ظِبَـاءً بِصَفْصَـفٍ ... أَفَـاءَتْ عليهـم غَبْيَـةٌ ذاتُ مَصْـدَقِ[٧]

كـأَنَّ اخْتِـلاءَ المَشْـرَفـيِّ رؤُوسَهـم ... هَـوِيُّ جَنُـوبٍ فـي يَبِيـسٍ مُحَـرَّقِ[٨]

---

(١) التئية: التمكث والانتظار، يقال قد تأييت بالمكان أي تمكثت به. الملحق: مصدر ميمي من «لحق». العارض: السحاب يعترض في الأفق، وأراد به هنا الجيش العظيم. المتألق: يعني لكثرة ما فيه من السلاح.

(٢) النعل: القطعة من الأرض الصلبة الغليظة، شبه الأكمة؛ يبرق حصاها ولا تنبت شيئاً. الهام: الرؤوس. قيض البيض: قشره. وقيل: «النعل المكان الغليظ. وشبه البيض بقشر بيض النعام».

(٣) الحمس: قريش وخزاعة وكنانة وبطون من بني عامر بن صعصعة، وكانوا يتشددون في دينهم. الجأواء: الكتيبة الكثيرة الدروع المتغيرة الألوان لطول الغزو، مأخوذ من الجؤوة، وهي حمرة تضرب إلى السواد. الفيلق: الكتيبة العظيمة.

(٤) شبه البيض على رؤوسهم ببيض النعام في أملاسه وصفائه. النهي: الموضع الذي له حاجز ينهي الماء أن يفيض منه، وقيل هو الغدير في لغة أهل نجد. القذاف، بكسر القاف، ومخفق بكسر الفاء المشددة: موضعان.

(٥) المعنى: أطبقنا عليهم بصادق الطعن حتى بددنا شملهم.

(٦) في شرح الديوان: شبه الأكف والأسوق التي قطعت بمناخ قيون تعمل السيوف، كأنه أراد قطع الحديد ومتاعهم. والقين: الحداد.

(٧) الصفصف: الأرض الملساء المستوية. أفاءت: رجعت. الغبية: الدفعة من المطر. المصدق: الصدق، أراد به القوة. يريد: كأنهم أصابتهم دفعة من مطر فرقتهم.

(٨) الاختلاء: القطع. هوى جنوب: أي كإسراع ريح الجنوب. اليبيس: اليابس من النبات.

لـدُنْ غُـدْوَةً حتـى أتَـى الليـلُ دُونَهـم ... ولـم يَنْـجُ إلاَّ كـلُّ جـرْداءَ خَيْفَـقِ[1]
ومُسْتَوْعِـبٍ فـي الجَـرْيِ فَضْـلَ عِنـانِـه ... كَمَــرِّ الغــزالِ الشَّــادِنِ المُتطَلِّــقِ[2]
فــأَلْقَــوْا لَنَــا أَرْسَــانَ كــلِّ نجيّــةٍ ... وســابغــةٍ كــأَنَّهــا مَتْــنُ خِــرْنِــقِ[3]
مُــداخَلَــةٍ مــن نَسْــجِ داوودَ سَكُّهــا ... كَحَــبِّ الجَنَــا مــن أُبْلُــمٍ مُتفلِّــقِ[4]
فمــن يَــكُ ذا ثــوْبٍ تَنلْــهُ رِمــاحُنــا ... ومــن يَــكُ عُــرْيانــاً يُــوَائِـلْ فيَسْبِـقِ[5]
ومَــن يَــدَعُــوا شيْئــاً يُعَــالِـجْ بئِيسَــهُ ... ومَــن لا يُغَــالُــوا بــالـرهــائِـنِ يَنْفُــقِ[6]
وأُمُّ بُجَيْــرٍ فــي تمَــارُس بَيْننــا ... متَـى تَـأْتِهـا الأَنبـاءُ تَخْمِـشْ وتَحْلِـقِ[7]
تـرَكْنَـا بُجَيْـراً حيـث مـا كـان جَـدُّهُ ... وفينـا فِـراسٌ عـانيـاً غيـرَ مُطْلَـقِ[8]
ولــولا جَنَــانُ الليــلِ مــا آبَ عــامِــرٌ ... إلــى جعْفَــرٍ سِــرْبــالُــه لــم يُخَــرَّقِ[9]
بضَــرْبٍ تظــلُّ الطيــرُ فيــه جَــوَانِحــاً ... وطعْــنٍ كــأَفــواهِ المَــزادِ المُفَتَّــقِ[10]

(١) الجرداء: الفرس القصيرة الشعر. خيفق: سريعة جداً. والمعنى: أنهم انتظروا هبوط الليل ليفر الناجون منهم.

(٢) الشادن: الذي قد قوى وصلح جسمه. مستوعب في الجري: ممعن في الجري.

(٣) الأرسان: جمع رسن، وهو الحبل الذي يقاد به البعير وغيره. النجية: الناقة السريعة. السابغة: الدرع التامة. شبه لين الدرع بلين الخرنق وهو ولد الأرنب.

(٤) مداخلة: محكمة النسج. السك: المسمار. الأبلم: بقلة تخرج لها قرون كالباقلي. تفلق: تستخرج حبوبها.

(٥) ذا ثوب: ذا سلاح. يوائل: ينج. والموئل: الملجأ والمنجى. أي: من كان ذا سلاح نالته رماحنا، ومن طرح سلاحه وتكمش نجا.

(٦) البئيس: البؤس. ينفق: يهلك. يريد أن من لم يغالوا في فدائه فمصيره إلى الهلاك.

(٧) التمارس: يريد به الممارسة والقتال، يقول: إذا أم بجير نعى ولدها في قتالنا خمشت وجهها وحلقت شعرها جزعاً.

(٨) بجير وفراس: هما ابنا عبدالله بن سلمة. جده: حظه. عانياً: أسيراً.

(٩) جنان الليل: شدة ظلمته وادلهمامه. سرباله لم يخرق: ثيابه غير ممزقة، أي ما عاد سالماً.

(١٠)جوانح: أراد دواني إلى الأرض، يقال: «جنح الطائر يجنح جنوحاً» إذا كسر من جناحيه ثم أقبل كالواقع اللاجىء إلى موضع. يعني بذلك تهافت الجوارح على الصرعى. المزاد: جمع مزادة، وهي القربة.

فعِـزَّتُنـا ليسـتْ بِشِعْـبٍ بِحَـرَّةٍ ... ولكنهـا بَحْـرٌ بصحـراءَ فَيْهَـقِ [1]

يُقَمِّـص بـالبُـوصِـيِّ فيـه غَـوَارِبٌ ... متى ما يَخُضْها ماهرُ اللُّجّ يَغْرَقِ [2]

ومَجْـدُ مَعَـدٍّ كـانَ فَـوْقَ عَـلايـةٍ ... سَبَقْنَـا بـه إذْ يَـرْتَقُـونَ ونَـرْتَقِـي [3]

إذَا الهُنْـدُوَانِيَّـاتُ كُـنَّ عُصِيَّنَـا ... بهـا نَتَـأيَّـا كـلَّ سَـاقٍ ومَفْـرِقِ [4]

نُجَلِّـي مِصَـاعـاً بـالسُّيـوف وجـوهَنـا ... إذا اعْتَفَـرَتْ أقـدامُنـا عنـدَ مَـأزِقِ [5]

فخَـرْتُـمْ علينـا أَنْ طَـرَدْتُـم فـوارسـاً ... وقـولُ فِـرَاس هـاجَ فِعْلِـي ومَنْطِقِـي [6]

عَجِلْتُـمْ علينـا حِجَّتيْـنِ عليكـمُ ... ومـا يَشـإِ الـرحمـنُ يَعْقِـدْ ويُطْلِـقِ [7]

هـو الجـابِـرُ العَظـمَ الكَسِيـرَ ومـا يَشَـأْ ... مـن الأمـرِ يَجْمَـعْ بينَـه ويُفَـرِّقِ [8]

هـو المُـدْخِـلُ النُّعمـانَ بَيْتـاً سمـاؤُه ... صُـدُورُ الفُيـولِ بعـدَ بيـتٍ مُسَـرْدَقِ [9]

---

(١) الشعب: الطريق في الجبل. فيهق: واسعة. يريد أن عزتهم ليست ضيقة كالشعب، ولكنها من السعة بمكان.

(٢) يقمص: قمص البحر بالسفينة: حركها بالموج. البوصي: ضرب من السفن. الغوارب: أعالي الماء، يعني الموج. اللج: الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه. والماهر: الحاذق لكل عمل، وأكثر ما يوصف به السابح المجيد.

(٣) العلاية: الموضع المرتفع. يفتخر بمجد معد.

(٤) الهندوانيات، بكسر الهاء وضمها: السيوف المنسوبة إلى الهند، الواحد «هندواني». العصى، بضم العين وكسرها: جمع عصا، أي إذا كانت سيوفهم بمثابة العصى في التزامها. نتأيا: نقصد، يقال «تأيا الشيء» تعمد آيته أي شخصه، وآية الرجل شخصه.

(٥) المصاع: المقاتلة والمجالدة بالسيوف. اعتفر: كتعفر بالتراب وانعفر. يريد أنهم في المجالدة تشرق وجوههم وتتعفر أقدامهم. المأزق: الشدة.

(٦) فراس: هو ابن عبدالله بن سلمة.

(٧) حجتين: سنتين كانتا عليهم.

(٨) يبين أن لا مفر من مشيئة الله فهو الذي يجبر ويكسر ويوحد ويفرق.

(٩) البيت المسردق: هو أن يكون أعلاه وأسفله مشدوداً كله. «قال أبو سعيد: كان كسرى أدخل النعمان بيتاً فيه ثلاثة فيول، فوطئته حتى قتلته».

وبَعْـدَ مُصَـابِ الْمُـزْنِ كـان يَسُـوسُـهُ   ومـالِ مَعَـدٍّ بعـدَ مـالِ مُحَـرِّقِ [1]
لــه فخْمَــةٌ ذَفْــرَاءُ تَنْفــي عَــدُوَّهُ   كَمَنْكِـبِ ضاحٍ مـن عَمَـايَـةَ مُشْـرِق [2]

(١) مصاب المزن: يشير إلى الأرض التي كان يحميها النعمان يصيبها المطر. ومعد ومحرق: اسمان.

(٢) له فخمة: أي له كتيبة فخمة. ذفراء: منهكة من ريح الحديد الذي عليها. ضاح: موضع بارز للشمس. عماية: اسم جبل.

ـ ٤٣ ـ

وقال حَجْلُ بنُ نَضْلَةَ(١)

[قال الأصمعيُ: خبَّرني الحرث بن مُطرِّف قال: استَبَّ حَجْلٌ ومعاوية ابن شَكلٍ(٢) عند بعض الملوك، فقال حجلٌ: هذا مُقابَلُ النعلين، قَعُوُّ الأَلْيَتَيْنِ، مُفِجُّ السَّاقيْنِ، مَشَّاءٌ بأَقراءٍ، قتَّالُ ظِباءٍ، تَبَّاعُ إماءٍ. «مقابَلُ النعلين» يريد أَنَّ لنعليه قِبالَيْنِ(٣). «قَعُوُّ الأَليتين» شَبَّه أَليتيه بالقعْوِ(٤)، وتلك هُجْنَةٌ. و «مُفِجُّ الساقين»(٥). «مَشَّاءٌ بأَقراءٍ» يمشي بأَقراءِ الوادي(٦). يَخْتِلُ الظباءَ. فقال الملك: أَردتَ أَن تَذمَّهُ فمدحته، فقال حَجْلٌ:

أَبْلِـغْ معـاويـةَ المُمَـزِّقَ آيـةً   عنِّي، فلستُ كبعضِ ما يَتقَـوَّلُ(٧)

---

(١) حجل بن نضلة الباهلي شاعر جاهلي أسر بنت عمرو بن كلثوم «النوار» يوم «طلح» وفر بها في الفلاة خوفاً من أن يلحق به. وله في ذلك شعر.

مضمون الأبيات: يخاطب بهذه الأبيات معاوية بن شكل ـ وقد كان بينهما ما عرفت ـ ويفخر عليه بفرسه ودرعه، ورمحه وسيفه، وأنه ملازم للسفار وركوب الأخطار.

(٢) معاوية هذا لم نجد له ترجمة.

(٣) القبال بكسر القاف: زمام النعل، وهو السير الذي يكون بين الإصبعين.

(٤) القعو، بفتح القاف وسكون العين: البكرة التي يدور عليها الرشاء. ورجل قعو الأليتين، بفتح القاف وضم العين وتشديد الواو: ناتئهما غير منبسطهما.

(٥) هنا بياض بأصل الشنقيطي ترك موضعاً للشرح. و «مفج» بضم الميم وكسر الفاء وتشديد الجيم، يقال رجل مفج الساقين: إذا تباعدت إحداهما من الأخرى.

(٦) أقراء الوادي: جمع «قرى» بفتح القاف وكسر الراء وتشديد الياء، وهو مسيل الماء من التلاع.

(٧) الممزق: من التمزيق. يتقول: يزعم ويفتري. آية: دليلاً.

إنْ تَلْقنِي لا تَلْقَ نُهْزَةَ واحِدٍ ... لا طائشٌ رَعِشٌ ولا أَنا أَعْزَلُ[١]

تَحتِي الأَغَرُّ وفَوقَ جِلْدِي نثرَةٌ ... زَغْفٌ تَرُدُّ السَّيفَ وهو مُفلَّلُ[٢]

ومُقَارَبُ الكَعبينِ أَسْمَرُ عاتِرٌ ... فيه سِنَانٌ كالقُدَامَى مِنجَلُ[٣]

ومُهنَّدٌ في مَتنِه حَرَجِيَّةٌ ... [غَضبٌ إذَا مَسَّ الضَّريبةَ مِفصَلُ[٤]

إذ لا أزالُ على طَريقٍ لاحبٍ ... وكأَنَّ متنَيْهِ حَصِيرٌ مُرْمَلُ[٥]

يَسْقِي قَلائِصَنَا بماءٍ آجِنٍ ... وإذَا يقومُ به الحَسِيرُ يُعَيَّلُ[٦]

---

(١) النهزة: اسم للشيء الذي هو لك معرض كالغنيمة، يقال «فلان نهزة المختلس» أي هو صيد لكل أحد. طائش: أحمق. رعش: جبان. أعزل: لا يحمل سلاحا.

(٢) الأغر: اسم فرسه. النثرة: الدرع السلسة الملبس. الزغف: الدرع اللينة. مفلل: قد صدع حده.

(٣) مقارب الكعبين: قصرت أنابيبه فتقاربت كعوبه. أسمر: قناة نضجت قبل أن تؤخذ، فهو أصلب لها. عاتر: مهتز. منجل: واسع الجرح. قدامى النسر: قوادمه.

(٤) حرجية: آثار دقاق جداً. مفصل: وهي صيغة مبالغة من الفصل، أي قطاع.

(٥) لاحب: واضح.

(٦) القلائص: جمع قلوص؛ وهي الفتية من الإبل. الآجن: المتغير. الحسير: البعير قد أعيا. يعيل: يهمل ويترك.

ـ ٤٤ ـ

وقال الأَسْعَرُ الجُعْفيُّ(١)

أَبْلِــغ أَبــا حُمْــرَانَ أَنَّ عَشِيــرَتِــي ... نــاجَـوْا وللقـومِ المُنَـاجِيـنَ التَّـوَى(٢)
بــاعُــوا جــوادَهُــمُ لِتَسْمَــنَ أُمُّهــمْ ... ولكـيْ يَعُـودَ علـى فِـراشِهـمُ فَتَـى(٣)
عِلــجٌ إذَا مــا بَــزَّ عنهــا ثَــوبَهــا ... وتَخَـامصَـت قـالـت لـه: مـاذا تَـرَى(٤)
لكـــنْ قَعِيـــدةُ بيتِنـــا مَجْفُـــوَّةٌ ... بـادٍ جَنَـاجِـنُ صَـدْرِهـا ولهـا غِنَـى(٥)

---

(١) الأسعر، بالسين المهملة. وهو لقب له، واسمه مرثد بن أبي حمران الحارث بن معاوية الجعفي، ويكنى أبا حمران. وهو شاعر جاهلي، لقب بالأسعر لقوله:

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك ... لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

مضمون الأبيات: كان الأسعر قد قتل أبوه وهو غلام، فوثب إخوته لأبيه فأخذوا الدية فأكلوها وباعوا فرس أبيهم فأكلوا ثمنها، فلما شب الأسعر أدرك بثأر أبيه، واتخذ الخيل وجعل يشيد بفضلها. فهو في هذه القصيدة يهجو إخوته لأبيه ويرميهم بأنهم آثروا تزويج أمهم بعد تسمينها. أما قعيدة بيته، وهي أم أو زوجة ـ فلا تزال تؤثر الخيل على نفسها حتى سعى الهزال إليها. وهو بعد ذلك يصف فرسه معتزاً بها بل معتزاً بالخيل كلها، وأنه يقود الكماة في الحرب يمارسونها في شجاعة وبسالة. ثم هو لا ينسى أن يفخر بأنه مأوى الضيفان في الليالي الباردة، ينحر لهم الكوم في سخاء يفيض على الجميع، وتظل كلاب الحي منه في خصب وشبعة.

(٢) ناجوا: من المناجاة والمسارة. التوى، بفتح التاء المثناة: الهلاك. يريد «أنهم أخذوا دية أبيهم» فكأنهم تناجوا في هذا الشأن.

(٣) المعنى: آثروا أمهم باللبن وعيالهم على خيلهم، فإذا سمنت أمهم زوجوها.

(٤) العلج: الرجل الشديد الغليظ. بز الثوب: انتزعه. تخامصت: تجافت عن الفراش ليظهر خمصها وضمورها.

(٥) قعيدة الرجل وقعيدة بيته: امرأته. الجناجن: عظام الصدر، والمعنى: قد ذهب لحم صدرها =

تُقْفِــي بعِيشَـــةِ أَهلِهـــا وَثَّـــابَـــةً أَوْ جُرْشُعاً عَبْلَ المحَازِمِ والشَّوَى[1]
ولقــد عَلِمْــت عَلَــى تَجَشُّمِــيَ الــرَّدَى أَنَّ الحصـونَ الخيـلُ لا مَـدَرُ القـرَى[2]
راحُـوا بَصَـائِـرُهـمْ علَـى أَكتـافِهِـمْ وبَصيـرَتـي يَعْـدُو بهـا عَتِـدٌ وَأَى[3]
نَهْـدُ المَـرَاكِـلِ مُـدْمَـجٌ أرسـاغُـهُ عَبْـلُ المَعـاقِـمِ مـا يُبَـالِـي مـا أَتَـى[4]
أَمَّـــا إذا استَقبَلتَـــهُ فكـــأَنَّـــه بــازٌ يُكَفكَـفُ أَن يَطيـرَ وقـد رَأَى[5]
وإذَا هــو استــدبــرتَــه فَتَسُــوقُــهُ رِجْـلٌ قَمُوصُ الـوَقـعِ عـارِيَةُ النَّسَـا[6]
وإذا هـــو استعـــرضْتـــه مُتَمَطِّـــراً فتقـولُ هـذا مثـلُ سِـرْحـانِ الغَضَـا[7]
إنَـي رأيــتُ الخيــلَ عِــزًّا ظــاهــراً تُنجِي من الغُمَّى ويَكشِفْنَ الدُّجَى[8]

= وبدت عظامه، وما ذاك عن عوز وفقر، عندها ما يغنيها من الطعام، ولكنها مشغولة بالقيام على الخيل وإصلاحها وتضميرها.

(١) تقفي: تفضل وتؤثر. الجرشع: الغليظ المنتفخ الجنبين. العبل: الممتلىء. المحازم: جمع محزم، وهو موضع الحزام. الشوى: الأطراف والقوائم. يريد أنها تؤثر باللبن الذي يعيش به أهلها فرساً وثابة تثب في عدوها، أو الجرشع الذي وصف.

(٢) تجشم الردى: ركوبه على كره ومشقة. والردى: الموت. المدر: الطين اليابس. يريد بمدر القرى الحصون المبنية.

(٣) البصيرة: ما استدار من الدم مقدار الدرهم. العتد، بفتح التاء وكسرها: الفرس الشديد التام الخلق، السريع الوثبة، المعد للجري؛ ليس فيه اضطراب ولا رخاوة. الوأي: الطويل من الخيل، وقيل الصلب. يعني أنهم حملوا دم أبيهم على أكتافهم وتركوا طلب الثأر، فجعلوه خلفهم وأخذوا الدية فصارت عاراً. وبصيرتي، أي ثأري، قد حملته على فرسي لأطالب به.

(٤) المراكل: جمع مركل، بفتح الميم والكاف، وهو حيث يركل الراكب الدابة برجله يحركها للركض. والنهد: التام الجسيم. المعاقم: المفاصل. والعبلى: الممتلىء.

(٥) الباز: ضرب من الصقور يصاد به. يكفكف: يمنع.

(٦) قموص الوقع: من قماص الفرس، بتثليث القاف، يقال «قمص الفرس» أي استن، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ويعجن برجليه. النسا: عرق من الورك إلى الكعب.

(٧) متمطراً: مسرعاً، تمطرت الخيل: ذهبت مسرعة. السرحان: الذئب. الغضا: شجر، وذئبه أخبث الذئاب؛ لأنه لا يباشر الناس إلا إذا أراد أن يغير.

(٨) المعنى: يرى في اقتناء الخيل دلالة على العز فهي تنجي من الهم وتطرد الظلام.

ويَبِتنَ بالثَّغرِ المَخوفِ طلائِعاً ... ويُثِبْنَ للصُّعلوكِ جَمَّةَ ذِي الغِنَى (1)

وإذَا رأيتَ مُحارِباً ومُسالماً ... فليَبْغِنِي عندَ المحاربِ مَنْ بَغى (2)

وخَصَاصةُ الجُعْفِيِّ ما صاحَبْتَهُ ... لا تنقضِي أبداً وإن قِيلَ انقضَى (3)

مَسَحُوا لِحَاهُمْ ثم قالوا: سَالِمُوا ... يا ليتنِي في القوم إذ مَسَحُوا اللِّحَى (4)

وكتيبةٍ وَجَّهْتُها لِكتيبةٍ ... حتى تقولَ سَرَاتهمْ: هذا الفَتَى (5)

لا يَشتكونَ الموتَ غيرَ تَغَمْغُمٍ ... حَكَّ الجِمالِ جُنوبَهُنَّ من الشَّذَى (6)

يَخرُجْنَ من خَلَلِ الغُبارِ عوابساً ... كأصابعِ المَقرُورِ أَقعَى فاصْطَلَى (7)

يَتَخالَسُونَ نفوسَهمْ برماحِهمْ ... فكأنَّما عَضَّ الكماةُ على الحَصَى (8)

يا رُبَّ عَرْجَلَةٍ أصابُوا خَلَّةً ... دَأَبُوا وحارَدَ لَيْلُهُمْ حتى بَكَى (9)

باتَتْ شآمِيَةُ الرِّياحِ تَلفُّهمْ ... حتى أَتَوْنا بعدَ ما سَقَطَ النَّدَى (10)

فنَهَضت في البَرْكِ الهُجُودِ وفي يَدِي ... لَدْنُ المَهَزَّةِ ذو كعوبٍ كالنَّوَى (11)

---

(١) يثبن: يعطين، من الإثابة. الجمة: أصلها معظم الماء. الثغر: خط التماس مع العدو.

(٢) المعنى: إذا أردتني فاطلبني حيث القتال. يفتخر بفروسيته.

(٣) الخصاصة: الفقر والحاجة.

(٤) قال أبو سعيد: لا يمسح الإنسان لحيته إلا وهو رخي البال. يقول: يا ليتني كنت فيهم حتى لا أرضى بما صنعوا». وأبو سعيد هو الأصمعي. وقيل إن علامة الصلح مسح اللحى.

(٥) المعنى: السراة: الأعيان. يقول أواجه الجيش بالجيش حتى يشار إليّ بالبنان.

(٦) التغمغم: أصوات الأبطال في الوغى عند القتال. الشذا: ذباب أزرق عظيم يقع على الدواب فيؤذيها، الواحدة شذاة، والمعنى: يستشفون بالموت كما تستشفى الإبل بالحك مما يؤذيها.

(٧) العوابس: الكريهات المنظر لما هن فيه من الحرب والجهد. المقرور: الذي أصابه القر وهو البرد. أقعى: جلس. اصطلى: تدفأ.

(٨) الكماة: الفرسان.

(٩) عرجلة: رجالة، وجمعها عراجل. وحارد: قل. الخلة: الحاجة.

(١٠) شآمية الرياح: الرياح القادمة من الشام.

(١١) البرك: جماعة الإبل الباركة. لدن المهزة: أراد رمحاً يهتز من لينه.

أَحــذَيْـت رُمْحِـي عَـائِطـاً مَمكـورةً   كَـوْمَـاءَ أَطـراف العِضَـاهِ لهـا حُلَـى [1]
بــاتــتْ كِـلابُ الْحَـيِّ تَسْنَـحُ بَيْنَنَـا   يــأْكلـنَ دَعْلَجَـةً ويَشبَـعُ مَـن عَفَـا [2]
ومــنَ الليـــالـــي ليلـــةٌ مَــزْؤُودَةٌ   غَبْـرَاءُ ليـس لمـن تَجَشَّمَهـا هُـدَى [3]
كَلَّفـتُ نَفسِـي حَـدَّهـا ومِـرَاسَهَـا   وعلمـت أَنَّ القـومَ ليس لهـم غِنَـى [4]
ومُـرَأَّسٍ أَقَصَـدْتُ وَسْـطَ جُمُـوعِـهِ   وعِشَـارَ رَاعٍ قـد أَخَـذتُ فمـا تـرَى [5]
ظَلَّــتْ سَنَـابِكُهـا علـى جُثْمَـانِـهِ   يَلعَبْـنَ دُحْـرُوجَ الـوَليـدِ وقـد قَضَـى [6]
ولـــد ثَـأَرْتُ دِمــاءَنَـا مــن واتــرٍ   فـاليـومَ إن زارَ المَنُـونُ قـد اكتَفَـى [7]

---

(١) أحذيت: أي جعلته لها حذياً، أي عطية. العائط: من الإبل هي البكرة التي أدركت اللقاح ولم تلقح. الممكورة: المدمجة الخلق. الكوماء: الضخمة السنام. العضاه: شجر عظام. يريد أنه طعن هذه الناقة برمحه ليطعمها الضيفان.

(٢) تسنح: تعرض. دعلجة: «الدعلج: المتردد» وفي اللسان: «الدعلجة التردد في الذهاب والمجيء». وفيه أيضاً: «الدعلجة: الأكل بنهمة» وأن بعضهم فسر البيت بهذا. من عفا: من أتى من الأضياف طالباً المعروف.

(٣) مزؤودة: مزؤود فيها، يقال «رجل مزؤود» أي مذعور إذا فزع. تجشمها: ركب أعظمها.

(٤) حدها: شدتها وصعوبتها. مراسها: شدة علاجها.

(٥) المرأس: الرئيس. أقصدت: قال الأصمعي: «الإقصاد: القتل على كل حال» وقال الليث: «هو القتل على المكان». العشار: جمع عشراء، وهي الناقة مضى عليها من لقحها عشرة أشهر.

(٦) سنابكها: يريد سنابك الخيل ولم يجر لها ذكراً. الدحروج: شيء يدحرجونه.

(٧) المعنى: لا يهمني أن أموت الآن بعد أن ثأرت لقومي.

قـال الأصمعيُّ: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: سابَّ يزيد بن الصَّعِقِ(١) رجلاً من بني أَسد فقال يزيد في ذلك:

وَلِعْتُـمْ بتَمْـريـنِ السِّيَـاطِ وأنتـمُ يُشَـنُّ عليكـم بـالفَنَـا كـلَّ مَـرْبَـعِ(٢)
بَنـى أَسَـد مـا تَـأْمُـرونَ بـأَمْـرِكـمْ إذَا لَحِقَـتْ خَيْـلٌ تَثـوبُ وتَـدَّعـي(٣)

(١) يزيد بن عمرو بن خويلد (الصعق) ابن نفيل بن عمرو الكلابي: فارس جاهلي من الشعراء له أخبار، استنجده مرداس بن أبي عامر على جماعة من كلاب سلبوه مئة ناقة، فركب حتى أخذ الإبل وردها عليه فقال فيه مرداس من أبيات:

يـزيـد بـن عمـرو خيـر مـن شـد نـاقـة بـاقتـادهـا إذا الـريـاح تصـرصـر

وشجّ رأسه يوم «ذي نجب» وأسر فأشار إلى ذلك جرير أكثر من مرة. قال: ونحن صدعنا هامة ابن خويلد يزيد وضرجنا عبيدة بالدم. وكان أعرج، طعنه «العمرد» فأعرجه، ومما يقال في تلقيب جده بالصعق: إنه اتخذ طعاماً لقومه في الموسم بعكاظ، فهبت ريح ألقت فيه التراب فلعنها، فأصابته صاعقة فمات!.

ومن شعر يزيد:

ألا أبلـغ لـديـك بنـي تميـم بـآيـة مـا يحبـون الطعـامـا

مضمون البيتين: هجا بني أسد لما قام بينه وبين أحدهم من سباب. فيصورهم عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم.

(٢) تمرين السياط: تليينها بالدهن ونحوه. يشن: يبدو لنا أنه يريد أنهم تشن عليهم الغارات كل وقت ربيع. وكان العرب يغيرون في الخصب لا في الجدب.

(٣) تثوب: تكثر، ثاب الماء إذا زاد وكثر. تدعى: تنتسب وتصف أنفسها. وإذا طعن الطاعن منهم قال للمطعون: خذها وأنا فلان، أو وأنا ابن فلان.

ـ ٤٦ ـ

فأجابه الأَسَدِيُّ

وعَيّرَهُ ضَربةَ اليَربُوعِيّ[١]:

أَعِبْـــتَ علينـــا أَنْ نُمَـــرِّنَ قِـــدَّنَـــا ... ومَـــن لا يُمَـــرِّنْ قِـــدَّهُ يَتَقَطَّـــعِ[٢]

فـــلا يُبْعِـــدِ اللَّـــهُ اليَميـــنَ التـــي بهـــا ... بِـرَأْسِـكَ سيمـا الـدَّهـرِ مـا لـم تَقَنَّـعِ[٣]

(١) اليربوعي الذي ضربه هو ثعلبة بن الحارث، ضربه في رأسه فشجه، وذلك في يوم ذي نجب.

(٢) القد: سير يقد من جلد غير مدبوغ.

(٣) السيما، بالقصر، والسيماء، بالمد، والسيمياء، والسومة، والسيمة: كلها بمعنى العلامة.
تقنع: تضع قناعاً.

ـ ٤٧ ـ

وقال الأصمعِيُّ:

لصخر بن عَمْرِو بنِ الشَّرِيدِ(١)

أَرَى أُمَّ صَخْـرٍ مـا تَجِـفُّ دُمـوعُهـا ... ومَلَّـتْ سُلَيْمَـى مَضجَعِـي ومَكَـانـي(٢)

ومـا كنـتُ أَخشَـى أن أَكـونَ جِنـازةً ... عليـكِ، ومَـنْ يَغتَـرُّ بـالْحَـدَثـانِ(٣)

(١) صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء، وهو الذي ظلت ترثيه دهراً طويلاً حتى ضرب بها المثل. وقتله زيد بن ثور الأسدي يوم ذي الأثل، وكان صخر شريفاً في بني سليم، وخرج في غزاة فقاتل فيها قتالاً شديداً وأصابه جرح رغيب، فمرض وطال مرضه وعاده قومه، فكانوا إذا سألوا امرأته سلمى عنه قالت: لا هو حي فيرجى، ولا ميت فينسى! وصخر يسمع كلامها فيشق ذلك عليه. ويسألون أمه: كيف صخر اليوم؟ فتقول: أصبح سالماً بنعمة الله! فلما أفاق من علته بعض الإفاقة عمد إلى امرأته سلمى فعلقها بعود الفسطاط حتى ماتت. وقد مدحه بعضهم بقوله:

وصخر بـن عمرو بن الشريد فإنه ... أخـو الحـرب فـوق السـابـح العـدوان

(توفي نحو ١٠ ق. هـ/ ٦١٣ م).

مضمون الأبيات: مضى في الترجمة سبب الشعر. وهو في هذه الأبيات يسجل ما كان من ذلك، ويستعلن غضبه على زوجه سلمى التي لمس فيها الغدر، وأما الأم فهي الحنان والوفاء الصادق. وهو لا ينسى أن يتمدح بما كان يصبح به الأعداء من الغارات الشداد التي لا يبالي فيها الموت، فإنه غاية الأحياء جميعاً.

(٢) المعنى: أرى أمي لا تمل البكاء حزناً على ما أصابني في وقت ملت زوجتي سليمى طول مرضي وبقائي حياً.

(٣) جنازة: إذا ثقل على القوم أمر أو اغتموا به فهو جنازة عليهم، وهي بكسر الجيم.

فـأيُّ امـرىءٍ سَـاوَى بـأمٍّ حَليلـةً ... فـلا عـاشَ إلاَّ فـي شَقـاً وهَـوَانِ[1]
أَهُـمُّ بـأَمـرِ الْحَـزْمِ لـو أَستطيعُـه ... وقـد حِيـلَ بيـنَ العَيْـرِ والنَّـزَوَانِ[2]
لَعَمْـرِي لقـد أَيقظْـتُ مَـن كـان نـائمـاً ... وأَسمَعْـتُ مَـنْ كـانـت لـه أُذنَـانِ[3]
وحَـيٍّ حَـرِيـد قـد صَبَحْـتُ بِغـارَةٍ ... كـرِجْـلِ جَـرادٍ أَوْ دَبـاً كُتُفَـانِ[4]
فلـو أَنَّ حيًّـا فـائِـتُ المـوتِ فـاتَـهُ ... أَخُو الحربِ فَوْقَ القَارِحِ العَدَوَانِ[5]

---

(١) المعنى: أن كل من يساوي بين أمه وزوجته شقي بائس.

(٢) العير: حمار الوحش. النزوان: وثوبه على أنثاه. وعجز البيت مثل معروف، أول من قاله صخر هذا. والمعنى بت عاجزاً عن القيام بما أريد.

(٣) المعنى يقول إنه قام بواجبه بتحذير البشر إلى الحقيقة السابقة وكنى عن ذلك بأنه أيقظ النائم واسمع من له أذنان.

(٤) حريد: منفرد منعزل من جماعة القبيلة، ولا يخالطهم في ارتحاله وحلوله، إما من عزتهم، وإما من ذلتهم وقلتهم. صبحت: أتيتهم صباحاً، وخير أوقات الغارة الصبح. رجل الجراد: الجماعة العظيمة منه، أراد كثرة عدد الجيش. الدبا: الجراد قبل أن يطير. الكتفان: هو من الجراد ما ظهرت أجنحتها ولما تطر بعد، فهي تنقز في الأرض نقزاناً، مثل المكتوف الذي لا يستعين بيديه إذا مشى.

(٥) القارح من الخيل: ما تمت أسنانه، وذلك في الخامسة من عمره. العدوان: الشديد العدو كالعداء.

ـ ٤٨ ـ

وأنشد لرجل من بني عامرٍ يقال له مشَعَّثٌ[(١)]

بِـإِصْـرٍ يَتَّـرِكُنِـي الْحَـيُّ يـومـاً ... رَهِينَـةَ دارِهِـمْ وهُـمْ سِـراعُ[(٢)]
تَمَتَّـعْ يـا مُشَعَّـثُ إِنَّ شَيئـاً ... سَبَقْـتَ بـه الـوَفـاةَ هُـو المَتَـاعُ[(٣)]
وجـاءَت جَيْـأَلٌ وأَبُـو بَنِيهـا ... أَحَـمُّ المَـأْقِيْـنِ بـه خُمَـاعُ[(٤)]
فَظـلاَّ يَنْبِشَـانِ التُّـرْبَ عَنِّـي ... ومـا أَنَـا وَيْـبَ غَيْـرِكَ والسِّبَـاعُ[(٥)]

---

(١) مشعث العامري، ذكره المرزباني في معجم الشعراء وقال: «وأحسبه لقبا».
مضمون الأبيات: ذكر ما يلقاه بعد الوفاة، إذ يتركه أهله وخلانه رهينة رمسه، تسعى إليه الضبع والضبعان في بشاعة منظرهما، ولا يزالان يبحثان عنه الترب طمعاً في انتهاب جثمانه، لذلك يحث نفسه أن يغتنم متاع الدنيا قبل أن يفوته بالوفاة.

(٢) بإصر: أصل الإصر العهد الثقيل، وهذه الصيغة «بإصر» من صيغ القسم، قال الأنباري «ويقال بإصر لأفعلن كذا وكذا، كأنه عهد وشبيه بذلك». سراع: مسرعون.

(٣) المعنى: تمتع بحياتك قبل أن يداهمك الموت.

(٤) جيأل: علم جنس لأنثى الضبع، المأقى، بالهمزة: لغة في الموق، وهو طرف العين مما يلي الأنف. والأحم: الأسود. الخماع، بضم الخاء: العرج.

(٥) ويب غيرك: الويب: الويل والهلاك، أي هلاكاً لغيرك. السباع: الحيوانات المفترسة.

ـ ٤٩ ـ

وأَنشدني أَبو عمرو بن العلاءِ لِطَرفَة بن العَبْدِ(١)

لا غَـــروَ إلاَّ جــارَتـــي وسُـــؤَالُهـــا أَلاَ هَــلْ لنـا أَهْـلٌ، سُئِلـتِ كـذلـكِ(٢)
تعَيِّــرُنــي طَــوْفِــي البــلادَ ورِحْلَتِــي أَلاَ رُبَّ دار لــي سِــوَى حُــرِّ دَارِكِ(٣)
ظَلِلــتُ بــذِي الأَرْطَــى فــوَيْــقَ مُثَقَّــبٍ بِبِيئَــةِ سَــوءٍ هــالِكــاً أَو كَهَــالِــكِ(٤)
تــرُدُّ علــيَّ الــريــحُ ثَــوبَــيَّ قــاعــداً لَــدَى صَــدَفِــيٍّ كــالحَنِيَّــةِ بَــارِكِ(٥)

---

(١) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل (نحو ٨٦ ٦٠ ق.هـ/ ٥٣٨ ـ ٥٦٤ م) أحد أصحاب المعلقات. وطرفة بفتحتين: واحدة الطرفاء، لقب له واسمه عمرو، ولقب ببيت قاله، وهو كما في القاموس والمزهر:

لا تعجــلا بــالبكــاء اليــوم مطــرفــا ولا أميــريكمــا بــالــدار إذ وقفــا

وقصة قتل عمرو بن هند له، وهو ابن عشرين سنة، متداولة في كثير من الكتب. لقب بـ «الغلام القتيل».

مضمون الأبيات: كان بينه وبين جارته حوار إذ وجدته غريب الأهل والدار، فسألته أين أهله وأين داره؟ فدعا عليها أن تصير إلى مثل ما صار إليه. هذا ما يؤديه معنى البيتين الأولين. أما البيتان الأخيران فيصف فيهما حاله وناقته.

(٢) لا غرو: لا عجب. والمعنى: سألته عن غربته هل له أهل، فدعا عليها أن تكون في مثل حاله.

(٣) حر الدار: خيرها ووسطها.

(٤) ذو الأرطى: موضع. مثقب: موضع. ببيئة سوء: حال سوء.

(٥) صدفي، بفتح الدال: نسبة إلى «صدف» بكسرها، وهي قبيلة من كندة اليمن، تنسب إليها النجائب. الحنية: القوس، شبه بعيره بها في صلابته وضمره.

ـ ٥٠ ـ

وقال دَوْسَرُ بنُ ذُهَيْلٍ القُرَيْعِيُّ(١)
[الأصمعيُّ: يقال إن هذا الشعر لرجل من بني يربوع]

وقـائلـةٍ مـا بَـالُ دَوسَـرَ بَعـدَنَـا ... صَحَا قلبُه عن آلِ لَيلَى وعن هِندِ(٢)
فـإن تَـك أَثـوَابِـي تَمَـزَّقـنَ للبلَـى ... فإنِّي كنَصلِ السَّيفِ في خَلَقِ الغِمْدِ(٣)
وإن يَـك شَيـبٌ قـد عَـلاَنـي فـرُبَّمـا ... أَرَانِـيَ فـي رَيـع الشبـابِ مـعَ المُـردِ(٤)
طَـوِيـلُ يَـدِ السِّـربَـال أَغيَـدُ للصِّبَـا ... أَكـفُّ على ذِفـرَايَ ذَا خُصَـلٍ جَعـدِ(٥)
وحَنَّـت قَلـوصِـي مـن عَـدَانَ إلـى نَجـدِ ... ولـم يُنسِهـا أَوطـانَهـا قِـدَمُ العَهـدِ(٦)

---

(١) لم نعثر له على ترجمة.

مضمون الأبيات: غادر لهو الصبا حتى صار ذلك أمراً مشهوراً، وهو قد أعطى الشباب حقه من قبل، فكان يلهو ويلعب ويظهر في أحسن مظهر للفتيان. وحين لحقه الشيب لم يوهن من عزمه، بل بقي كما كان أبداً صليباً ماضياً. أما الحنين فقد شاركته فيه ناقته، ولكن ناقته تلقى أينما تسير أبدالاً من صواحباتها، وأما هو في غربته فلا يجد من قومه بديلاً، هؤلاء القوم الذين كانوا في موضع الإعزاز منه والانتصار لهم، وقد كان عنهم صفوحاً غافراً لزلاتهم، محسناً لسياسة ذي النخوات منهم.

(٢) المعنى: تقول ماذا دهى دوسر، ترى هل نسي آل ليلى وهند؟!

(٣) خلق الغمد: أراد الغمد الخلق أي البالي، فأضاف الصفة للموصوف. والنصل: الحد القاطع.

(٤) ريع كل شيء وريعانه: أوله وأفضله. الأمرد: الفتى أول بلوغه.

(٥) السربال: القميص. الأغيد: المائل العنق اللين الأعطاف. الذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن. أراد أنه يرد شعره إلى ما وراء أذنيه.

(٦) عدان: موضع. قدم العهد: تقادم الأيام.

وإنَّ الـذي لاقَيـتِ فـي القلـبِ مِثلُـهُ ... إلـى آلِ نَجـدٍ مـن غَليـلٍ ومـن وَجـدِ[1]
إذا شئـتِ لاقَيـتِ القِـلاَصَ ولا أَرَى ... لِقَـومِـيَ أَبـدَالاً فَيـأْلَفَهُـمْ وُدِّي[2]
وأَرمِي الذي يَرمُونَ عن قَوسٍ بغضَة ... وليس على مَولاَيَ حَدِّي ولا عَهدِي[3]
إذَا مـا امـرُؤُ وَلَّـى علـيَّ بـوُدِّهِ ... وأَدبَـرَ لـم يَصـدُرْ بـإدبـارِه وُدِّي[4]
ولـم أَتَعَـذَّرْ مـن خِـلاَلٍ تَسُـوؤُهُ ... لِمَـا كـان يَـأْتـي مِثلَهـنَّ على عَمـدِ[5]
وذِي نَخـوَات طـامِحِ الـرأسِ جـاذَبَـت ... حِبَـالـي فَـرَخَّـى مـن عَـلاَبِيِّـهِ مَـدِّي[6]

---

(١) يخاطب ناقته، يقول: بي مثل ما بك من حنين ووجد. الوجد: شدة الشوق.
(٢) أبدال: جمع بدل. القلاص: النوق.
(٣) يريد بالمولى القريب أو الحليف. الحد: الحدة والغضب. يقول: إنه ينصر قومه لا يريد منهم مناصرة أو عوناً على ما ينوبه من الحقوق.
(٤) المعنى: إذا انصرف أحد أقربائي عني بوده لا أعامله بالمثل وأنصرف عنه أنا أيضاً.
(٥) أتعذر: أعتذر وأتنصل. الخلال: الصفات. عمد: قصد.
(٦) نخوات: جمع نخوة، وهي العظمة والكبر والفخر. جاذبت حبالي: أي جاذبته حبالي. علابي: جمع علباء: عرق في العنق، أراد بذلك أنه أذله وأخضعه.

ـ ٥١ ـ

وقال عَدِيُّ بن رَعْلاَءَ الغَسَّانِيُّ(١)

رُبَّمـا ضَـرْبـةٍ بِسيـفٍ صَقِيـلٍ … دُونَ بُصْـرَى وطَعْنـةٍ نَجْـلاءِ(٢)

وغَمُـوسٍ تَضِـلُّ فيهـا يَـدُ الآ … سِـي ويَعْيَـا طبيبُهـا بـالـدَّواءِ(٣)

رفعـوا رايـةَ الضِّـرَابِ وآلَـوْا … لَيَـذُودُنَّ سـامِـرَ المَلْحَـاءِ(٤)

فَصَبَـرْنَ النُّفُـوسَ للطَّعْـن حتـى … جَـرَتِ الخيـلُ بيننـا فـي الـدِّمـاءِ(٥)

ليـس مـن مـاتَ فـاستـراح بميْـتٍ … إنَّمـا المَيْـتُ مَيِّـتُ الأَحيـاءِ(٦)

إنمـا الميْـتُ مَـنْ يعيـشُ ذليـلاً … سَيِّئـاً بـالُـهُ قليـلَ الـرَّجـاءِ(٧)

(١) عدي بن الرعلاء الغساني: شاعر جاهلي. والرعلاء اسم أمه اشتهر بها، وضاع اسم أبيه. واشتقاق الرعلاء من قولهم ناقة رعلاء، وهي التي تقطع من أذنها وتترك تنوس.

مضمون الأبيات: قالها في شأن يوم أباغ ـ وهو موضع بطرف العراق مما يلي الشام ـ وهنالك أوقع الحارث الحراب الغساني وهو يدين لقيصر الروم، بالمنذر بن منذر وبعرب العراق وهم يدينون لكسرى، وقتل المنذر بن المنذر يومئذ، قتله شمر بن عمرو السحيمي من بني حنيفة. فوصف هذه الحرب في الأبيات الأربعة الأولى. وأما الأخيران فقد قالهما في شأن من تدعه الحرب سليماً معافى في ثياب من الذل والخزي، فحياته ليست إلا موتاً. ولكن البيتين سارا بعد ذلك مسير المثل والحكمة الخالدة لكل حياة ذليلة رخيصة.

(٢) بصرى: من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران. صقيل: جيد الصقل.

(٣) الغموس: الطعنة النجلاء الواسعة. الآسي: الذي يأسو الجروح ويداويها. يعيا بالدواء: يعجز عنه.

(٤) الضراب: المجالدة. وإنما رفعوا الراية وأعلوها تأكيداً للضرب وتشديداً. آلوا: أقسموا. يذود: يطرد. سامر: اسم جمع بمعنى السمار، وهم القوم يتحدثون ليلاً. الملحاء: موضع، وقيل إن الملحاء كتيبة كانت لآل المنذر.

(٥) المعنى: صمدت الفرسان حتى جرت الخيل وسط الدماء.

(٦) المعنى: الميت الحقيقي ليس من يموت وإنما من يرضى العيش ذليلاً.

(٧) قليل الرجاء: عديم الطموح.

ـ ٥٢ ـ

وقال مُرَقِّشٌ الأَصْغَرُ(١)

الــزِّقُّ مُلْــكٌ لمــن كــانَ لَــه والمُلْــكُ مِنْــهُ طــويــلٌ وقَصيــرْ(٢)
منهــا الصَّبُــوحُ الــذي يَتْــرُكُنِــي لَيْــثَ عِفِــرِّيــنَ والمــالُ كَثِيــرْ(٣)
فــأَوَّلَ اللَّيْــلِ ليــثٌ خــادِرٌ وآخِــرَ الليــلِ ضِبْعــانٌ عَثُــوزْ(٤)
قــاتَلَــكِ اللَّــهُ مِــنْ مَشْــرُوبَــةٍ لــو أَنَّ ذا مِــرَّةٍ عنــكِ صَبُــوزْ(٥)

(١) المرقش الأصغر (نحو ٥٠ ق. هـ/ ٥٧٠ م) ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك. شاعر جاهلي من أهل نجد. كان أجمل الناس وجهاً ومن أحسنهم شعراً. هو ابن أخي المرقش الأكبر وعم طرفة بن العبد. أشهر شعره «حائيته» وهي إحدى المجمهرات ومطلعها: أمن رسم دار ماء عينيك يسفح.

ومن الأمثال: «أتيم من المرقش» يعنون الأصغر هذا. قيل: إنه عشق فاطمة بنت الملك المنذر فبلغ من وجده بها أن قطع أبهامه بأسنانه وقال: ألم تر أن المرء يجذم كفه ويجشم من لوم الصديق المجاشما.

مضمون القصيدة: يذكر خداع الخمر وما تفعل في شاربها من تخييل كاذب، ثم هو مع ذلك لا يصبر عنها ولا يستطيع عنها فكاكاً.

(٢) يريد أن الخمر لشاربها بمثابة الملك الذي تتفاوت آماده. والزق: إناء الخمرة.

(٣) عفرين، بتشديد الراء: اسم بلد. الصبوح: شرب الخمرة باكراً. الليث: الأسد.

(٤) الخادر: الذي لزم خدره، وهو العرين. الضبعان، بكسر الضاد: ذكر الضباع. عثور: يريد أنه في آخر الليل يكثر عثاره في سيره مما لعبت به الخمر، والضباع تعرج كلها.

(٥) المرة: القوة وشدة العقل.

ـ ٥٣ ـ

وقال مُهلهِلُ بن ربيعة(١)

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسُمٍ أَنِيرِي ... إذا أَنْتِ انقَضَيْتِ فلا تَحُورِي(٢)

فإنْ يَكُ بالذَّنائِبِ طالَ لَيْلِي ... فقد يُبْكَى من الليلِ القَصِيرِ(٣)

فلو نُبِشَ المَقابِرُ عن كُلَيْبٍ ... فيُخْبِرَ بالذَّنائِبِ أَيُّ زِيرِ(٤)

بيومِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقَرَّ عَيْناً ... وكيف لقاءُ مَن تحتَ القُبُورِ(٥)

فإني قد تَرَكْتُ بوارداتٍ ... بُجَيْراً في دمٍ مثلِ العَبِيرِ(٦)

(١) المهلهل (نحو ١٠٠ ق. هـ/ ٥٢٥ م) عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة من بني جشم من تغلب، أبو ليلى المهلهل: شاعر من أبطال العرب في الجاهلية. من أهل نجد، وهو خال امرىء القيس الشاعر. قيل لقب مهلهلاً لأنه أول من هلهل نسج الشعر أي رققه. وكان صبوح الوجه فصيح اللسان. شبب بالنساء وجالسهن فسماه أخوه كليب «زير النساء» أي جليسهن. لما قتل جساس بن مرة كليباً ثار المهلهل فانقطع عن الشراب واللهو وآلى أن يثأر لأخيه فكانت وقائع بكر وتغلب التي دامت أربعين سنة وكانت للمهلهل فيها العجائب والأخبار الكثيرة أما شعره فعالي الطبقة.

(٢) ذو حسم: موضع. أنيري: أسفري عن صبحك. لا تحوري: لا ترجعي.

(٣) الذنائب: موضع به قبر كليب بن ربيعة. القصير: المعنى يريد فقد أبكي علي السرور، لأن لياليه قصيرة.

(٤) الزير: الذي يخالط النساء ويريد حديثهن لغير شر. والمعنى فيخبر بالذنائب أي زير أنا. وذلك أن كليباً كان يعيره فيقول: إنما أنت زير نساء.

(٥) يوم الشعثمين: يوم نسب إلى الشعثمين، وقيل: موضع، وقيل الشعثمان: شعثم وشعيث ابنا عامر بن ذهل بن ثعلبة وهما سيدا ذهل وفارساها.

(٦) واردات: موضع كان فيه يوم معروف بين بكر وتغلب. بجير: هو ابن الحرث بن عباد بن مرة، قتل ذلك اليوم. العبير: أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران.

وهَمَّـــامَ بـــنَ مُـــرَّةَ قـــد تَـــرَكْنـــا   عليـــه القَشْعَمَـــانِ مـــن النُّسُـــورِ[1]
وصَبَّحْنـــا الـــوُخُـــومَ بيـــومِ سَـــوْءٍ   يُـــدَافِعْـــنَ الأَسِنَّـــةَ بـــالنُّحُـــورِ[2]
كـــأَنَّـــا غُـــدْوَةً وبَنـــي أَبِينـــا   بجَـــوفِ عُنَيْـــزَة رَحَيَـــا مُـــدِيـــرِ[3]
فلـــولا الـــرِّيـــحُ أَسْمَـــعَ أهـــلَ حَجْـــرٍ   صليـــلَ البَيْـــضِ يُقْـــدَعُ بـــالـــذُّكـــورِ[4]

---

(١) القشعم: المسن من الرجال والنسور والرخم، وهو صفة، وقد أراد بالمثنى معنى الجمع.
(٢) الوخوم من بني عامر بن ذهل. الأسنة: الرماح.
(٣) عنيزة: موضع. رحيا: مثنى رحى وهو حجر الطحن. يصف بطولة قومه وبطولة أعدائه.
(٤) حجر: مدينة باليمامة. الذكور: أراد أجود السيوف وأيبسها وأشدها. وقد أفرط في المبالغة، إذ جعل صليل السيوف يسمع باليمامة لولا الريح، وقد كانت حربهم بالجزيرة، وبين الموضعين عشرة أيام، وعن أبي العباس الأحول أن هذا أول كذب سمع في الشعر. يقدع، بالدال: أي يضرب.

ـ ٥٤ ـ

وقال مُهَلْهِلٌ

[قال أبو الفضل: أظنُّ الأصمعيَّ قال: إنها مُولَّدَةٌ]:

يـا حَـارِ لا تَجْهَـلْ علـى أشيـاخِنَـا ... إنَّـــا ذَوُو السَّـــورَاتِ والأَحْـــلامِ(١)
ومِنَّـــا إذا بَلَـــغَ الصَّبِـــيُّ فِطَـــامَـــهُ ... سَـــاسَ الأُمـــورَ وحـــاربَ الأَقـــوامِ(٢)
قَتَلـــوا كُلَيْبـــاً ثـــم قـــالـــوا: ارْبَعُـــوا ... كَـــذَبُـــوا ورَبِّ الحِـــلِّ والإِحْـــرَامِ(٣)
حتَّـــى نُبِيـــدَ قَبيلَـــةً وقبيلَـــةً ... قَهْـــراً ونَفْلِـــقَ بـــالسُّيـــوفِ الهَـــامِ(٤)
ويَقُمْـــنَ رَبَّـــاتُ الخُـــدورِ حـــواسـراً ... يَمْسَحْـــنَ عَـــرْضَ ذَوائِـــبِ الأَيتـــامِ(٥)

مضمون الأبيات: قالها مهلهل في حرب البسوس التي قتل فيها كليب، ينعي فيها كليباً أخاه وينذر الحارث بن عباد البكري ويحذره عاقبة الجهل مفتخراً بقومه وكثرة ساداتهم، متوعداً أن يبيد من أجل كليب قبائل وقبائل تكثر فيها الأيتام.

(١) يا حار: ترخيم للحرث بن عباد. السورات، بضم السين: جمع سورة، وهي الرفعة والشرف والمنزلة، وبفتحها: جمع سورة، وهي الحدة، أو السطوة والاعتداء. الأحلام: العقول.

(٢) المعنى: إذا بلغ صبينا الفطام صار قادراً على تولي القيادة في السلم والحرب.

(٣) اربعوا: كفوا وتحبسوا. أراد أنهم بعد قتلهم كليباً قال بعضهم: كفاكم ما فعلتم. فلم يعلموا ما وراء ذلك.

(٤) المعنى: لن نكف حتى نبيد قبائل عدة ونشق الرؤوس بالسيوف.

(٥) حواسر: كاشفات الرؤوس. ربات الخدور: النساء المصونات. ذوائب: شعر.

ـ ٥٥ ـ

وقال عِلْبَاءُ بن أرقَمَ بن عَوْفٍ(١)

[ابن سعد بن عجل بن عتيك بن كعب بن يشكر بن بكر وائل، في كبش النعمان]:

أَلاَ تِلكُما عِرْسِي تَصُدُّ بوجهِها ... وتَزْعُمُ في جاراتِها أَنَّ مَن ظَلَمْ(٢)
أَبُونَا، ولم أَظْلِمْ بشيءٍ عَمِلْتُه ... سِوَى ما تَرَيْنَ في القَذَال من القِدَمْ(٣)
فيوماً تُوافِينا بوجهٍ مُقَسَّمٍ ... كأَنْ ظبيةٍ تَعْطُو إلى نَاضِرِ السَّلَمْ(٤)

---

(١) علباء بن أرقم: شاعر جاهلي كان معاصراً للنعمان بن المنذر.

مضمون الأبيات: تناولت القصيدة غرضين رئيسين: أولهما شكواه من زوجته وما كان يحيا معها من حياة مضطربة، فهي ترضى حيناً غاية الرضا، وتشرس أحياناً حتى تظهر شراستها بين جيرانها لا تخفى من ذلك شيئاً. وثانيهما: ما كان بينه وبين النعمان بن المنذر، وكان النعمان قد أحمى كبشاً، أي جعله حمى، فوثب عليه علباء فذبحه، فأغضب ذلك النعمان فحمل إليه، فلما وقف بين يديه أنشد القصيدة معتذراً. وقد صور فيها كيف عثر على ذلك الكبش القوي السمين وحدثته نفسه فذبحه، ولكن أصحابه حذروه غضب النعمان، بيد أنه استشعر في نفسه سماحة النعمان وجوده وسخاء يده، فأقدم على ما أقدم عليه.

(٢) تصد: تشيح. عرسي: زوجتي. تزعم: تدعي.

(٣) القذال: جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا.

(٤) مقسم: من القسام، وهو الجمال والحسن، وجه مقسم: جميل كله، كأن كل موضع منه أخذ قسماً من الجمال. تعطو: تتناول. السلم: ضرب من شجر البادية يعظم وله شوك، واحدته سلمة. ناضر: حسن، ذو رونق.

ويـومـاً تُـريـدُ مـالَنَـا مـعَ مَـالِهـا ... فـإن لـم نُنِلْهـا لـم تُنِمنَـا ولـم تَنَـمْ[١]
نبيـتُ كـأَنَّـا فـي خصـومٍ عَـرَامـةً ... وتَسمـعُ جـاراتـي التَّـأَلّـيَ والقَسَـمْ[٢]
فقلـتُ لهـا إنْ لاَ تَنَـاهَـىْ فـإنّنـي ... أخو النُّكْرِ حتى تَقْرَعِي السِّنَّ من نَدَمْ[٣]
لَتجتَنِبَنْـكِ العِيـسُ خُنْسـاً عُكُـومهـا ... وذو مِرَّةٍ في العُسرِ واليُسر والعَدَمْ[٤]
وأَيُّ مَليـك مـن مَعَـدٍّ عَلمتـمُ ... يُعَذِّبُ عبداً، ذي جَلالٍ وذي كَرَمْ[٥]
أَمِـن أَجـل كبـشٍ لـم يكـن عنـد قَـريـةِ ... ولا عنـد أَذوادٍ رِتَـاعٍ ولا غَنَـمْ[٦]
يُمَشِّـي كـأَن لأَحَـيَّ بـالجِـزْعِ غيـرُه ... ويَعلُـو جـراثيـمَ المَخـارمِ والأَكَـمْ[٧]
فـواللّـهِ مـا أَدرِي، وإنّـي لَصَـادقٌ ... أَمِـن خَمَـرٍ يـأْتـي الطِّـلاَلَ أَم أَتَّخَـمْ[٨]
بَصُـرتُ بـه يـومـاً وقـد كـاد صُحبَتِـي ... منَ الجوعِ أَنْ لا يَبلُغُوا الرَّجمَ الوَحَمْ[٩]

---

(١) ننلها: نعطها.

(٢) خصوم: جمع خصم، أي في جماعة يختصمون. العرامة: الشراسة والأذى. التألي: الحلف والقسم.

(٣) النكر: الدهاء والفطنة. قرع سنه من الندم: ندم ندماً شديداً.

(٤) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة. العكوم: الأحمال والأعدال التي فيها الأوعية من صنوف الأطعمة والمتاع. الخنس: جمع أخنس وخنساء، وصف به العكوم لامتلائها، تشبيهاً بالأنوف الخنس في اكتنازها وانحنائها: ذو مرة: ذو عقل وأصالة وإحكام، وهو على المثل والمرة: القوة. وعنى بذلك نفسه.

(٥) المعنى أي ملك من معد يقدم على تعذيب عبده من أجل كبش؟!

(٦) الأذواد: جمع ذود، وهو الجماعة من الإبل، نحو العشرة. رتاع: ترعى في الخصب والسعة، واحدها راتع.

(٧) الجزع: منعطف الوادي وجانبه. الجراثيم: الأماكن المرتفعة عن الأرض المجتمعة من تراب أو طين. المخارم: الطرق في الجبال وأفواه الفجاج. الأكم: التلال.

(٨) الخمر: ما خالط من السكر. الطلال: جمع طل، وهو المطر الصغار القطر الدائم. التخم: منتهى كل قرية أو أرض.

(٩) م الوحم: من الوحم، والوحم أصله شدة شهوة الحبلى لشيء تأكله، ثم قيل لكل من أفرطت شهوته في شيء. الرجم: موضع.

بِـذِي حَطَـبٍ جَـزْلٍ وسَهـل لِفَـائِـدٍ ... ومِبـرَاةِ غَـزَّاءٍ يقـال لهـا هُـذَمْ[١]
وزَنـدَيْ عَفَـارٍ فـي السِّـلاحِ وقـادحٍ ... إذَا شئـتُ أَورَى قبـلَ أَن يَبلُـغَ السَّـأَمْ[٢]
وقـال صِحَـابِـي: إنَّـك اليـومَ كـائـنٌ ... علينـا كمـا عَفَّـى قُـدَارٌ علـى إرَم[٣]
وقِـدْرٍ يُهَـاهِـي بـالكِـلابِ قُتَـارُهـا ... إذَا خَـفَّ أَيسـارُ المَسَـامِيح واللُّحُـمْ[٤]
أَخـذتُ لِـدَيْـنِ مطمئِـنٍّ صَحيفَـةً ... وخَالفتُ فيها كلَّ مَن جارَ أَو ظَلَم[٥]
أُخَـوَّفُ بـالنُّعمـانِ حَتَّـى كـأَنَّمـا ... قَتَلـتُ لـه خـالاً كـريمـاً أَوِ ابـنَ عَـمّ[٦]
وإنَّ يَـدَ النُّعمـانِ ليسـتْ بكَـزَّةٍ ... ولكـن سَمـاءٌ تُمطِـرُ الـوَبلَ والـدِّيَـمْ[٧]
لبسـتُ ثيـابَ المَقْـتِ إن آبَ سـالمـاً ... ولَمَّـا أُفِتْـه، أَو أُجَـرَّ إلـى الـرَّجَـمْ[٨]

---

(١) الجزل: الغليظ القوي. الفائد: من قولهم فأد اللحم أو الخبز في النار: شواه. المبراة: السكين يبري بها. وقيل: الفائد: الطابخ. غزاء: صاحب غزو. الهذم: القطع.
(٢) الزند والزندة: خشبتان يستقدح بهما، فالسفلى زندة والأعلى زند، وإذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل زندتان. العفار: شجر يتخذ منه الزناد، وهو والمرخ من أكثر الشجر ناراً، وزنادهما أسرع الزناد وريا. أورى: أشعل.
(٣) إرم: قوم عاد. وقدار هو ابن سالف الذي يقال له أحمر ثمود، وهو الذي عقر الناقة، فأهلك الله قومه بجريرته، فكان شؤماً عليهم، وإرم: قوم عاد. عفى: محى وقضى.
(٤) يهاهي: يدعو، والهأهأة: زجر الكلب وإشلاؤه. القتار: ريح القدر والشواء ونحوهما. خف: نشط. الأيسار: جمع يسر، وهو صاحب الميسر. اللحم: أصحاب اللحم، واحدهم لاحم. وقيل: «يقال رجل لحم وملحم ولاحم ولحيم، فاللحم: الذي يكثر أكله، والملحم: الذي يكثر عنده اللحم أو يطعمه، واللاحم: الذي يكون عنده لحم، واللحيم: الكثير لحم الجسد. والمساميح: الكرماء.
(٥) المعنى: لقد قمت بعمل خالفت فيه كل جائر ظالم.
(٦) المعنى يخوفونني بالنعمان كأني قتلت خاله أو ابن عمه!
(٧) كزة: منقبضة، ورجل كز اليدين أي بخيل. الوبل والديم: المطر الغزير.
(٨) المقت: البغض عن أمر قبيح ركبه، وثياب المقت: مجاز عما يلقى من الازدراء إذا لم يمض ما اعتزم. أفته: أهلكه. والرجم: القبر. آب: عاد.

يُثِيرُ علـيَّ التُّـربَ فَحصـاً بـرجلـهِ وقد بَلَغَ الذَّلْقُ الشواربَ أَو نَجَمْ[1]
لـه أَلْيَـةٌ كـأَنَّهـا شَـطُّ نَـاقَـةٍ أَبَـحُّ إذا مـا مُـسَّ أَبْهَـرُه نَحَـمْ[2]
وقطَّعتُـه بـاللَّـوْم حتـى أَطـاعنِـي وأُلْقِي على ظَهْـر الحَقيبـةِ أَوْ وَجَـمْ[3]
ورُحْنـا، علـى العِـبْءِ المُعَلَّـقِ شِلْـوُهُ وأَكْرُعُهُ، والرأسُ للذئبِ والرَّخمْ[4]
مـواريـثُ آبـائـي وكـانـت تـريكَـةً لآل قُدَارٍ صاحبِ الفِطْرِ في الْحُطَمْ[5]

(١) الذلق: الحد، الشوارب: مجاري النفس. نجم: طلع وظهر. الفحص: شدة الطلب والبحث عن الشيء.
(٢) الشط: شطر السنام، ولكل سنام شطان. الأبهر: عرق إذا انقطع مات صاحبه. نحم: من النحيم، وهو صوت يخرج من الجوف.
(٣) وجم: سكت.
(٤) العبء: العدل الذي يوضع على الدابة، وهما عبآن، أي عدلان. الشلو: الجسد من كل شيء. يريد أن شلوه وضع على العبء المعلق. والرخم: نوع من النسور.
(٥) التريكة: أراد بها التركة بمعنى الميراث. الحطم: الأمر العظيم، ورجل حطمة وحطم: إذا كان يركب الأمور ولا يبالي.

ـ ٥٦ ـ

وقـــال

حَلَّـت تُمـاضِـرُ غَـرْبَـةً فـاحتلَّـتِ فَلْجـاً وأَهلُـكَ بـاللِّـوَى فـالْحِلَّـتِ[١]
وكـأَنَّمـا فـي العَيـنِ حَـبَّ قَـرَنفُـلٍ أَو سُنبُـلاً كُحِلَـت بـه فـانهَلَّـتِ[٢]
زعَمـتْ تُمـاضِـرُ أَنـني إِمَّـا أَمُـتْ يَسـدُد أُبَينُـوهـا الأَصـاغـرُ خَلَّتِـي[٣]
تـربَـت يـداكِ وهـل رَأَيـتِ لقـومِـه مِثلـي علـى يُسـرِي وحيـنَ تَعِلَّتـي[٤]
يـومـاً إذا مـا النـائبـاتُ طَـرَقْنَنَـا أَكْفَـى بمعضِلَـةٍ وإِنْ هـيَ جَلَّـتِ[٥]
ومُنَـاخِ نـازلَـةٍ كَفَيْـتُ وفـارسٍ نَهِلَـتْ قنـاتِـي مِـن مَطَـاهُ وعَلَّـتِ[٦]
وإِذَا العَـذَارَى بـالـدُّخَـانِ تَقَنَّعَـتْ واستعْجَلَـتْ نَصْـبَ القُـدُورِ فمَلَّـتِ[٧]

مضمون الأبيات: «تماضر امرأته، وكانت فارقته عاتبة عليه في استهلاكه المال وتعريضه النفس للمعاطب، فلحقت بقومها، فأخذ يتلهف عليها ويتحسر في إثرها وإثر أولاده منها. ثم أخذ يتمدح بكرمه وفروسته، وأنه كان ملجأ العشيرة في زمان الفقر والجدب، وقد كان قيمهم وجامع شملهم، وصاحب الحلم فيهم ولين الجانب.

(١) غربة: دار بعيدة. فلج، واللوى والحلة: مواضع.

(٢) السنبل: نبات طيب الرائحة. انهلت: هنا بمعنى جرى دمعها.

(٣) أبينوها: تصغير أبناء على غير قياس. خلتي بفتح الخاء، وهي الثلمة، يريد مكانته الخالية بعد موته.

(٤) تعلتي: التعلة من عللت، كأنه أراد حين أفتقر وأحتاج إلى العلل أي الحجج، أو إلى أن أعلل نفسي كما يعلل العليل. رجل ترب: فقير.

(٥) المعنى: هل رأيت لقومه رجلاً أكفى للشدائد وإن عظمت عند طروق النوائب وغشيان الحوادث مني. والمعضلة: الداهية الشديدة.

(٦) المطا: الظهر. والمعنى: يجوز أن يعني بمناخ نازلة مناخ رفقة نزلت به، ولا يمتنع أن يكون عني نازلة من نوازل الدهر، واستعار الإناخة.

(٧) ملت: شوت الخبز أو اللحم في الملة، بفتح الميم، وهي الرماد الحار. يقول: وإذا أبكار النساء =

دَرَّتْ بِأَرزاقِ العِيَالِ مَغَالِقٌ ... بيدَيَّ من قَمَعِ العِشَارِ الجِلَّةِ[١]
ولقد رَأَبْتُ ثَأَي العَشِيرةِ بَينَها ... وكَفَيْتُ جَانِبَهَا اللَّتَيَّا والَّتي[٢]
وصَفحْتُ عن ذِي جَهْلِهَا ورَفَدْتُهُ ... نُصْحِي ولم تُصِبِ العَشِيرَةَ زَلَّتي[٣]
وكَفَيْتُ مولايَ الأَحَمَّ جَرِيرَتِي ... وحَبَسْتُ سائمتي على ذِي الْخَلَّةِ[٤]

= صبرت على دخان النار حتى صار كالقناع لوجهها لتأثير البرد فيها، ولم تصبر لإدراك القدور بعد تهيئتها ونصبها، فشوت في الملة قدر ما تعلل به نفسها من اللحم، لتمكن الحاجة والضر منها، ولإجداب الزمان واشتداد السنة على أهلها، أحسنت. وخص العذارى بالذكر لفرط حيائهن.

(١) العيال: جمع عيل، وهو الفقير. المغالق: جمع مغلق، وهي قداح الميسر. القمع، بفتحتين: جمع قمعة، وهي أعلى السنام من الإبل. العشار: جمع عشراء، وهي التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر. الجلة: العظام الكبار.

(٢) رأبت: أصلحت. الثأي: الفساد. اللتيا: تصغير التي، جعلهما اسمين للكبيرة والصغيرة من الدواهي.

(٣) الجهل: ضد الحلم. رفدته: أعطيته. ولم تصب إلخ: يريد أنه إن زل كفى نفسه ولم يحمل عشيرته زلته.

(٤) الأحم: هو الأخص، من الحميم، يقول: إن جررت جريرة أغنيت فيها نفسي عن ابن عمي الأدنى فضلاً عن الأبعد. وحبست سائمتي: يريد السوام، وهو المال الراعي، وقد سامت الماشية: دخل بعضها في بعض في الرعي. وهذا إغراق بعد التأكيد، أي حبستها عن المرعى على ذي الخلة، أي الفقر، ليختار منها على عينه.

ـ ٥٧ ـ

قال أحدهم[(١)]

كَيــفَ قَــرَيْــتَ ضَيْفَــكَ الأَزَبّــا[(٢)]
لمَّــا أَتــاكَ بــائســاً قِــرْشَبّــا[(٣)]
يَنْشُــدُكَ الــزَّادَ وكنــت الــزَّبّــا
قُمْــتَ إليــه بــالقَفِيــل ضَــرْبَــا[(٥)]
ضَــرْبَ بَعِيــرِ السَّــوْءِ إِذْ أَحَبّــا[(٦)]
كــأَنَّمــا تَلْحَــكُ فَــاهُ الــرُّبّــا[(٧)]

---

(١) نسب بعض أشطار هذه المقطوعة إلى أبي محمد الفقعسي، وهو عبدالله بن ربعي بن خالد الفقعسي الحذلمي، وهو راجز إسلامي.

مضمون الأبيات: هجاء لذلك الذي اعتراه الضيف وهو في حال من البؤس والجوع، فكان هو على ضيفه كالداهية الشديدة، ولم يزل يقريه ضرباً متواصلاً عنيفاً.

(٢) الأزب: من «الزبب»، وهو كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين. قرى الضيف: أطعمه.

(٣) القرشب: المسن، أو سيء الحال.

(٤) ينشدك: يسألك. الزباء: الداهية الشديدة.

(٥) القفيل: السوط، وقيل: العصا اليابسة.

(٦) أحب: الإحباب البروك، وقيل: هو في الإبل كالحران في الخيل، وهو أن يبرك فلا يثور. وقيل: أحب: برك لا يبرح.

(٧) تلحك: توجره الدواء. وألحكته: ألعقته. الرب بضم الراء: الطلاء الخاثر، وقيل: هو دبس كل ثمرة.

ـ ٥٨ ـ

وقال الممزِقُ العَبْديُّ(١)

أَرِقْــتُ فلــم تَخْــدَعْ بعيْنَــيَّ وَسْنَــةٌ ومــن يَلْـقَ مــا لاقيـتُ لا بُـدَّ يـأْرَقِ(٢)

تَبيــتُ الهمــومُ الطــارقــاتُ يَعُــدْنَنــي كمـا تَعتَـرِي الأَهـوالُ رأسَ المُطَلَّقِ(٣)

ونــاجيــةٍ عَــدَّيــتُ مــن عِنـدِ مــاجـدٍ إلـى واحـد مـن غيـرِ سُخْـطٍ مُفَـرِّقِ(٤)

---

(١) الممزق العبدي. شأس بن نهار بن أسود من بني عبد القيس. شاعر جاهلي قديم. من أهل البحرين. لقب بالممزق لقوله: فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق. ويقال له أيضاً: ابن شاشة.

مضمون الأبيات: كان عمرو بن هند ـ وهند أمه، وهو عمرو بن المنذر الأكبر بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي ـ قد هم بغزو عبد القيس. فقال الممزق هذه القصيدة يستعطفه، فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه. وقد أعلن الشاعر أرقه وتراكم همومه لما بلغه من عزمة عمرو بن هند. وذكر أنه صاحب ملوك يرحل إليهم بناقته التي وصف نشاطها وسرعتها، وعرقها، وضمورها، وأثر رجليه في جانبيها حين يركضها، وقد رحل بها إلى عمرو بن هند رحلة متواصلة، ثم مدح الملك بمجده وعزه ونقاه، وقوة سلطانه وشجاعته، وجوده ورأيه. ثم استعطفه في أسلوب طريف، مستعلناً ولاءه ووفاءه.

(٢) تخدع: يقول: لم يدخل في عيني شيء من النعاس، يقال: ما خدعت بعينه نعسة أي ما مرت بها. الوسنة: كالسنة والوسن، أي ثقلة النوم. الأرق: عدم القدرة على النوم.

(٣) المطلق: التطليق أن ينفس عن الملدوغ ساعة، فإذا عاوده الألم عاد إلى حالته الأولى. يعدنني: يزرنني.

(٤) الناجية: الناقة السريعة. إلى واحد: يقال «رجل واحد»: متقدم في بأس أو علم أو غير ذلك، كأنه لا مثل له، فهو وحده لذلك. عديت: انصرفت.

تَـرَى أَو تَـرَاءَى عنـدَ مَعْقِـدِ غَـرْزِهـا تهـاويـلَ مـن أَجـلادِ هِـرٍّ مُعَلَّـقِ[1]
كـأَنَّ حَصَـى المَعْـزَاءِ عنـدَ فُـروجِهـا نَـوَادِي رَحًـى رَضَّـاخَـةٍ لـم تُـدَقَّـقِ[2]
كـأَنَّ نَضِيـحَ البـولِ مِـنْ قُبْـلِ حَـاذِهَـا مَـلاَبُ عَـروسٍ أَو مَـلاَدغُ أَزْرَقِ[3]
وقد ضَمُرَتْ حتَّى التَقَى من نُسُوعِها عُرَى ذِي ثلاثٍ لم تكنْ قبلُ تَلْتَقي[4]
وقد تَخِذَتْ رِجْلي لدَى جَنْبِ غَرْزِها نَسِيفاً كـأُفْحُـوص القطـاةِ المُطَـرَّقِ[5]
أُنِيخَـتْ بجَـوٍّ يَصـرُخ الـدِّيـكُ عنـدَهـا وبـاتـتْ بِقَـاعٍ كـادِىءِ النَّبْـتِ سَمْلَـقِ[6]
تُنَـاخُ طَلِيحـاً مـا تُـراعُ مـن الشَّـذَا ولو ظَلَّ في أَوْصَالِها العَلُّ يَرْتَقِي[7]
تَـرُوحُ وتَغْـدُو مـا يُحَـلُّ وَضِينُهـا إليـكَ ابـنَ مـاءِ المُزْنِ وابـنَ مُحَـرِّقِ[8]

---

(١) تراءى: يقال «تراءاه» أي نظره، أو تكلف النظر إليه. الغرز للناقة: مثل الحزام للفرس. التهاويل: جمع تهويل، وهو ما هول به. أجلاد الشيء: شخصه بكماله، وجمعه أجالد. يريد: كأن هرا علق عند مقعد حزامها أنشب أظفاره فيها، فهي تنفر وتسرع.

(٢) المعزاء: المكان الصلب الكثير الحصى. فروجها: ما بين قوائمها. النوادي: ما تطاير من الرحى عند رضخها النوى ونحوه. رضاخة: من الرضخ، وهو الدق والكسر.

(٣) نضيح: من النضح، وهو الرش. القبل: المقدم. الحاذ: الذي يقع عليه الذنب من الفخذين من ذا الجانب وذا الجانب. الملاب: نوع من الطيب. ملادغ: مواضع اللدغ. الأزرق: يريد به الذباب الأزرق، قال الجاحظ «والذبان التي تهلك الإبل زرق».

(٤) النسوع: سيور الرحل والسيور: الحبال.

(٥) النسيف: أثر ركض الرجل بجنبي البعير إذا انحص عنه الوبر. الأفحوص: مجثم القطاة، أي مبيتها. المطرق: التي حان خروج بيضها، يقال «طرقت القطاة وهي مطرق» حان خروج بيضها، وهو من الصفات التي تخص الإناث فيستغنى فيها عن علامة التأنيث.

(٦) جو: اسم اليمامة. وإنما تصيح الديكة في المدن. كادىء: يقال «كدأ النبت يكدأ» أصابه البرد فلبده في الأرض، أو أصابه العطش فأبطأ نبته. السملق: القاع المستوى الأملس، والأجرد لا شجر فيه.

(٧) الطليح: المعيية. الشذا: الأذى والشر، أو هو ذباب أزرق عظيم يقع على الدواب فيؤذيها. وقيل الشذى: وجع من قرص الذباب. الصل: القراد.

(٨) الوضين: بمنزلة الحزام. ابن ماء المزن، يعني ابن ماء السماء. وماء السماء: اسم لأم المنذر الأكبر ابن امرىء القيس، نسب إليها. ومحرق، هو الحارث بن عمرو بن عدي.

عَلَوْتُمْ مُلوكَ الناسِ في المجد والتُّقَى وغَرْبِ نَدًى من عُروة العِزِّ يَسْتِقي [(١)]
وأَنتَ عمودُ الدِّينِ مهما تَقُلْ يُقَلْ ومهما تَضَعْ من باطلٍ لا يُلَحَّقِ [(٢)]
وإن يَجْبُنُوا تَشْجُعْ وإنْ يَبْخَلُوا تَجُدْ وإن يَخْرُقُوا بالأَمْ تَفْصِل وتَفرُق [(٣)]
أَحَقًّا أَبيتَ اللَّعنَ أنَّ ابنَ فَرْتَنَا على غيرِ إجرامٍ بِريقِي مُشَرِّقي [(٤)]
فإن كنتُ مأكولاً فكنْ خيرَ آكِلٍ وإلاَّ تَدارَكْني من البحرِ أَغْرَقِ [(٥)(٦)]
فإن يُتْهِمُوا أُنْجِدْ خِلافاً عليهِمُ وإنْ يُعْمِنُوا مُستَحقِبي الحربِ أُعرِقِ [(٧)]
فلا أَنَا مَولاَهُمْ ولا في صحيفةٍ كَفَلْتُ عليهِمْ، والكفالةُ تَعْتَقِي [(٨)]
وظَنِّي بِه أَن لا يُكَدِّرَ نِعْمَةً ولا يَقْلِبَ الأَعداءَ منه بمَعبَقِ [(٩)]

---

(١) الغرب: الدلو العظيمة، وأضافها للندى مجازاً. يمدحه بالمجد والعز والكرم والتقى.
(٢) الدين: السلطان والملك. مهما تضع من باطل: مهما تسقط من شيء وتبطله.
(٣) يخرقوا: يقال «خرق بالشيء» جهله ولم يحسن عمله، فهو أخرق. تفرق: تقضي وتفصل بين الحق والباطل.
(٤) ابن فرتنا: قد يكون شخصاً مسمى بهذا، وقد يكون نبزاً سب به شخصاً، فإن ابن فرتنا يراد به اللئيم. مشرقي: من الشرق، وهو بالماء والريق كالغصص بالطعام.
(٥) المعنى: إذا كان لا بد من قتلي فاقتلني أنت لأنك شريف وإلا فاحمني قبل أن أُقتل.
(٦) المعنى: أتحملني جريمة سواي؟! وإلا عليك إنقاذي وحمايتي.
(٧) يتهم، وينجد، ويعمن، ويعرق: يأتي تهامة ونجداً وعمان والعراق. مستحقبي الحرب: حاملي عبئها، من قولهم «احتقبه واستحقبه» بمعنى احتمله، كأنه جمعه وجعله من خلفه كالحقيبة.
(٨) تعتقي: تحتبس، والاعتقاء الاحتباس، وهو مقلوب الاعتياق، يقال «عاقني عنك عائق، وعقاني عنك عاق» بمعنى واحد، على القلب. يريد أن الكفالة تحبس صاحبها على الوفاء بما كفل.
(٩) لا يكدر نعمة: يعني بالاعتذار. يقلب: من قولهم «قلبه» رجعه وصرفه إلى منزله. معبق: من قولهم «عبق بالمكان» إذا لزمه وأقام به. يريد أنه لا يدع لأعدائه مستقراً، أو لا يترك لهم مفراً.

ـ ٥٩ ـ

وقال عوفُ بن عَطِيّةَ [بن الخَرِع] التَّيْميُّ(١)

[وكانت ضَبَّةُ أَغارتْ على جيرانٍ له، فأَخذ عوفٌ إبلاً من ضبةَ وأَعطاها جيرانَه]:

هُمَـا إِبـلاَنِ فيهمـا مـا عَلمتـمُ ... فـأَدُّوهمـا إِنْ شئتـمُ أَن نُسـالِمَـا(٢)

(١) عوف بن عطية بن عمرو الملقب بالخرع ابن عبس بن وديعة التيمي من تيم الرباب، من مضر: شاعر جاهلي فحل. أدرك الإسلام وعده ابن سلام في الطبقة الثامنة من الإسلاميين. ونعته الزبيدي بالفارسي فلعله كان قد نزل بفارس. له ديوان شعر صغير كانت منه نسخة عند البغدادي صاحب الخزانة ذكرها في كلامه على بيتين له خاطب بهما لقيط بن زرارة في وقعة «رحرحان» وهو جبل قرب عكاظ.

مضمون الأبيات: قال أبو سعيد السكري في شرح ديوان عوف، كما روى صاحب الخزانة:

أقبل أهل بيت من ربيعة بن مالك بن زيد مناة، وهم بنو الأعشى، حتى نزلوا وسط الرباب، فأغار عليهم بنو عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة فأخذوا إبلهم، فقال بنو الأعشى: انظروا رجلاً من الرباب له منعة وعز فادعوا عليه جواركم لعله يمنعكم أو تلبسوا بين القوم شراً! فأتوا عوف بن عطية بن الخرع فقالوا: يا عوف، أنت والله جارنا، وقد أخبرنا قومنا أنا نريدك. فانطلق عوف إلى عبد مناة فقال: أدوا إلى هؤلاء إبلهم. فأخذوا يضحكون به وقالوا: إن شئت جمعنا لك إبلاً وإن شئت عقلنا لك. قال: أما عندكم غير هذا؟ قالوا: لا. فانصرف عنهم فقال لبني الأعشى: اتبعوا مصادر النعم، حتى إذا أوردوا قال: يا بني الأعشى لا تقصروا، خذوا مثل إبلكم. فأخذوا ثم انطلقوا حتى نزلوا معه على أهله، فجاءه بنو عبد مناة فقالوا: يا عوف ما حملك على ما صنعت؟ قال: الذي صنعتم حملني. فأخذ يلعب بهم وقال: إن شئتم جمعنا لكم وإن شئتم عقلنا لكم. فقال عوف في ذلك هذه القصيدة.

(٢) إبلان، أي إبل بنى الأعشى وإبلكم.

فـــإن شئتـــمُ أَلْقَحْتُـــمُ ونَتَجْتُـــمْ وإنْ شئتـمُ عَيْنـاً بعَيْـنٍ كمـا هُمَـا[١]
وإنْ كــان عَقْــلاً فــاعْقِلُــوا لأَخيكــمُ بنـاتِ المَخَـاضِ والبِكَـارَ المَقَـاحِمَـا[٢]
جَـزيـتُ بَنـي الأعشَـى مكـانَ لَبُـونِهـمْ كِـرَامَ المَخَـاضِ واللِّقَـاحَ الـرَّوائمـا[٣]
مَهَاريسَ لا تَشْكُو الوُجومَ ولو رَعَتْ جَمَادَ خُفافٍ أَو رَعَت ذَا جَمَاجَما[٤]
وتشْـرَبُ أَسـآرَ الحيـاضِ تَسُـوفُهـا وإنْ وَرَدَتْ مـاءَ المُـرَيْـرَةِ آجِمَـا[٥]
فمَـنْ مبلِـغٌ تَيْمـاً علـى نَـأْي دارِهـا سَـرَاتَهُـمُ والحـامليـنَ العَظـائِمَـا[٦]
عَمَـدْتُ لأَمـرٍ يَـرْحَـضُ الـذَّمَّ عنكـمُ ويَغْسِلُ عَن حُرِّ الأُنوفِ الْخَوَاطِمَا[٧]
أَتَــأْكُــلُ أَشْبَــاهُ المغــازِلِ ذِمَّتـــي ولَمَّـا تَكُـنْ فيهـا الـرِّبـابُ عَمَـاعِمَـا[٨]

---

(١) نتجتم: يقال «نتج الرجل الناقة»: ولي نتاجها أي ولادتها حتى تضع.

(٢) العقل: الدية. بنت المخاض: الناقة إذا استكملت الحول ودخلت في الثانية. المقاحم: جمع «مقحم» وهو البعير يثنى ويربع في سنة واحدة، ولا يكون ذلك إلا لابن الهرمين أو السيء الغذاء.

(٣) اللبون: ذات اللبن. المخاض: النوق الحوامل، واحدتها «خلفة» على غير قياس ولا واحد لها من لفظها. اللقاح: جمع «لقحة» وهي الناقة ذات اللبن. الروائم: المحبات اللائي يعطفن على أولادهن.

(٤) المهاريس من الإبل: التي تقضم العيدان إذا قل الكلأ وأجدبت البلاد فتتبلغ بها كأنها تهرسها بأفواهها هرساً، أي تدقها. الوجوم: السكوت على غيظ، وفسره أبو عبيد بأنه شدة الحزن حتى يمسك عن الطعام. الجماد: الأرض الصلبة التي لا يمكن فيها الحفر، أو التي لم يصبها المطر. وبالكسر: جمع «جمد» بضم الجيم وسكون الميم، وهو الغلظ من الرمل، أو ما ارتفع من الأرض. خفاف: من مياه عمرو بن كلاب بحمى ضرية. ذو جماجم: من مياه العرب.

(٥) تسوفها: تشمها. المريرة، بالتصغير: ماء لبني عمرو بن كلاب، كما في ياقوت. الآجم: في اللسان: «الأصمعي: ماء آجن وآجم: إذا كان متغيراً وأراد ابن الخرع آجناً. وقيل آجم بمعنى مأجوم، أي تأجمه وتكرهه، ويقال أجمت الشيء إذا لم يوافقك فكرهته. أسآر: مفردها سؤر: وهو بقية الشيء.

(٦) المعنى من يخبر قبيلة تيم ـ على بعد دارها ـ وخاصة أعيانها وقادتها.

(٧) يرحض: يغسل. الخواطم: العلامات التي يوشم بها، أراد بذلك العيب والعار.

(٨) المغازل: جمع مغزل، وهو ما تغزل به المرأة. شبههم بالمغازل في الدقة، وأراد دقتهم =

فَأَمَّا الدِّقَاقُ الأَسْوُقِ الضُّلْعُ منهمُ فلستُ بهاجِيهمْ وإن كنتُ لائمَا[١]
بوُدِّهِمُ لا قَرَّبَ اللَّهُ وُدَّهُمْ ولا زالَ مُعْطِيهِمْ من الخَيْرِ حَارِمَا[٢]
ولكنَّني أَهجُو صَفِيَّ بنَ ثابتٍ، مُثَبَّجَةً لاقَتْ من الطَّيْرِ حاتِمَا[٣]
وحِصْناً ظَؤُوراً جَونَةً خُلَّتِ اسْتُها وصَفْوانَ زَلْقاً فوقَه الماءُ دائمَا[٤]

= وخستهم. الرباب، بكسر الراء: خمس قبائل تجمعوا فصاروا يداً واحدة، وهم: ضبة وثور وعكل وتيم وعدي. عماعما واحدهم عم، أي جماعة، والعماعم: الجماعات.

(١) الأسوق: جمع ساق، وفي الأوربية «الأسؤق» بالهمز، وكلاهما صحيح. الضلع: جمع «أضلع» وهو الشديد الغليظ. الهجاء: الذم. اللوم: العتب.

(٢) المعنى: لا قرب الله ود من سبق وذكرهم في البيت السابق ولا زالوا محرومين من كل خير.

(٣) صفي بن ثابت: منادى. مثبجة: المثبجة: البوم. الحاتم: الغراب الأسود، لأنه يحتم عندهم بالفراق إذا نعب، أي يحكم. أراد أن المهجو غاية في الشؤم.

(٤) حصناً: أراد به ناقة، والمعروف في استعمال العرب أن يراد به الفرس. الظؤور، بفتح الظاء الناقة العاطفة على غير ولدها. الجونة: السوداء. خلت استها: وقيل: «خلت استها: إذا امتنعت من العطف على السقب فيحشى حياؤها قطع أكسية ويخل حياؤها، فآلمها ذلك وتزيل الخلال فيقع ما حشى في حيائها، فتظنه ولداً، فيقدم إليها السقب». و «السقب»: ولد الناقة. و «يخل حياؤها» أي يجمع بين طرفيه بخلال. قيل: إذا أرادوا أن ترأم الناقة على ولد غيرها شدوا أنفها وعينيها، ثم حشوا حياءها مشاقة وخرقاً وغير ذلك، وشدوه وتركوه أياماً، فيأخذها لذلك غم مثل غم المخاض، ثم يحلون الرباط عنها فيخرج ذلك عنها، وهي ترى أنه ولدها، فإذا ألقته حلوا عينيها وقد هيؤوا لها حواراً، فيدنونه إليها فتحسبه ولدها فترأمه». الصفوان: الحجر الصلد الضخم لا ينبت، واحدته «صفوانة». الزلق، بكسر اللام: الأرض الملساء لا تثبت عليها قدم.

وقال عَوْفٌ أَيضاً

سَخِـرَتْ فُطَيمَـةُ أَنْ رَأَتْنِـي عـارِيـاً ... جَـرزِي إذا لـم يُخْفِـهِ مـا أَرْتَـدِي[١]
بَصُـرَتْ بِفِتْيـانٍ كـأَنَّ بَضِيعَهُـمْ ... جُـرْذَانُ رابيـةٍ خَلَـتْ لـم تُصْطَـدِ[٢]
إمَّـا تَـرَيْنِـي قـد كَبِـرْتُ وشَفَّنِـي ... وَجَعٌ يُقَرِّبُ في المجالِسِ عُوَّدِي[٣]
فلقـد زَجَـرْتُ القِـدْحَ إذْ هَبَّـتْ صَبـاً ... خَـرْقـاءُ تَقْـذِفُ بـالحِظَـارِ المُسْنَـدِ[٤]
في الزَّاهقاتِ وفي الحُمُولِ وفي التي ... أَبقَـتْ سَنَـامـاً كـالغَـرِيِّ المُجْسَـدِ[٥]
فـإذَا قَمَـرْتُ اللَّحـمَ لـم أَنْظُـرْ بِـهِ ... نِيئـاً كمـا هُـوَ مـاؤُهُ، شَـرْقَ الغَـدِ[٦]

مضمون الأبيات: كبر عوف وعلت سنه، فأثار ذلك سخرية «فطيمة» إذ رأته هزيلاً عليلاً، على حين غيره من الرجال ذوو قوة وجسامة، فأجابها بأنه كان في شبابه ذا فتوة يزاول الميسر في كرام الإبل وخيارها، ليشيع الخصب والرخاء في جيرانه وأهل مقامته. وهو من بين القوم لا يجد العائب فيه معاباً.

(١) جرزي: الجرز من الإنسان: صدره، وقيل وسطه. يخفه: يستره.
(٢) البضيع: اللحم، أو هو ما انماز من لحم الفخذ. الجرذان، بضم الجيم سماعاً وبكسرها قياساً: جمع جرذ بضم الجيم وفتح الراء، وهو الذكر الكبير من الفأر.
(٣) شفني: أي هزله وأضمره حتى رق. العود: زوار المريض.
(٤) زجرت القدح: ذكر ابن قتيبة أنهم كانوا يضربون بقداح الميسر فيصيحون بها ويزجرونها إذا ضربوا، كما يفعل المقامرون بالنرد. الصبا: ريح مهبها من الشرق. خرقاء: هوجاء لا تدوم على جهتها في هبوبها. الحظار، بكسر الحاء وفتحها: الحظيرة تعمل للإبل من شجر لتقيها البرد والريح.
(٥) الزاهقات: الزاهق من الدواب: السمين الذي اكتنز لحمه ومخه. الحمول: الإبل عليها الأحمال. الغري: نصب كان يذبح عليه النسك. وقيل: إنه بناء كان يذبح عليه أو حجر. المجسد: المصبوغ بالجسد، وهو ههنا الدم الذي يراق على النصب. يريد أنه ياسر بهذه الإبل التي وصف.
(٦) قمرت اللحم: يريد كسبته. لم أنظر به: لم أؤخره. نيئاً: حال من الضمير في «به». شرق الغد،

وجَـرَى بـأَعْـرَاضِ البيـوتِ وأَهلهـا		وإلى المقَامَةِ ذِي الغِنَى والمُجْتَدِي[1]
شَـرِقـاً بـه مـاءُ السَّـدِيـفِ فـإن يكُـنْ		لا شَحْـمَ فيـه فمـا استَطَعْنَـا نَحْشُـدِ[2]
وإذَا هَـــوَازِنُ جَمَّعُـــوا فتَنَـــاشَـــدُوا		جَنَبَـــاتِهِـــمْ أَلْفَيْتِنِـــي لـــم أُنْشَـــدِ[3]

= أي شمسه، يقال للشمس «شرق» بفتحتين وبفتح فسكون، أراد أنه يطعم اللحم غضاً رطيباً لا يؤخره إلى الغد.

(١) أعراض البيوت: نواحيها، يريد أنه يعم بهذا اللحم بيوت المحلة ونحوها. المقامة: الجماعة يجتمعون في مجلس. المجتدى: طالب الجدا، وهو العطاء.

(٢) الشرق: الممتلىء المشبع. السديف: السنام المقطع، أو شحمه. أراد أن اللحم شرق بماء السديف.

(٣) جنباتهم: سقطاتهم. لم أنشد: لم أذكر بقبيح. الفيتني: وجدتني.

وقال عمرُو بن مَعْدِيكَرِبَ (١)

أَمِنْ رَيْحانَةَ الدَّاعي السَّميعُ ... يُؤَرِّقُني وأَصحابي هُجوعُ (٢)
يُنادِي مِن بَرَاقِشَ أَو مَعِينٍ ... فأَسمَعَ واتلأَبَّ بنا مَلِيعُ (٣)
وقد جاوزْنَ من غُمدانَ داراً ... لأَبوالِ البغالِ بها وَقيعُ (٤)
ورُبَّ مُحرِّشٍ في جَنْبِ سَلْمَى ... يُعَلُّ بِعَيْبِها، عندي، شفيعُ (٥)
كأَنَّ الإِثْمِدَ الحارِيَّ فيها ... يُسَفُّ بحيثُ تَبْتَدِرُ الدموعُ (٦)

مضمون الأبيات: تزوج عمرو امرأة من مراد يقال لها «ريحانة»، وذهب مغيراً قبل أن يدخل بها، فلما قدم أخبر أنه قد ظهر بها وضح ـ وهو داء تحذره العرب ـ فطلقها وتزوجها رجل آخر من بني مازن بن ربيعة، وبلغ ذلك عمراً وأن الذي قيل فيها باطل، فأخذ يشبب بها.

وقيل إن «ريحانة» هي أخته، وكان الصمة والد دريد قد غزا بني زبيد فسباها، فغزا عمرو مراراً ولم يقدر عليها.

فذكر عمرو ما كان من هذا أو ذاك، واستعاد ذكرى الشباب وما كان فيه من لهوه وصحبة الغيد. أما شيبه الذي تعجب له أمامة فليس مما يعيبه فإن له في ماضي زمانه ما يعده ذخيرة لفخره، فقد كان يغدو إلى الصيد على فرس سبوح في جريه، فتعن له حمر الوحش فيصرع منها ما يصرع، وهذا الشيب الذي نرى إنما هو خضاب الحوادث، وما أثرت فيه أهوال الحروب التي خاضها. ثم ساق بعض الحكم، وفخر باجتيازه الفلوات الموحشة، وشكا وجده، وفخر بمهره.

(١) مرّت ترجمته سابقاً.

(٢) ريحانة: امرأته المطلقة، وقيل أخته أم دريد بن الصمة. السميع: المسمع. يؤرقني: يمنعني من النوم. هجوع: نيام.

(٣) براقش ومعين: حصنان باليمن. اتلأب: استقام واستوى. مليع: أرض بارزة وربما كان موضعاً بعينه.

(٤) جاوزن: يعني الركاب. غمدان: قصر مشهور باليمن. الوقيع: مناقع الماء.

(٥) التحريش: الإغراء بين القوم. يعل: يسقى مرة ثانية، من العلل، وهو الشربة الثانية. والمراد أنه يردد عيبها. يريد أنه لا يزداد على عيب العاذل في سلمى إلا حبا؛ فكأن عاذلها شفيع لها عنده.

(٦) الحاري: نسبة إلى الحيرة. الإثمد: حجر يتخذ منه الكحل. الإسفاف: أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى كحلاً أو نحوه. تبتدر: تنهمر.

وأَبكـــارٍ لهَـــوْتُ بهـــنَّ حينـــاً ... نـــواعـمَ، فـي أَسـرَّتِهـا الـرُّدُوعُ[1]
أُمَشِّـي حـــولَهــا وأَطــوف فيهـــا ... وتعجِبنـي المحـاجـرُ والفـروعُ[2]
إذا يَضحَكـــنَ أَو يَبْسِمْـــنَ يــومـــاً ... تَــرَى بَــرَداً أَلَــحَّ بــه الصَّقيــعُ[3]
كــأَنَّ علــى عَــوارِضِهــنَّ راحــاً ... يُفَــضُّ عليــه رُمَّــانٌ يَنِيــعُ[4]
تَــراهــا الــدَّهــرَ مُقْتِــرَةً كِبـاءً ... وتَقْــدَحُ صَحْفَــةً فيهــا نَقِيــعُ[5]
وصِبْــغُ ثيــابِهــا فــي زعفــرانٍ ... بِجُــدَّتِهــا كمــا احْمَــرَّ النَّجِيــعُ[6]
وقــد عَجِبــتْ أُمــامــةُ أَنْ رأَتنــي ... تَفَــرَّعَ لِمَّتِــي شَيْــبٌ فَظيــعُ[7]
وقــد أَغــدُو يُــدَافعنــي سَبُــوحٌ ... شــديــدٌ أَسْرُه فَعْــمٌ سَــرِيــعُ[8]
وأَحْمِــرَةُ الهُجَيْــرَةِ كــلَّ يــومٍ ... يَضــوعُ جِحَــاشَهُــنَّ بمــا يَضُــوعُ[9]
فــأَرسَلْنَــا رَبِيئَتَنَــا فــأَوْفَــى ... فقــال: أَلاَ أَلاَ خَمْــسٌ رُتُــوعُ[10]

(١) الأسرة: جمع «سرارة» بكسر السين وتخفيف الراء، وهي الخطوط في باطن الكف. الردوع: جمع ردع، وهو أثر الخلوق والطيب في الجسد. أبكار: جمع بكر، الشابة النضرة.

(٢) المحاجر: جمع محجر وهو ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجفن، وهو الذي يبدو من النقاب. الفروع: جمع فرع وهو الشعر كناية عن الأسنان.

(٣) البرد: حب الغمام. الصقيع: الجليد وهو كناية عن الأسنان.

(٤) العوارض: جمع عارض، وهو من الفم ما يبدو منه عند الضحك. الينيع: كاليانع، مثل النضيج والناضج. والراح: الخمرة. يفض: ينثر.

(٥) مقترة: من القتار، وهو ريح البخور، أقترت المرأة فهي مقترة، إذا تبخرت بالعود. الكباء: العود. تقدح: تغرف ما في الصحفة أو القدر. والصحفة: جمع صحاف: قصعة كبيرة منبسطة تشبع الخمسة. النقيع: ما ينقع في الماء.

(٦) الجدة، بضم الجيم: الخطة، وهي الطريقة في الثوب تخالف لونه. النجيع: الدم.

(٧) تفرعه: علاه، أو صار في فروعه، وفرع كل شيء: أعلاه. اللمة: ما ألم بالمنكب من الشعر.

(٨) السبوح: التي تسبح في سيرها للسرعة، يريد الفرس. الأسر: الخلق. الفعم: الممتلىء.

(٩) أحمرة: جمع حمار. الهجيرة: موضع باليمن. يضوعها: يروعها ويفزعها. الجحاش: جمع جحش.

(١٠) الربيئة: الطليعة. أوفى: علا وأشرف. الرتوع: جمع راتع، من «رتعت الماشية»: أكلت ما شاءت وذهبت وجاءت في المرعى نهاراً، والرتع لا يكون إلا في الخصب والسعة.

رَبَـاعِيَـةٌ وقَـارِحُهـا وجَحْـشٌ ... وهـاديـةٌ وتـاليـةٌ زَمُـوعُ[1]
فنـادانَـا: أنَكْمُـنُ أم نُبـادِي ... فلما مَـسّ حـالِبَـهُ القَطيـعُ[2]
أَرَنَّ عَشيَّـةً فـاستعجَلَتْـه ... قـوائـمُ كلُّهـا رَبِـذٌ سَطُـوعُ[3]
فَـأَوْفَـى عنـدَ أَقصـاهُـن شَخْـصٌ ... يلـوحُ كـأنـه سيـفٌ صَنيـعُ[4]
تَـراه حِيـنَ يَعْثُـرُ فـي دمـاءٍ ... كمـا يمشـي بـأَقْـدُحِـهِ الخَليـعُ[5]
أَشَـابَ الـرأسَ أيـامٌ طِـوالٌ ... وهَـمٌّ مـا تَبَلَّعُـهُ الضُّلـوعُ[6]
وسَـوقُ كتيبـةٍ دَلَفَـتْ لأُخْـرَى ... كـأَنَّ زُهـاءَهـا رأسٌ صَليـعُ[7]
دَنَـتْ واستـأْخَـرَ الأَوْغَـالُ عَنهـا ... وخُلِّـيَ بَيْنَهـم إلاَّ الـوَريـعُ[8]
فِـدًى لهـمُ معـاً عَمِّـي وخـالـي ... وشَـرْخُ شبـابهـم إنْ لـم يُضِيعُـوا[9]
وإسنـادُ الأَسِنَّـةِ نحـوَ نَحْـرِي ... وهَـزُّ المَشْـرَفِيَّـةِ والـوُقـوعُ[10]
فـإن تَنُـبِ النـوائـبُ آلَ عُصْـمٍ ... تُـرَى حَكَمـاتُهـمْ فيهـا رُفـوعُ[11]

---

(١) الرباعية: الأتان أسقطت رباعيتها عند تمام الرابعة من سنها. قارحها: أراد فحلها، والقارح: الذي انتهت أسنانه؛ وذلك عند تمام الخامسة. الهادية: المتقدمة. التالية: الأخيرة. الزموع: النشيطة السريعة، وهو مما يوصف به المذكر والمؤنث.

(٢) أنكمن: من الكمون وهو الاستتار. نبادي: نبادر إلى الهجوم. الحالب: واحد الحالبين، وهما عرقان يكتنفان السرة إلى البطن. القطيع: السوط، سمى بذلك لأنهم يأخذون الجلد الذي لم يلين فيقطعونه أربعة سيور ثم يفتلونه ويلوونه ويتركونه حتى ييبس فيقوم قياماً كأنه عصا.

(٣) أرن: صوت. الربذ: الخفيف في مشيه. سطوع: وصف من السطع بمعنى الارتفاع.

(٤) صنيع: مجرب مجلو. أوفى: برز.

(٥) الأقدح: جمع قدح، وهو قدح الميسر. الخليع: المخلوع المقمور ماله. وقيل: هو الذي قد قمر فلا خير عنده.

(٦) تبلعه: تتبلعه، يقال بلعه وابتلعه وتبلعه بمعنى أي تسعه.

(٧) وسوق: زحف. دلفت: مشت وقاربت الخطو. الزهاء: القدر. رأس صليع: جبل لا نبت عليه.

(٨) الأوغال: الضعفاء. الوريع: الذي يكف هو الوريع. ورع: كف، والوريع الكاف.

(٩) شرخ الشباب: أوله وقوته ونضارته.

(١٠) الأسنة: الرماح وكذلك المشرفية. النحر: أسفل العنق. الوقوع: السيوف القاطعة.

(١١) الحكمات: جمع حكمة، وهي ما أحاط من اللجام بحنكي الدابة، سميت بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد. رفوع: ارتفاع. النوائب: المصائب.

إذا لـــم تستطـــعْ شيئـــاً فـــدَعْـــهُ وجـــاوِزْهُ إلـــى مـــا تستطيـــعُ (١)
وصِلْـــهُ بـــالـــزِمـــاعِ فكـــلُّ أمـــر سَمَـــا لَـــكَ أَو سَمَـــوْتَ لـــه وَلُـــوعُ (٢)
فكـــمْ مِـــن غـــائـــطٍ مِـــن دُون سَلْمَـــى قليـــلِ الأُنْـــسِ ليـــس بـــه كَتِيـــعُ (٣)
بـــه السِّـــرحـــانُ مفتـــرشـــاً يـــديـــه كـــأَنَّ بيـــاضَ لَبَّتِـــه الصَّـــدِيـــعُ (٤)
وأَرضٍ قـــد قَطَعْـــتُ، بهـــا الهَـــوَاهِـــي مـــن الجِنَّـــانِ سَـــرْبَخُهـــا مَلِيـــعُ (٥)
تَـــرَى جِيَـــفَ المَطِـــيِّ بحـــافَتَيْـــه كـــأَنَّ عِظـــامَهـــا الـــرَّخَـــمُ الـــوُقُـــوعُ (٦)
لَعَمْـــرُكَ مـــا ثـــلاثٌ حـــائمـــاتٌ علـــى رُبَـــعٍ يَـــرُعْـــنَ ومـــا يَـــرِيـــعُ (٧)
ونـــابٌ مـــا يَعِيـــشُ لهـــا حُـــوَارٌ شـــديـــدُ الطَّعْـــنِ مِثْكـــالٌ جَـــزُوعُ (٨)
سَـــدِيـــسٌ نَضَّجَتْـــهُ بعـــدَ حَمْـــلٍ تحَـــرَّي فـــي الحَنِيـــنِ وتَسْتَلِيـــعُ (٩)
بـــأَوْجَـــعَ لَـــوْعَـــةً مِنِّـــي ووَجْـــداً غـــداةَ تَحَمَّـــلَ الأَنَـــسُ الجَميـــعُ (١٠)
فـــإِمَّـــا كنـــت ســـائلـــةً بمُهْـــري فمُهْـــري إن ســـأَلْـــتِ بـــه الـــرَّفِيـــعُ (١١)

---

(١) المعنى: إذا عجزت عن القيام بأمر فدعه وقم بشيء تستطيع القيام به.

(٢) الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه. الولوع: العلاقة. يقول: أزمع على ما تستطيع، فلكل شيء ناحية تعلق بها النفس.

(٣) الغائط: المطمئن من الأرض الواسع، وكل ما انحدر من الأرض فقد غاط. ليس به كتيع أي أحد، وأصل الكتيع المنفرد من الناس.

(٤) السرحان: الذئب. اللبة: وسط الصدر والمنحر. الصديع: الصبح.

(٥) الهواهي: ضوضاة الجن، الواحد هوهاة. والسربخ: ما بينها وبين أرض أخرى. والمليع: الواسع من الأرض. (٦) المعنى: ترى جيف الدواب الميتة التي تشبه عظامها النسور الهاوية.

(٧) ثلاث: يريد من النوق. حائمات: طائفات. الربع: الفصيل الذي ينتج في الربيع، وهو أول النتاج. يرعن وما يريع. يرجعن وما يرجع أي لهلاكه.

(٨) الناب الناقة المسنة. الحوار: ولد الناقة حين يوضع إلى أن يفطم فيصير فصيلاً. المثكال: التي فقدت ولدها. جزوع: حزينة.

(٩) السديس من الإبل: ما دخل في السادسة، وذلك إذا ألقى السن التي بعد الرباعية. نضجته: يقال «نضجت الناقة بولدها ونضجته» جاوزت الحق، وهو السنة من وقت الضراب، بشهر ونحوه ولم تنتج، أي زادت على وقت الولادة. تحرى: تتحرى، والتحري: القصد والاجتهاد والعزم على الفعل. تستليع: من اللوعة، وهي حرقة القلب من الحزن ونحوه.

(١٠) الأنس: الحي المقيمون. الجميع: المجتمعون.

(١١) إن سألت به: إن سألت عنه. الرفيع: العالي المرتبة.

ـ ٦٢ ـ

وقال أيضاً:

أَعــــدَدتُ للحــــربِ فَضْفَــــاضــــةً دِلَاصــــاً تَثَنَّــــى عَلَــــى الــــرَّاهِــــشِ (١)

وأَجْــــرَدَ مُطَّــــرِداً كــــالــــرِّشــــاءِ وسَيــــفَ سَــــلَامــــةَ ذِي فــــائِــــشِ (٢)

وذاتَ عِــــدَادٍ لهــــا أَزْمَــــلٌ بَــــرَتْهــــا رُمــــاةُ بَنِــــي وابِــــشِ (٣)

وكــــلَّ نَحِيــــضٍ فَتِيــــقِ الغِــــرَارِ عَــــزُوفٍ عَلَــــى ظُفُــــرِ الــــرَّائِــــشِ (٤)

وأَجْــــرَدَ سَــــاطٍ كشــــاةِ الإرا نِ رِيــــعَ فعَــــنَّ علــــى النــــاجِــــشِ (٥)

مضمون الأبيات: يذكر عمرو ـ وهو فارس زبيد ـ ما أعد للحرب من درع ورمح وسيف، وقوس وسهم، وفرس كأنه ثور الوحش في نشاطه، ثم يفخر بآبائه ومجدهم، وما هو عليه من خلق كريم.

(١) فضفاضة: واسعة، يريد الدرع. الدلاص: اللينة البراقة الملساء. الرواهش: عصب وعروق في باطن الذراع، وقيل في ظاهره، واحدتها راهشة وراهش.

(٢) الأجرد: عنى به الرمح قد سويت كعوبه فاملس. مطرد: مستقيم. الرشاء: الحبل، شبه الرمح في طوله به، سلامة ذو فائش: قيل من أقيال اليمن، وهو سلامة بن يزيد بن مرة بن عريب بن مرثد بن يريم بن يحصب اليحصني، من بني يحصب بن مالك أخي ذي أصبح. وفائش: واد باليمن كان يحميه.

(٣) ذات عداد: يريد القوس. وعدادها: صوتها ورنينها، وهو صوت الوتر. الأزمل: الصوت. بنو وابش: قبيلتان، بنو وابش بن دهمة بن سالم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان. من همدان، وبنو وابش بن زيد بن عدوان وهو الحرث بن قيس بن عيلان. وقيل: العداد: الصوت. وأزمل: صوت. وبنو وابش: من عدوان، وهم أرمى الناس.

(٤) نحيض: يعني سهماً مرققاً. فتيق: عريض. غرار: حد. عزوف: تسمع له صوتاً. الرائش: الذي يريش السهم.

(٥) وأجرد: الحصان القليل الشعر. ساط: الساطي من الخيل: البعيد الشحوة، وهي الخطوة. شاة إران: الثور الوحشي. عنَّ: ظهر. الناجش: الذي يثير الصيد ليمر على الصياد.

وآوِي إلـــى فَــرْعِ جُــرْثــومَــــةٍ   وعِـــزٍّ يَفُــوتُ يَــدَ النَّــاهِــشِ[1]

تَمَتَّعْـــــتُ ذاكَ وكنـــــتُ امــــرأً   أَصُـــدُّ عـــن الْخُلُـــقِ الفـــاحِــشِ[2]

---

(١) الجرثومة: الأصل. الناهش: الذي يتناول الشيء بفمه ليأكله أو ليعضه، والمراد نهش العرض باللسان. يفوت: هنا لا تطاله.

(٢) ذاك: اسم الإشارة بدل من المصدر، أي ذاك المتاع. أصد امتنع. الخلق الفاحش: الصفات السيئة.

ـ ٦٣ ـ

وقال ضابِىءُ بن الحارِثِ بن أَرطاةَ البُرجُمِيّ(١)

غَشِيتُ لِلَيْلَى رسَمَ دارٍ ومنزلاً   أَبَى باللِّوَى فالتِّبْرِ أَن يَتحَوَّلاَ(٢)

(١) هو ضابىء بن الحارث بن أرطاة، من بني غالب بن حنظلة من البراجم (نحو ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م) وكان ضابىء ممن أدرك النبي ﷺ. وكان قد استعار كلباً من بني جرول بن نهشل فطال مكثه عنده فطالبوه به فامتنع، فعرضوا له فأخذوه منه فغضب ورمى أمهم به في هجاء شنيع. وكان عثمان بن عفان ممن يحبس على الهجاء، فحبسه ثم استعرضه، فأخذ سكيناً فجعلها في أسفل نعله. فأعلم عثمان بذلك فضربه ورده إلى الحبس فلم يزل فيه إلى أن مات. ولما قتل عثمان جاء ابنه عمير بن ضابىء فرفسه برجله فكسر ضلعين من أضلاعه انتقاماً لمصرع أبيه. ولما كان زمن الحجاج واستعرض أهل الكوفة ليوجههم إلى المهلب. عرض عليه عمير وهو شيخ كبير يرعش كبراً، فقال: أيها الأمير إني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني أفتقبله بديلاً؟ قال: نعم. ثم أخبر الحجاج بخبره فقال: ردوه عليّ. فلما رد قال: أيها الشيخ، هلا بعثت إلى عثمان بديلاً يوم الدار، إن في قتلك لصلاحاً للمسلمين، يا حرسي اضرب عنقه! وسمع ضوضاة فقال: ما هذا؟ قالوا: البراجم، جاءت لتنصر عميراً. قال: أتحفوهم برأسه! فولوا هاربين.

مضمون الأبيات: وقف على الأطلال متمنياً أن تعود الدار عامرة كما في غابر أيامها والمنى جهل وضلالة، وظل يبكي ما كان بها من حي جميع، وفتيان حرب وشتوة. وهو في طريقه ورحلته إلى ذلك المنزل قد قطع تلك الفلوات الموحشة المخيفة يجول فيها الثور، ويحار القطا، قطعها على ظهر ناقة شبهها مرة بالفحل، وأخرى بالظليم، وثالثة بالثور الوحشي الذي تفزعه الرياح والأمطار، فيلجأ إلى حقف الأرطى ولا تزال الأمطار ملحة عليه، فإذا طلع الصباح طلع معه الصائد تصحبه كلابه، ولكن الثور يهتاج وينتصر لنفسه، فيكر على تلك الكلاب في ثورة عارمة، فيصرعها جميعاً، وينجو من ذلك عزيزاً ظافراً.

(٢) رسم الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض. اللوى: موضع. التبر: موضع. غشيت: نزلت.

تكــادُ مَغَــانِيهــا تَقــولُ مــن البِلَــى ... لســائِلِهــا عــن أَهلهــا: لا تَغَيَّــلاَ[١]

وقفــتُ بهــا لا قــاضيــاً لِــيَ حــاجــةً ... ولا أن تُبِيــنَ الــدارُ شيئــاً فــأَســأَلاَ[٢]

سِوَى أنِنـي قـد قلـت: يـا ليـتَ أَهلَهـا ... بها، والمُنَى كانتْ أَضلَّ وأَجهلاَ[٣]

بَكَيْـتَ ومـا يُبكيـكَ مـن رسـم دمنـةٍ ... مُبِنًّــا حَمــامٌ بينَهــا مُتَظلِّــلاَ[٤]

عهـدتُ بهـا الْحَـيَّ الجميعَ فـأَصبحـوا ... أَتَــوْا داعيــاً للَّــهِ عَــمَّ وخَلَّــلاَ[٥]

عَهــدتُ بهــا فتيــانَ حــربٍ وشَتْــوَةٍ ... كــرامــاً يَفُكُّــونَ الأَسيــرَ المكبَّــلاَ[٦]

وكــم دونَ ليلَــى مِــن فَــلاةٍ كــأَنَّمــا ... تَجَلَّــلَ أَعــلاهــا مُــلاَءً مُعَضَّــلاَ[٧]

مهــامــهَ تِيــهٍ مــن عُنيْــزةَ أَصبحــتْ ... تَخَــالُ بهــا القعْقَــاعَ غــارِبَ أَجْــزَلاَ[٨]

مُخَفِّقَــةٌ لا يَهْتَــدِي لِفَــلاَتِهــا ... مـن القـوم إلاَّ مَـن مضَـى وتَـوكَّـلاَ[٩]

يُهــالُ بهــا رَكْــبُ الفــلاةِ مــن الــرَّدَى ... ومِن خوفِ هاديهمْ وما قد تَحمَّلاَ[١٠]

إذا جـال فيهـا الثَّـوْرُ شَبَّهـتَ شخْصَـه ... بجَــوْز الفَــلاةِ بَــرْبَــرِيًّــا مُجَلَّــلاَ[١١]

---

(١) المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل الذي غنى به أهله، أي أقاموا، ثم ظعنوا عنه. لا تغيلا: لا تدخل. البلى: الفناء.

(٢) المعنى: وقفت بالدار لا طمعاً بقضاء حاجة ولا أملاً بأن تجيبني عن سؤالي.

(٣) المعنى: بل كانت أمنيتي أن أرى أهلها فيها والأماني جهل وضلالة.

(٤) الدمنة: آثار الناس وما سودوا. مبناً: مقيماً. بينها: بين مواضع الدمنة. متظلل: يستظل.

(٥) الجميع: المجتمعون. خلل: خصص.

(٦) الشتوة: الشتاء، يريد أنهم أبطال في الحرب أجواد في الشتاء، وهو زمان الجدب عندهم. المكبل: المقيد بالكبل، وهو القيد.

(٧) تجلل الملاء: لبسها. والملاء: جمع ملاءة. المعضل: المخطط على شكل العضل. الفلاة: الأرض.

(٨) المهامه: جمع مهمة، وهو المفازة الواسعة. القعقاع: الطريق لا يسلك إلا بمشقة. الغارب: أعلى مقدم السنام. الأجزل: البعير الذي قطع القتب غاربه.

(٩) مخفقة: يخفق فيها السراب، أي يضطرب.

(١٠) يهال: يخاف. الردى: الموت.

(١١) يجوز الفلاة: أي في وسطها. البربر: جيل من الناس معروف. مجلل: قد جلل بثوب، أي ألبسه، شبه به الثور في بياض ظهره وسواد سائره.

تَقَطَّعَ جُونِيُّ القَطَا دونَ مائِها ... إذَا الآلُ بالبِيدِ البَسَابِسِ هَرْوَلاَ(١)
إذا حَانَ فيها وَقْعَةُ الرَّكْبِ لم تَجِدْ ... بها العِيسُ إلاَّ جِلْدَها مُتَعَلَّلاَ(٢)
قَطَعتُ إلى معروفِها مُنْكَرَاتِها ... إذَا البِيدُ هَمَّتْ بالضُّحَى أن تَغَوَّلاَ(٣)
بأَدْمَاءَ حُرْجُوجٍ كأَنَّ بِدَفِّها ... تهاويلَ هِرٍّ أو تَهَاوِيلَ أَخْيَلاَ(٤)
تَدَافَعُ في ثِنْي الجَدِيلِ وتَنْتَحِي ... إذَا ما غَدَتْ دَفْواءَ في المَشْي عَيْهَلاَ(٥)
تَدَافُعَ غَسَّانِيَّةٍ وَسْطَ لُجَّةٍ ... إذا هِيَ هَمَّتْ يومَ ريحٍ لتُرْسِلاَ(٦)
كأَنَّ بها شيطانةً من نَجَائِها ... إذَا واكِفُ الذِّفْرَي على اللِّيتِ شُلْشِلاَ(٧)
وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرَي وكأَنَّها ... فَنِيقٌ تَنَاهَى عن رحَالٍ فَأَرْقَلاَ(٨)

---

(١) جوني القطا: وهو ضرب من القطا سود البطون والأجنحة وهو أكبر من الكدرى. الآل: السراب. البسابس: القفار.

(٢) الوقعة: النومة في آخر الليل. العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها أعيس والأنثى عيساء.

(٣) أي قطعت ما لا يعرف من هذه الفلاة حتى صرت إلى ما يعرف. تغول: تتغول. أي ليست بينة الطرق فهي تضلل أهلها. وتغولها: اشتباهها وتلونها.

(٤) أدماء: يريد ناقة بيضاء. الحرجوج: الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. الدف: الجنب. التهاويل: ما يهول به. الأخيل: طائر يتشاءمون به، قيل: «هو يقع على دبر البعير، يقال إنه لا ينقر دبر بعير إلا خزل ظهره. وإنما يتشاءمون به لذلك.

(٥) الجديل: الزمام المجدول من أدم، وثنيه: ما انثنى منه. تنتحى تعتمد في سيرها على الجانب الأيسر. الدفواء: الناقة التي تمشي في جانبها، وهو أسرع لها وأحسن. العيهل: الناقة السريعة.

(٦) غسانية: المفهوم أنه يريد سفينة نسبت إلى غسان. لجة البحر: حيث لا يدرك قعره.

(٧) النجاء: السرعة. الذفرى: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن، والواكف: ما يكف أي يسيل، يريد العرق. الليت، بكسر اللام: صفحة العنق. شلشل: من قولهم «شلشلت الماء» أي قطرته متتابعاً.

(٨) الفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان، لكرامته عليهم. تناهى: كف وترك. الرحال: جمع رحل. أرقل: أسرع. السري: السير ليلاً.

وتَنْجُـو إِذَا زَال النهـارُ كمـا نَجَـا هِجَـفٌ أَبُـورَ أَلْيَـنِ رِيـعَ فَـأَجفَـلا[١]

كـأَنِّي كَسَـوْتُ الرَّحْـلَ أَخْنَـسَ نَـاشطـاً أَحَمَّ الشَّوَى فَرْداً بأَجْمَادِ حَوْمَلاَ[٢]

رَعَـى مِـن دَخُـولَيْهـا لُعَـاعـاً فَـرَاقَـهُ لَـدُنْ غُـدوَةً حتَّـى تَـرَوَّحَ مُـوصِـلاَ[٣]

فصَعَّـدَ فـي وَعْسَـائِهـا ثُمَّـتَ انْتَمَـى إلـى أَحْبُـلٍ منهـا وجـاوَزَ أَحبُـلاَ[٤]

فبَـاتَ إلـى أَرطـاةِ حِقْـفٍ تَلُفُّـهُ شـآمِيَّـةٌ تُـذْرِي الجُمَـانَ المُفَصَّـلاَ[٥]

يُـوائِـلُ مِـن وَطْفَـاءَ لـم يَـرَ ليلـةً أَشَـدَّ أَذًى منهـا عليـهِ وأَطـوَلاَ[٦]

وبـاتَ وبـاتَ السـاريـاتُ يُضفْنَـه إلى نَعِجٍ من ضائِنِ الرَّمْلِ أَهْيَلاَ[٧]

شـديـدَ سـوادِ الحـاجبَيْـنِ كـأَنَّمـا أُسِـفَّ صَلَـى نـار فـأَصبـح أَكْحَـلاَ[٨]

---

(١) تنجو: تسرع. زال النهار: ارتفع. الهجف: ذكر النعام الكثير الزف، والزف بكسر الزاي: صغار الريش. الرأل: ولد النعام. ريع: خاف. أجفل: ارتد مذعوراً.

(٢) الأخنس: يريد ثوراً، والخنس: قصر الأنف ولصوقه بالوجه، والبقر كلها خنس. وقد شبه ناقته بهذا الثور. الناشط: الثور الوحشي الذي يخرج من بلد إلى بلد أو من أرض إلى أرض. الأحم: الأسود. الشوى: جماعة الأطراف، وهي اليدان والرجلان والرأس. الأجماد: جمع جمد، وهو ما ارتفع من الأرض. حومل: موضع.

(٣) دخوليها: يريد دخولي حومل، والدخول يطلق على عدة آبار من مياههم. اللعاع: أول النبت، أو كل نبات لين من أحرار البقول فيها ماء كثير لزج. تروح: سار في وقت الرواح، وهو العشي. موصل: وقت الأصيل.

(٤) صعد في الوادي: انحدر فيه. الوعساء: الأرض اللينة ذات الرمل. انتمى: ارتفع. أحبل: جمع حبل وهو القطعة من الرمل الضخمة الممتدة.

(٥) الأرطاة: واحدة الأرطى، وهو شجر ينبت بالرمل يطول قدر قامة، وله نور رائحته طيبة. الحقف: ما اعوج من الرمل. شآمية: ريح من قبل الشأم. الجمان: اللؤلؤ الصغار، وقيل: حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ، شبه به قطرات الماء.

(٦) يوائل: يحاذر يلتمس الملجأ ويطلب النجاة. الوطفاء: السحابة التي فيها استرخاء في جوانبها لكثرة الماء.

(٧) الساريات: السحب التي تسري ليلاً. يضفنه: يلجئنه. نعج: أبيض خالص البياض. ضائن: يقال «رملة ضائنة» وهي العريضة. الأهيل: المنهال الذي لا يثبت.

(٨) الصلى: اسم للوقود. وأسفه: ذر عليه، يريد كأنه ذر على حاجبيه سواد الوقود.

فصَبَّحـــه عِنــد الشُّــروقِ غُــدَيَّــةً — أخُـو قَنَـصٍ يُشْلِـي عِطـافـاً وأَجْبُـلاَ[1]

فلمـــا رأى أَن لا يُحَـــاوِلْـــنَ غيـــرَه — أرادَ ليلقَـــاهُـــنَّ بـــالشَّـــرِّ أَوَّلاَ[2]

فجـــالَ علـــى وَحْشِيِّـــه وكـــأَنَّهَـــا — يَعَـاسِيـبُ صَيْـفٍ إِثْـرَهُ إِذْ تَمَهَّـلاَ[3]

فكَـــرَّ كمـــا كَـــرَّ الحَـــوَارِيُّ يَبْتَغِـــي — إلـــى الله زُلْفَـــى أن يَكُـــرَّ فيُقْتَـــلاَ[4]

وكَـــرَّ ومَـــا أَدْرَكْنَـــه غيـــرَ أَنَّـــه — كـريـمٌ عليـه كِبـريـاءُ فـأَقْبَـلاَ[5]

يَهُـزُّ سِـلاحـاً لـم يَـرَ النـاسُ مثلـه — سِـلاحَ أخـي هَيْجَـا أَدَقَّ وأَعْـدَلاَ[6]

فمَـــارَسَهَـــا حتـــى إذَا احمَـــرَّ رَوْقُـــه — وقـد عُـلَّ مِـن أَجْـوافِهِـن وأُنْهِـلاَ[7]

يُسَـــاقِـــطُ عنـــه رَوْقُـــهُ ضَـــارِيَـــاتِهَـــا — سِقَـاطَ حَـديـدِ القَيْـنِ أَخْـوَلَ أَخْـوَلاَ[8]

فظَـــلَّ سَـــرَاةَ اليَـــومِ يَطْعُـــنُ ظِلَّـــهُ — بـأَطـرافِ مَـدْرِيَّيْـنِ حَتَّـى تَفَلَّـلاَ[9]

وراحَ كسَيـــــفِ الحِمْيَـــــرِيِّ بكَفِّـــــهِ — نَضَـا غِمْـدَهُ عنه وأعطـاهُ صَيْقَـلاَ[10]

وآبَ عَـــزيـــزَ النفـــسِ مَـــانـــعَ لحمِـــه — إِذَا مَـا أَرادَ البُعْـدَ مِنهـا تَمَهَّـلاَ[11]

---

(١) غدية: تصغير غدوة. القنص: الصيد. يشلى: يغري. عطاف وأجبل: اسما كلبين.

(٢) المعنى: لما رأى أنهما يريدانه دون سواه قرر أن يبادر إلى مهاجمتهما.

(٣) الوحشي: الجانب الأيمن، وقيل الأيسر. اليعسوب: أمير النحل وذكرها.

(٤) الحواريون: الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب، وهم أنصار الأنبياء وخلصائهم. زلفى: قربى.

(٥) المعنى: هجم عليهما ولم يتمكنا من النيل منه فهو كريم ظاهر الكبرياء.

(٦) المعنى: يحرك سلاحاً لم ير الناس سلاحاً مثله في الحرب دقة واعتدالاً.

(٧) الروق: القرن. النهل: أول الشرب، والعلل: الشرب الثاني.

(٨) ضارياتها: ضاريات الكلاب. القين: الحداد. أخول أخول: أي متفرقاً، وهما اسمان جعلا اسما واحداً وبنيا على الفتح.

(٩) سراة اليوم: وقت ارتفاع الشمس في السماء. المدريان: مثنى «مدرى» بتشديد الياء، والمراد به القرن. تفلل: تثلم.

(١٠) المعنى: هجم كالحميري يحمل سيفاً قاطعاً.

(١١) المعنى: عاد عزيزاً منتصراً حمى نفسه يسير بكل ثقة وأمان.

ـ ٦٤ ـ

وقـــال:

مَــنْ يَــكُ أَمْسَــى بــالمــدينــة رَحْلُــه فــإنِّــي وقَيَّــارٌ بهــا لَغــريــبُ[١]
فــلا تَجْـزَعَـنْ قَيَّـارُ مِـن حَبْـسِ ليلـةٍ قَضِيَّـةَ مـا يُقْضَـى لنـا فَنَـؤُوبُ[٢]
وما عَاجلاتُ الطَّيْرِ تُدنِي من الْفتَى رَشـاداً ولا عـن رَيْثِهِـنَّ يَخِيـبُ[٣]
ورُبَّ أُمــورٍ لا تَضِيــرُكَ ضَيْــرَةً وللقلـب مـن مَخْشَـاتِهـنَّ وَجِيـبُ[٤]
فــلا خَيْـرَ فيمــنْ لا يُــوَطِّــنُ نفسَــه على نـائبَـاتِ الـدَّهـرِ حيـن تَنـوبُ[٥]
وفـي الشَّـكِّ تفـريـطٌ وفـي الحـزم قُـوَّةٌ ويُخطِىءُ في الحَدْسِ الفَتَى ويُصِيبُ
ولســتَ بمُسْتَبْـقٍ صـديقـاً ولا أخـاً إذَ لـم تَعَـدَّ الشَّـيءَ وهـو يَـريـبُ[٦]

مضمون الأبيات: قال ضابىء هذه الأبيات وهو في حبس عثمان. فهو يشكو ما يلقى هو ودابته من غربة في المدينة. ثم يستشعر الصبر ويأخذ دابته به أيضاً، فإن ما يلقاه الأحياء إنما هو قدر الله وقضاؤه، والناس يفزعون من النوائب قبل حلولها، وإذا وطنوا أنفسهم عليها لم يجدوا لها ذلك الخوف والفزع. ولا خير في الظن، وإنما هو اليقين والحزم. وغفران زلة الصديق مما يستبقيه ويحفظه.

(١) قيار: اسم فرسه، وقيل اسم جمله.

(٢) المعنى: لا تخف يا قيار من حبس ليلة فإذا قضينا المدة نعود إلى ديارنا.

(٣) الطير: هي الطير التي يزجرون، فإن عجلت كان محموداً، وإن أبطأت كان مذموماً. يقول: ليس النجح بأن تعجل الطير، وليس الخيبة في إبطائها، إنما للمرء ما قدر.

(٤) مخشاتهن: خشيتهن. الوجيب: خفقان.

(٥) المعنى: لا خير فيمن لا يتحمل المصائب التي تصيبه.

(٦) لم تعد: لم تتعد، لم تتجاوزه. يريب: من الريبة وهي الشك، يريد: إذا لم تتجاوز عما يريبك من أخيك أو صديقك.

ـ ٦٥ ـ

وقال أبو دُوَادٍ الإِيادِيُّ(١)
[واسمه جاريةُ بن الحجَّاج بن حُذَاقٍ]

مَنَـعَ النَّـومَ مَـاوِيَ التَّهْمَـامُ   وجَـديـرٌ بـالهَـمِّ مَـنْ لا يَنَـامُ(٢)
مـن يَنَـمْ ليلُـهُ فقـد أُعْمِـلُ اللَّيْـ   ـلَ وذُو البَـثِّ سـاهِـرٌ مُسْتَهَـامُ(٣)
هـل تَـرَى مِـن ظعـائـنٍ بـاكـرات   كـالعَـدَوْلـيِّ سَيْـرُهُـنَّ انقِحـامُ(٤)

---

(١) أبو د،،د، جارية بن الحجاج الأيادي: شاعر جاهلي، قيل إن اسمه حنظلة بن الشرقي. وهو أحد نعات الخيل المجيدين، والآخران طفيل والنابغة الجعدي. قالوا: وإنما أحسن نعت الخيل لأنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر. قال الأصمعي: كانت العرب لا تروى شعر أبي داود؛ لأن ألفاظه ليست بنجدية. وكان أبو داود قد جاور كعب بن مامة الإيادي، فكان إذا هلك له بعير أو شاة أخلفها، فضرب العرب المثل به فقالوا: كجار أبي داود. وقيل جار أبي داود هو الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان.

مضمون الأبيات: بث همه وما يعاني في ليله، ثم تخيل ظعائن الحبيبة وصواحباتها فأجرى في ذلك غزلاً طريفاً، ثم ذهب يعتب على كعب بن مامة ما بلغه عنه ثم جعل يرثي من طواه الردى من أقاربه شبابهم وكهولهم، وانتقل انتقالاً إلى نعت إبله وسمنها، ووصفها إذ تقبل وإذ تعرض، وإذ تبدو في غوامض الأرض كالنخيل في سموقها وعلوها، وأنها لجسامتها تستر الجبال والآكام. ثم انتقل إلى وصف خيله وما خاض بها الحروب والأهوال.

(٢) ماوي: أراد: يا ماوية. التهمام: الهم.

(٣) أعمل الليل: أحث المطي وأسوقها في الليل. البث: الحزن والغم. مستهام: ذاهب اللب.

(٤) الظعائن: الإبل عليها هوادج النساء. باكرات: مبكرات. العدولي: السفين المنسوب إلى «عدولي» وهي قرية بالبحرين تنسب إليها السفن. الانقحام: أن يقتحم منزلاً بعد منزل يطويه.

واكِنَـاتٍ يَقْضَمْـنَ مـن قُضُـبِ الضُّـرْ ... مِ ويُشْفَـى بـدَلِّهِـنَّ الهُيَـامُ[١]

وسَبَتْنِـي بَنَـاتُ نَخْلَـةَ لـو كُنْـ ... ـتُ قـريبـاً أَلَـمَّ بـي إلمَـامُ[٢]

يَكْتَبِيـنَ اليَنْجُـوجَ فـي كَبَّـةِ المَشْـ ... ـتَـى وبُلْـهٌ أَحْـلامُهُـنَّ، وِسَـامُ[٣]

ويَصُـنَّ الـوُجـوهَ فـي المَيْسَنَـانِـ ... ـيِّ كما صَـانَ قَـرْنَ شَمْـسٍ غَمَـامُ[٤]

وتَـرَاهُـنَّ فـي الهـوادج كـالغِـزْ ... لانِ مـا إنْ يَنَـالُهُـنَّ السَّهَـامُ[٥]

نَخَـلاتٌ مـن نَخْـلِ بَيْسَـانَ أَيْنَعْـ ... ـنَ جميعـاً ونَبْتُهُـنَّ تُـؤَامُ[٦]

وتَـدَلَّـتْ عَلَـى منـاهِـلِ بُـرْدٍ ... وفُلَيْـجٌ مـن دُونِهَـا وسَنَـامُ[٧]

وأَتَـانـي تَقْحِيـمُ كعـبٍ لـيَ المَنْطِـقَ إنَّ النَّكِيثَـةَ الإِقْحَـامُ[٨]

---

(١) واكنات: جالسات مطمئنات. يقضمن: من القضم، وهو الأكل بأطراف الأسنان والأضراس. قضب: جمع قضيب. الضرم: شجر طيب الريح، أراد بذلك السواك. الهيام: العشاق.

(٢) نخلة: موضع. سبتني: سلبت عقلي.

(٣) يكتبين: يتبخرن بالكباء وهو العود. الينجوج: العود. كبة المشتى: شدة الشتاء ومعظمه. بله أحلامهن. غافلات عن الخنا والخب. وسام: جمع وسيمة، وهي الثابتة الحسن، كأنها قد وسمت.

(٤) الميسناني: ضرب من الثياب، نسبة على غير قياس إلى «ميسان» وهي كورة بين البصرة وواسط.

(٥) السهام: الضمر وتغير اللون وذبول الشفتين.

(٦) بيسان: موضع بالأردن. تؤام: جمع توأم، وهو من الجمع العزيز. شبه الظعائن بالنخل اليانع بالنضر.

(٧) برد، وفليج، وسنام: مواضع.

(٨) التقحيم: أن يجعله يقحم، أي يدخل في الأمر فجأة بغير روية. كعب: هو ابن مامة الإيادي. النكيثة: الخطة الصعبة.

فــي نِظَــامٍ مــا كنــتُ فيــه فــلا يَحْـ ـــزُنْـكَ شـيءٌ، لكـلِّ حسنـاءَ ذَامُ[١]
ولقــد رابَنــي ابــنُ عَمِّــيَ كعــبٌ أنَّــه قــد يَــرُومُ مــا لا يُــرامُ[٢]
غيــرَ ذَنْــبٍ بَنــي كِنَــانــةَ إنِّــي إنْ أُفــارقْ فــإنَّنــي مِجــذَامُ[٣]
لا أَعُــدُّ الإقتــارَ عُــدْمــاً، ولكــنْ فَقْــدُ مَــنْ قَــد رُزِئْتُــهُ الإِعْــدَامُ[٤]
مِــن رجــالٍ مــن الأَقــاربِ فــادُوا مِــن حُــذَاقٍ هــمُ الــرّؤوسُ العِظَــامُ[٥]
فَهُــمُ لِلمُــلاَئِميــنَ أَنَــاةٌ وعُــرامٌ إذَا يُــرَادُ العُــرَامُ[٦]
وسَمَــاحٌ لَــدَى السنِيــنَ إذَا مــا قَحَــطَ القَطْــرُ واسْتَقــلَّ الــرِّهَــامُ[٧]
ورجــالٌ أَبــوهُــمْ وأَبــى عَمـ ـرٌو وكعبٌ، بيضُ الوجوه جِسَامُ[٨]
وشبَــابٌ كــأَنَّهــمْ أُسْــدُ غِيــلٍ خــالطَــتْ فَــرْطَ حَــدِّهِــمْ أَحــلامُ[٩]
وكهــولٌ بَنَــى لهــمْ أَوَّلُــوهُــمْ مَــأْثُــرَاتٍ يَهَــابُهَــا الأَقْــوَامُ[١٠]
سُلِّــطَ الــدَّهْــرُ والمَنُــونُ عَلَيهِــمْ فَلَهُــمْ فــي صَــدَى المقــابــرِ هَــامُ[١١]

---

(١) في نظام يعني رماني بأمر ما كنت في جنسه، يقال: فلان في ذلك النظام أي في تلك الطريقة. ذام: عيب.

(٢) رابني: أثار ريبتي وشكوكي. يروم ما لا يرام: يطلب ما لا يُطلب.

(٣) مجذام: قطاع ماض.

(٤) الإقتار: قلة المال وضيق العيش. العدم والإعدام: الفقر. رزئته: فقدته.

(٥) فادوا: ماتوا، فاد يفيد فيداً، إذا مات. حذاق: قبيلة من إياد.

(٦) الملائمون: الموافقون. أناة: تأن ورفق. العرام: الشدة والقوة والشراسة.

(٧) استقل: ارتحل. الرهام: الأمطار الضعيفة، الواحدة رهمة، بكسر الراء، أراد القحط وامتناع المطر. الأحلام: العقول.

(٨) يفتخر بقومه مشيراً إلى بيض وجوههم وضخامة أجسامهم.

(٩) الغيل: الأجمة، وهي الشجر الكثير الملتف. الحد: الحدة والغضب، وفرطها: غلبتها وإسرافها.

(١٠) المعنى: يفتخر بكهول قومه ويرى أن جدودهم بنوا لهم مآثر يحسب الناس لها حساباً.

(١١) الهام: جمع هامة، وكانوا يزعمون أن عظام الميت، وقيل روحه، تصير هامة فتطير، ويسمونه الصدى. المنون: الموت.

وكَـــذاكُـــمْ مَصِيـــرُ كـــلِّ أُنَـــاسٍ سـوفَ، حقًّـا، تُبْلِيهـمُ الأَيَّـامُ(١)

فعَلَـى إثْـرِهِـمْ تَسَـاقَـطُ نفسِـي حَسَـرَاتٍ وذِكْـرُهـم لـي سَقَـامُ(٢)

إبلـي الإبْـلُ لا يُحَـوِّزهـا الـرَّا عُـونَ مَـجُّ النَّـدَى عليهـا المُـدَامُ(٣)

وتَـدَلَّـتْ بهـا المَغَـارِضُ فـوقَ الـ أَرضِ مـا إنْ تُقِلُّهُـنَّ العِظَـامُ(٤)

سَمِنَـتْ فـاسَحَـشَّ أكْـرُعُهَـا، لا الـ نَّـيُّ نَـيٌّ ولا السَّنَـامُ سَنَـامُ(٥)

فـإذَا أَقْبَلَـتْ تَقُـولُ إكَـامٌ مُشْـرِفـاتٌ فَـوْقَ الإكَـامِ إكَـامُ(٦)

وإذَا أَعْـرَضَـتْ تقـولُ قُصُـورٌ مِـنْ سَمَـاهِيـجَ فـوقَهـا آطَـامُ(٧)

وإذَا مـا فَجِئْتَهَـا بَطْـنَ غَيْـبٍ قلـتَ نَخْـلٌ قـد حـانَ منها صِـرَامُ(٨)

وهْـيَ كـالبَيْـضِ فـي الأَدَاحـيِّ مـا يُـو هَـبُ منهـا لِمُسْتَتِـمٍّ عِصَـامُ(٩)

غيـرَ مـا طَيَّـرَتْ بـأَوبـارهـا الفَقْـ ـرَةُ فـي حيـثُ يَسْتَهِـلُّ الغَمَـامُ(١٠)

---

(١) المعنى: الموت مصير كل الناس. تبلي: تفني.

(٢) المعنى: كلما تذكرت موتى قومي تساقطت نفسي حسرات.

(٣) لا يحوزها: لا يجمعها، أي لكثرتها تبقى في البرية. مج الندى: ما يمجه، يريد ماءه. المدام: الذي يدوم.

(٤) المغارض: جمع مغرض وهو جانب البطن أسفل الأضلاع، التي هي مواضع الغرض من بطونها، والغرض: حزام الرجل. عنى أنها سمينة عظيمات البطون. تقلهن: تحملهن،

(٥) استحش: استدق. النيّ: الشحم. وإنما تستدق أكرعها في رأي العين،، ليس ذلك لأن العظام تستدق بالشحم.

(٦) المعنى: تحسبها لكثرتها وضخامتها تلالا فوق تلال.

(٧) سماهيج: جزيرة في وسط البحر بين عمان والبحرين. الآطام: جمع أطم وهو الحصن المبنى بالحجارة وهو يستمر في تبيان عظمة إبله.

(٨) بطن غيب: في بطن غيب، والغيب: ما اطمأن من الأرض. الصرام: جداد النخل، أي قطع ثمرتها واجتناؤها.

(٩) الأداحي: جمع أدحى، وهو الموضع الذي تبيض فيه النعامة. المستتم: الذي يطلب الصوف والوبر ليتم به نسج كسائه، والموهوب تمة، أي هذه الإبل كالبيض في الصيانة، وقيل في الملاسة، لا يوهب منها لمستتم، أي لا يوجد فيها ما يوهب، لأنها قد سمنت وألقت أوبارها، أو لا يوهب منها لعزتها على أهلها. العصام: خيط القربة.

(١٠) الفقرة: نبت. يريد أنها سمنت من رعي هذا النبت فطارت عنها أوبارها. يستهل: يمطر.

فهْـيَ مـا إنْ تُبيـنُ مِـن سَلَـفٍ أرْ ... عَـنَ طَـوْدٍ لِسَـرْبـهِ قُـدَّامُ[1]
مُكْفَهـرٍّ علـى حـواجبـه يَغْـ ... ـرَقُ فـي جَمْعِـهِ الْخَمِيسُ اللُّهَامُ[2]
فـارسٌ طـاردٌ ومُلتَقِـطٌ بَيْـ ... ـضاً وخَيـلٌ تَعْـدُو وأُخْـرَى صِيَامُ[3]
قـد بَـرَاهُـنَّ غِـرَّةُ الصَّيْـدِ والإعْـ ... ـدَاءُ حتـى كـأَنَّهـنَّ جِـلامُ[4]
قـد تَصَعْلَكْـنَ فـي الـرَّبيـعِ وقـد قَـ ... ـرَّعَ جلْـدَ الفَـرَائِـضِ الأَقْـدَامُ[5]
جـاذيـاتٌ علـى السَّنـابـكِ قـد أَفْـ ... ـزَعَهـنَّ الإسـراجُ والإلْجـامُ[6]
لَجِـبٌ تُسْمَـعُ الصَّـواهِـلُ فيـه ... وحَنِيـنُ اللِّقـاحِ والإرْزامُ[7]
بعُـرًى دُونَهـا وتُقْـرَنُ بـالْقَيْـ ... ـظِ وقـد دلَّـهَ الـرِّبَـاعَ البُغَـامُ[8]

---

(١) السلف: المتقدم، أراد به هنا المتقدم من الجبل. الأرعن: الجبل الذي له رعن، بسكون العين، وهو الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً. السرب، بكسر السين وفتحها: الطريق. يريد أن هذه الإبل لعظمها تستر الجبل.

(٢) مكفهر: يضرب لونه إلى الغبرة. حواجبه: نواحيه وحروفه. الخميس: الجيش. اللهام: الجيش الكثير، كأنه يلتهم كل شيء.

(٣) صيام: قيام. تعدو: تركض.

(٤) الإعداء: حملها على الجري والعدو. والجلام: جمع جلم، وهو الجدي، شبهها بها لضمرها.

(٥) تصعلكن: دققن وطار شعرها عنها. التقريع: قص الشعر وإزالته. الفرائض: جمع فريضة، وهي موضع قدم الفارس.

(٦) جاذيات: ثابتات قائمات. الإسراج: وضع السرج على الدابة. الإلجام: وضع اللجام.

(٧) لجب: يريد عسكراً لجباً، وهو العرمرم ذو اللجب والكثرة، واللجب: الصوت والصياح. اللقاح: جمع لقحة، وهي ذوات الألبان من الإبل. الإرزام: صوت تخرجه الناقة من حلقها لا تفتح به فاها.

(٨) دلهها: أذهب فؤادها. الرباع: جمع ربع، وهو الفصيل ينتج في الربيع. البغام: أن تقطع الناقة الحنين ولا تمده.

ـ ٦٦ ـ

وقال أيضاً يصف فَرَساً

ودارٍ يقــــولُ لهـــا الـــرَّائــــدُو ... نَ ويــــلُ أمِّ دارِ الْحُـــذاقـــيّ دَارَا[١]
فلمَّـــا وضَعْنَـــا بهــــا بَيْتَنَـــا ... نَتَجْنَـا حُــوَاراً وصِــدْنـا حِمَـارَا[٢]
وبـــاتَ الظَّلِيـــمُ مكـــانَ المِجَـ ... ـــنِّ تَسْمَــعُ بـالليـل منه عِـرَارَا[٣]
وراحَ علينـــا رِعــــاءٌ لَنـــا ... فقـالــوا: رأَيْنـا بهَجْـلٍ صُــوَارَا[٤]
فبِتْنَـــا عُـــرَاةً لَـــدَى مُهْــرِنَـــا ... نُنَــزِّعُ مــن شَفَتَيْــهِ الصُّفَــارَا[٥]
وَبِتْنَـــا نُغَـــرِّثُـــه بـــاللِّجَـــام ... نُــريــدُ بــه قَنَصــاً أَو غِــوَارَا[٦]
فلمَّـــا أَضَـــاءَتْ لَنَـــا سُـــدْفَـــةٌ ... ولاحَ مــن الصُّبْـحِ خَيـطٌ أَنــارَا[٧]
عَــدَوْنـــا بـــه كَسِـوَارِ الهَلُـــو ... كِ مُضْطَمِـراً حَـالِبَـاهُ اضْطِمَـارَا[٨]

مضمون الأبيات: يصف منزلاً من منازل البادية، وهو منزل آهل بالوحش، وقد اعتزم الصيد وأعد فرسه لذلك، وهو فرس منعوت، فامتطاه الغلام في أول الصبح وتمكن من إحراز صيد كثير.

(١) الحذاقي: يعني نفسه، نسبة إلى قبيلته حذاقة. الرائدون: الزوار.
(٢) نتجنا: ولدنا وولينا نتاج الناقة. الحوار: ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم ويفصل.
(٣) الظليم: ذكر النعام. المجن: الترس. العرار: صوت الظليم.
(٤) الهجل: الغائط يكون بين الجبال مطمئناً موطئه صلب. الصوار: القطيع من البقر.
(٥) عراة: جلوس. الصفار: نبت له شوك.
(٦) نغرثه: نجوعه. الغوار: الغارة، وهو مصدر «غاور» كالمغاورة.
(٧) السدفة ههنا: الضوء، وهي من الأضداد، تقال للظلمة أيضاً.
(٨) الهلوك: المرأة الفاجرة المتساقطة على الرجال. مضطمر: ضامر. الحالبان: عرقان يكتنفان السرة إلى البطن.

مَــرُوحــاً يُجَــاذِبُنَــا فــي القِيَــاد تَخَــالُ مــن القَــوْدِ فيــه اقْــورَارَا[1]

ضَــرُوحَ الْحَمَــاتَيْــنِ سَــامــي التَّلِيــل وَثُــوبــاً إِذَا مَــا انْتَحَــاهُ الخَبَــارَا[2]

فلمَّــــا عَــــلاَ مَتْنَتَيْــــهِ الغُــــلامُ وسَكَّــــن مــــن آلِــــهِ أَنْ يُطَــارَا[3]

وسُــــرِّحَ كــــالأَجْــــدَلِ الفَــــارسِــ ــيِّ فــي إِثْــر سِــرْبٍ أَجَــدَّ النِّفَــارَا[4]

فصَــــادَ لَنَــــا أَكْحَــــلَ المُقْلَتَــ ــيْــن فَحْــلاً وأُخْــرَى مَهَــاةً نَــوَارَا[5]

وعَــادَى ثَــلاثــاً فَخَــرَّ السِّنَــا نُ إِمَّــا نُصُــولا وإِمَّــا انكســارَا[6]

أَكُــلَّ امــرىءٍ تَحْسَبِيــنَ امــرأً ونــارٍ تَــوقَّــدُ بــالليــل نَــارَا[7]

---

(١) مروحاً: وصف من المرح، وهو النشاط والخفة. القياد: الحبل الذي يقاد به. القود: نقيض السوق، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها. الاقورار: تشنج الجلد وانحناء الصلب هزالاً وكبراً. تخال: تحسب.

(٢) الضروح: الفرس النفوح برجله. الحماتان: اللحمتان اللتان في عرض الساق تريان كالعصبتين من ظاهر ومن باطن. سامي التليل: مرتفع العنق. انتحاه: قصده. الخبار: ما لان من الأرض واسترخى. يريد أنه يثب في الخبار إذا ما قصده.

(٣) المتنتان: مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم. آله، آل كل شيء: شخصه.

(٤) الأجدل: الصقر، صفة غالبة، وأصله من الجدل الذي هو الشدة. النفارا: الهرب.

(٥) المهاة: البقرة الوحشية. النوار: النفور. يريه أنه صاد ثوراً وبقرة.

(٦) عادى ثلاثاً: وإلى بينها قتلاً ورمياً، يصرع أحدها على أثر الآخر في طلق واحد. النصول: خروج النصل من الرمح.

(٧) المعنى أو تظنين أن كل رجل هو رجل بالفعل وأن كل نار تضرم في الليل هي نار فعلاً!!.

— ٦٧ —

وقال مالك بن نُوَيرة[(١)]

إلاَّ أَكُـــنْ لاقيـــتُ يـــومَ مُخَطِّـــطٍ فقــد خَبَّــرَ الــرُّكبــانُ مــا أَتــودَّدُ[(٢)]

أَتَــانِــي بنَفْــرِ الْخَيْــرِ مــا قــد لَقِيتُــه رَزيــنٌ وركــبٌ حــولَــه مُتَعَضِّــدُ[(٣)]

---

(١) هو مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وهو أخو متمم. وكان يقال لمالك «فارس ذي الخمار» وهو اسم فرسه. وكان مالك قد أسلم قبل وفاة الرسول ﷺ، وكان عريف ثعلبة بن يربوع، فقبض رسول الله وإبل الصدقة برحرحان، فجمع مالك جمعاً نحواً من ثلاثين فأغار عليها فاقتطع منها ثلاثمائة، واعترف بذلك في شعره، فلما قام أبو بكر وبلغه قوله بعث إليه خالد بن الوليد فرأى منه ما استوجب قتله عنده فقتله. وكان مالك شاعراً شريفاً فارساً معدوداً في فرسان بني يربوع، وكان من أرداف الملوك.

مضمون الأبيات: يقص مالك هنا ما كان يوم «مخطط»، وهو يوم في الجاهلية كان لبني يربوع على بكر بن وائل، وهو يوم لم يشهده مالك وإنما خبره به الركبان، وقد صور في قصيدته ما سقط في سمعه وما أداه إليه خياله الشاعر من مواقف قومه الماجدة، ومصارع أعدائه. ونستطيع أن نجعل هذه القصيدة في عداد الملحمات الرائعة التي سجلها الشعر الجاهلي.

(٢) مخطط، بكسر الطاء المشددة: موضع كان به يوم من أيامهم. يريد أنه وإن لم يلاق أعداءه ذاك اليوم فقد أتته عنه الأنباء بما يجب.

(٣) المعنى: أتاني خبر النصر وكيف التف قومي لتحقيقه.

يُهلّـــون عُمَّـــاراً، إذَا مـــا تَغَـــوَّرُوا ولاقَـوْا قُـرَيْشاً خَبَّـروهـا فـأَنْجَـدُوا[١]
بـــأبنـــاءِ حَـــيٍّ مـــن قَبَـــائِـــلِ مـــالـــكٍ وعمرِو بن يَرْبُوعٍ أَقاموا فَأَخْلَدُوا[٢]
وردَّ عليهـــم سَـــرحَهـــم حـــولَ دارهـــم ضِنَـاكـاً ولـم يَستـأْنِـفِ المتـوحِّـدُ[٣]
حُلُـــولٌ بفِـــردَوسِ الإِيـــادِ وأَقبلـــتْ سَـرَاةُ بنـي البَـرشَـاءِ لَمَّـا تـأَوَّدُوا[٤]
بـــألفيـــن أَو زادَ الخميـــسُ عليهمـــا لِينتـزعـوا عِـرقـاتِنَـا ثـم يُـرغِـدُوا[٥]
ثَـــلاَثَ ليـــالٍ مـــن سَنَـــامٍ كـــأَنَّهـــم بَـريـدٌ، ولـم يَثْـوُوا ولـم يَتَـزَوَّدُوا[٦]
وكـــانَ لهـــم فـــي أَهْلِهـــم ونســـائِهـــم مَبيتٌ، ولم يَدْرُوا بما يُحـدِثُ الغَدُ[٧]
فلمَّـــا رأَوا أَدْنَـــى السِّهَـــام مُعـــزِّبـــاً نَهاهم، فلم يَلْوُوا على النَّهْيِ أَسوَدُ[٨]
وقـــال الـــرئيـــسُ الْحَـــوفَـــزَانُ: تَلَبَّبُـــوا، بَنى الحِصْن، إذْ شَارَفْتُمُ ثم جَدِّدُوا[٩]
فمـــا فَتِئـــوا حتـــى رَأَونـــا كَـــأَنَّنَـــا مـع الصُّبـح آذِيٌّ مـن البحـرِ مُـزبِـدُ[١٠]

---

(١) يهلون: الإهلال رفع الصوت بالتلبية في الحج أو العمرة. عماراً: معتمرين. تغوروا: أتوا الغور، وهو غور تهامة. أنجدوا: أتوا نجداً.
(٢) اخلدوا: أقاموا.
(٣) السرح: الإبل الراعية. الضناك: الموثق الخلق الشديد، يكون ذلك في الناس والإبل، الذكر والأنثى فيه سواء. المتوحد: المنفرد. لم يستأنف: لم يبتدىء رعياً، والمعنى: ليس فيها منفرد يرعى وحده.
(٤) فردوس الإياد: روضة في ديار بني يربوع. بنو البرشاء: هم ذهل وشيبان وقيس أبناء ثعلبة، والبرشاء لقب أمهم لبرص أصابها. تأودوا: تثنوا. سراة: أعيان.
(٥) عرقاتنا: شأفتنا. يرغدوا: يخصبوا أو يصيبوا عيشاً واسعاً.
(٦) سنام: جبل بين البصرة واليمامة. البريد: الرسول، يريد أنهم يواصلون السير. لم يثووا: الثواء: الإقامة. يتزودوا: يأخذوا زاداً.
(٧) المعنى: كانوا بين أهلهم ونسائهم غافلين عما يخبئه لهم الغد.
(٨) معزباً: بعيداً. أسود: اسم رجل بعينه. يلووا: هنا بمعنى يأخذوا بنهيه.
(٩) الحوفزان: هو الحرث بن شريك الشيباني. تلببوا: لبسوا السلاح وتشمروا للقتال.
(١٠) الآذى: الموج. مزبد: هائج يقذف الزبد.

بملمـومَـةٍ شَهبـاءَ يَبـرُقُ خـالُهـا تَرَى الشمسَ فيها حينَ ذَرَّتْ تَوَقَّدُ[١]
فمـا بَـرِحُـوا حتَّـى عَلَتْهـمْ كتـائـبٌ إذا لَقِيَـتْ أَقـرانَهـا لا تُعَـرِّدُ[٢]
ضَمَمْنـا عليهـم طـايَتَيْهـمْ بصـائـبٍ من الطَّعن حتى استأْسَروا وتَبَدَّدُوا[٣]
بسُمْـرٍ كـأَشطـان الجَـرُورِ نـواهـلٍ يَجُـورُ بهـا زَوُّ المنـايَـا ويَقْصِـدُ[٤]
تَـرَى كـلَّ صَـدْقٍ زاعِبـيٍّ سِنـانُـه إذَا بَلَّـهُ الأَنْـدَاءُ لا يتـأَوَّدُ[٥]
يَقَعْـنَ معـاً فيهـم بـأَيـدي كُمـاتِنَـا كـأَنَّ المَنُـونَ لـلأَسِنَّـة مَـوعِـدُ[٦]
تُـدِرُّ العـروقَ الآبيَـاتِ ظُبَـاتُنـا وقـد سَنَّهـا طَـرٌّ ووَقْـعٌ ومِبْـرَدُ[٧]
فـأَقْـرَرتُ عَيني حيـن ظَلُّـوا كـأَنَّهـم ببطـن الإيـادِ خُشْـبُ أَثْـلٍ مُسَنَّـدُ[٨]
صَـريـعٌ عليـه الطَّيـرُ تَنْتِـخُ عَيْنَـه وآخـرُ مكبـولٌ يَمِيـلُ مقيَّـدُ[٩]
لَـدُنْ غُـدْوَةٍ حتَّـى أَتَـى الليـلُ دونَهـم ولا تَنْتَهـي عـن مِلْئِهـا منهُـمُ يَـدُ[١٠]

---

(١) ملمومة: يريد كتيبة مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض. شهباء: بيضاء لما فيها من بياض السلاح والحديد. الخال: اللواء.
(٢) لا تعرد: لا تفر.
(٣) طايتاهم: جانباهم. وقيل: جاءت الإبل طايات أي قطعاناً واحدها طاية. استأسروا: وقعوا في الأسر. تبددوا: تفرقوا.
(٤) الجرور من الركايا والآبار: البعيدة القعر. وقيل الجرور: بئر طويلة. وأشطانها: حبالها، يشبهون بها الرماح. زوّ المنايا: أحداثها.
(٥) الصدق: الرمح البالغ غاية الجودة. الزاعبي: منسوب إلى زاعب، رجل من الخزرج، كان يعمل الأسنة. لا يتأود: لا يتثنى ولا يتعوج.
(٦) الكماة: الفرسان. المنون: الموت. الأسنة: الرماح.
(٧) الظبات: جمع ظبة، وهي حد السيف والسنان ونحوهما. الطر: التحديد. الوقع: التحديد بالميقعة، وهي المطرقة أو المسن الطويل. الآبيات: الرافضات.
(٨) بطن الإياد: موضع بالحزن لبني يربوع بين الكوفة وفيد. الأثل: شجر الطرفاء، له أصول غليظة.
(٩) تنتخ: تنزع وتقلع. المكبول: المقيد بالكبل، وهو القيد.
(١٠) المعنى: عملنا فيهم قتلاً من الصباح وحتى هبوط الليل.

فـأَصْبَـحَ منهـم يـومَ غِـبِّ لقـائِهـم   بِقِيقَـاءَةِ البُـرْدَيْـن فَـلٌّ مُطَـرَّدُ[1]
إِذَا مـا اسْتَبَـالُـوا الخيـلَ كـانـت أَكُفُّهـمْ   وقـائـعَ لـلأَبـوالِ، والمـاءُ أَبْـرَدُ[2]
كــأَنهــمُ إِذْ يَعْصِــرُونَ فُظُــوظَهــا   بـدِجلـةَ أَو فَيْـضِ الْخُـرَيبـةِ مَـورِدُ[3]
وقـد كـان لابـنِ الْحَـوفَـزَان لـو انتَهَـى   سُـوَيْـدٌ وبسْطَـامٌ عـن الشَّـرِّ مَقْعَـدُ[4]

(١) غب لقائهم، أي بعده. القيقاءة: الأرض الغليظة. والبردان: غديران بنجد. فل مطرد: جمع مهزوم.
(٢) يقول: كانوا في فلاة فاستبالوا الخيل في أكفهم فشربوا أبوالها من العطش. الوقائع: جمع وقيعة، وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.
(٣) الفظوظ: جمع فظ، وهو الماء يخرج من الكرش، لغلظ مشربه. الخريبة: موضع بالبصرة.
(٤) سويد: هو شريك بن الحوفزان، قتله شهاب بن الحارث يوم مخطط. وأما بسطام فهو بسطام بن قيس، أحد فرسان بكر بن وائل، وقد هرب عند هزيمة بكر.

ـ ٦٨ ـ

وقال قيسُ بنُ الخَطِيم(١)

رَدَّ الْخَلِيــطُ الجِمـــالَ فـــانصَــرَفُــوا ... مـــاذَا عليهـــمْ لـــوْ أنَّهـــمْ وَقَفُـــوا(٢)
لـــو وَقفُـــوا ســـاعـــةً نُســـائِلُهـــم ... ريـــثَ يُضَحِّـــي جِمـــالَـــه السَّلَـــفُ(٣)
فيهـــمْ لَعُـــوبُ العِشـــاءِ آنِسَـــةُ الـ ... ـــدَّلِّ عَـــرُوبٌ يَسُـــوؤُهـــا الخُلُـــفُ(٤)
بيـــنَ شُكُـــولِ النســـاءِ خِلْقَتُهـــا ... قَصْـــدٌ، فـــلا جَبْلَـــةٌ ولا قُضُـــفُ(٥)

---

(١) هو قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي أبو يزيد (نحو ٢ ق.هـ/ ٦٢٠ م). كان شاعر الأوس، وأحد صناديدها وبينه وبين حسان بن ثابت منافسات، وذكر أصحاب المغازي أنه قدم مكة فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام وتلا عليه القرآن فقال: إني لأسمع كلاماً عجباً فدعني أنظر في أمري هذه السنة ثم أعود إليك؛ فمات قبل الحول. أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما وقال في ذلك شعراً.

مضمون الأبيات: يقولها في حرب كانت بينهم وبين بني جحجبى وبني خطمة، ولم يشهدها قيس ولا كانت في عصره، وإنما أجاب بذكرها شاعراً منهم يقال له درهم بن زيد بن ضبيعة.

وقد صدر قصيدته بالنسيب ثم ذكر أن قتالهم لبني جحجبى وخطمة، وهم بنو عمومتهم، إنما اضطروا إليه اضطراراً، فقد كان الحنين إليهم يخالط القسوة عليهم. ثم فخر بقومه وكثرتهم وعزتهم وسطوتهم في الحروب.

(٢) الخليط: القوم الذين أمرهم واحد. وكثر في أشعارهم ذكر الخليط لأنهم كانوا ينتجعون أيام الكلأ فتجتمع منهم قبائل شتى. ردوا جمالهم من الرعي ليرتحلوا.

(٣) ضحى جماله: رعاها بالضحى. السلف: القوم المتقدمون ينفضون الطرق.

(٤) العروب: الضحاكة، والمتحببة إلى زوجها. الخلف: عدم الوفاء بالوعد.

(٥) شكول: جمع شكل، وهو الضرب والشكل غنج المرأة وغزلها وحسن دلها. القصد: الوسط بين الطرفين. الجبلة، الغليظة، والقضف: النحيفة.

تَغْتَـــرِقُ الطَّـــرْفَ وهْـــيَ لاهيـــةٌ ... كـــأنَّمـــا شَـــفَّ وجهَهـــا نُـــزَفُ[1]
قَضَـــى لهـــا اللَّـــهُ حيـــن صَـــوَّرَهـــا الـ ... ـخـــالـــقُ أَن لا يُكِنَّهـــا سَـــدَفُ[2]
تَنَـــامُ عـــن كُبْـــرِ شَـــأْنِهـــا فـــإذا ... قـــامـــتْ رُوَيْـــداً تكـــادُ تَنْغَـــرِفُ[3]
حَـــوْرَاءُ جَيـــداءُ يُسْتضـــاءُ بهـــا ... كـــأَنَّهـــا خُـــوطُ بـــانـــةٍ قَصِـــفُ[4]
تَمشِـــي كمَشْـــيِ الـــزَّهـــراءِ فـــي دَمَـــثِ الـ ... ـــرَّمـــلِ إلـــى السَّهـــلِ دُونـــه الجُـرُفُ[5]
ولا يَغُـــثُّ الحـــديـــثُ مـــا نَطَقَـــتْ ... وهـــو بفيهـــا ذُو لَـــذَّةٍ طَـــرِفُ[6]
تَخْـــزُنُـــه وهـــو مُشْتَهَـــى حَسَـــنٌ ... وهـــو إذَا مـــا تكلَّمَـــتْ أُنُـــفُ[7]
كـــأَنَّ لَبَّـــاتِهـــا تَضَمَّنَهـــا ... هَـــزْلَـــي جَـــرادٍ أَجْـــوَازُه جُلُـــفُ[8]
كـــأَنَّهـــا دُرَّةٌ أَحـــاط بهـــا الـ ... ـغَـــوَّاصُ يَجْلُـــو عَـــن وجهِهـــا صَـــدَفُ[9]
يـــا رَبِّ لا تُبْعِـــدَنْ ديـــارَ بنـــي ... عُـــذْرَةَ حيـــثُ انصـــرفـــتُ وانصـــرفُـــوا[10]
واللَّـــهِ ذي المسجِـــدِ الحـــرامِ ومـــا ... جُلِّـــلَ مـــن يُمْنَـــة لهـــا خُنُـــفُ[11]

---

(١) تغترق الطرف: تشغله بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها؛ لحسنها. النزف، بضم النون: الضعف الحادث عن النزف.
(٢) السدف: ظلمة الليل. يقول: إذا كانت في ظلمة أبصرت ولم تسترها الظلمة، لإشراقها.
(٣) عن كبر شأنها، أي لكبر شأنها، أي لا تنهض لحاجتها، هي مخدومة. تنغرف: تسقط.
(٤) الحور: شدة بياض العين وشدة سوادها. والجيداء: الطويلة العنق في حسن. والبان: شجر. والخوط: الغصن. قصف: ضعيف ناعم يتثنى.
(٥) الزهراء البقرة الوحشية. الجرف: ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض. الدمث: اللين الرقيق.
(٦) حلوة الحديث مهما أطالت لجمالها وفهمها.
(٧) أراد بالأنف: الطريف والمقصود الحديث.
(٨) اللبة: وسط الصدر والمنحر. هزلي جراد: هو شيء يصاغ على هيئة أوساط الجراد. الجلف: جمع جليف، وهو الذي قشر. والمعنى: كأنه شبه الحلي الذي على لبتها بجراد لا رؤوس لها ولا قوائم.
(٩) يجلو، من الجلاء، وأصله الخروج من البلد.
(١٠) المعنى: يدعو الله ألا يبعده عن ديار بني عذرة.
(١١) جلل: كسى. اليمنة: ضرب من برود اليمن. الخنف: لها جوانب وحواشي.

إنِّـي لأَهـواكِ غَيـرَ كـاذبـةٍ قـد شُـقَّ مِنِّي الأَحشـاءُ والشَّغَـفُ[(١)]
بـل ليـتَ أَهلـي وأَهْـلَ أَثْلَـةَ فـي دَار قَـريـبٍ مـن حيثُ يُخْتَلَـفُ[(٢)]
هَيهـاتَ مَـنْ أَهلُـه بيثـربَ قـد أمسَـى ومَـن دونَ أَهلِـه سَـرِفُ[(٣)]
أَبْلِـغْ بنـي جَحْجَبَـى وقـومَهُـمُ خَطْمَـةَ أَنَّـا وراءَهـم أُنُـفُ[(٤)]
وأَنَّنَـا دونَ مـا يَسُـومُهُـمُ الْـ ـأعـدَاءُ مـن ضَيْـمِ خُطَّـة نُكُـفُ[(٥)]
إنَّـا ولـو قَـدَّمُـوا الـذي عَلِمُـوا أَكبـادُنـا مِـن ورائهـم تَجِـفُ[(٦)]
نَفْلـي بِحَـدِّ الصَّفيـحِ هـامَهُـمُ وفَلْيُنَـا هـامَهـم بهـا عُنُـفُ[(٧)]
لمَّـا بَـدَتْ غُـدْوَةً وجـوهُهـمُ حَنَّـتْ إلينـا الأَرحـامُ والصُّحُـفُ[(٨)]
لَنَـا مـع أجَـامِنَـا وَحَـوْزَتِنَـا بيـنَ ذُرَاهـا مَخَـارِفٌ دُلُـفُ[(٩)]
يَـذُبُّ عنهـنَّ سـامِـرٌ مَصِـعٌ سُـودَ الغَـوَاشِـي كـأَنَّهـا عُـرُفُ[(١٠)]
كَقِيلِنَـا للمقـدَّمِيـنَ: قِفُـوا عـن شَـأْوِكُـمْ، والْحِـرَابُ تَختلـفُ[(١١)]
يَتْبَـعُ آثـارَهـا إذَا اخْتُلِجَـتْ سُخْـنٌ عَبِيـطٌ عُـرُوقُـه تَكِـفُ[(١٢)]

---

(١) الكاذبة: غير ذي كذب. الشغف، بضمتين: جمع شغاف، بالفتح، وهو غلاف القلب؛ وبفتحتين: غلاف القلب. شف: برى.
(٢) أثلة: اسم صاحبته. يختلف، الاختلاف: التردد.
(٣) سرف، وهو موضع على نحو ستة أميال من مكة. يثرب: المدينة.
(٤) بنو جحجبى وبنو خطمة: بطنان من الأوس. أنف: جمع أنوف، وهو الشديد الأنفة.
(٥) نكف: نستنكف لهم. الضيم: الأذى. يسومهم: ينزل بهم.
(٦) تجف، من الوجيف، وهو الاضطراب.
(٧) فلى رأسه: ضربه وقطعه. الصفيح، أراد به السيوف العريضة بها، أي بالصفيح.
(٨) المعنى: لما تعرفنا إلى وجوههم صباحاً تذكرنا القرابة والرحم.
(٩) الآجام: الحصون. المخارف: جمع مخرف، وهو الحائط يخرف منه الرطب وقيل الاختراف لقط التمر. دلف: أي تدلف بحملها تنهض به.
(١٠) سامر: رجل أو قوم يسمرون ليلاً. المصع: الشديد، واللاعب بالمخراق. سود الغواشي: يعني الغربان. عرف: يريد عرف فرس في تتابعها وكثرتها.
(١١) يذب: يدافع.
(١٢) اختلجت: جذبت. يقول: يتبع آثار الجراحات دم سخن. العبيط: الطري. تكف: تنزف.

- ٦٩ -

وقال المفضَّلُ النُّكْرِيُّ (١)

[من عبد القيس. وقال غير الأصمعيّ: لعامر بن أسحم بن عديّ بن شيبان بن سويد بن عُذرة بن منبِّه بن نُكرة بن لُكَيز بن أَفصَى بن عبد القيس. وتُسمَّى المُنصِفَةَ].

---

(١) هو المفضل بن معشر بن أسحم بن عدي بن شيبان بن سويد بن عذرة بن منبه بن نكرة. شاعر جاهلي. قال ابن سلام: «فضله قصيدته التي يقال لها المنصفة».

مضمون الأبيات: هذه القصيدة يقال لها «المنصفة». والمنصفات هي القصائد التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء، وفيما وصفوه من أحوالهم من إمحاض الإخاء. ويروى أن أول من أنصف في شعره مهلهل بن ربيعة حيث قال:

كأنا غدوة وبني أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدبر

ومن المنصفات قول الفضل بن العباس بن أبي لهب:

لا تطعموا أن تهينونا ونكرمكم ... وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

قال ابن دريد: «قالها في حرب كانت بينهم في الجاهلية».

وصدر القصيدة حنين إلى هؤلاء الجيرة قوم سليمى، الذين رحلوا وخلوه لأحزانه وأشواقه. وقد ساق في ذلك وصفاً لها ولحديثها، ثم أبدى إعجابه بأعدائهم بنى حيي وأنصفهم إنصافاً ظاهراً، ووصف تلك الحرب التي دارت بينهم. وذكر كذلك «بني عمرو بن عوف» وأنصفهم كذلك، فقد أخذ القتل من قبيله وقبيلهم، وشبعت السباع من عشيرته وعشيرتهم، وبكت نساؤه ونساؤهم. وصرع منهم الحرث الوضاح، أصابته رماح بني حيي، ولكنهم مع ذلك قتلوا به غلاماً كريماً من قومه. وأما ثعلبة بن سيار فقد هلك، وأما ابن قران فقد أفلت منهم على فرس جواد. ولما رأى الأعداء مصابرتهم وصمودهم عطف الفريقين الحنين والقرابة فكفوا عن القتال وتهادنوا.

أَلَـــم تَـــرَ أَنَّ جيـــرتنـــا استقلُّـــوا فنِيَّتُنـــــا ونيَّتُهـــــم فَـــــرِيـــقُ[١]

فـــدَمعـــي لـــؤلـــؤٌ سَلِـــسٌ عُـــرَاهُ يَخِـــرُّ علَـــى المهـــاوِي مـــا يَليـــقُ[٢]

عَـدَتْ مـا رُمْـتَ إذْ شَحطَـتْ سُليمَـى وأَنـتَ لـذكـرهـا طـرِبٌ مَشُـوقُ[٣]

فـــوَدِّعْهـــا وإنْ كـــانـــت أَنـــاةً مُبَتَّلَـــةً لهـــا خَلْـــقٌ أَنِيـــقُ[٤]

تُلَهِّـــي المـــرءَ بـــالحُـــدْثـــانِ لَهْـــواً وتَحْـدِجُـه كمـا حُـدِجَ المُطِيـقُ[٥]

فـــإِنَّـــكَ لـــو رأيـــتَ غـــداةَ جئنـــا ببطـــنِ أُثَـــالَ ضـــاحيـــةً نَسُـــوقُ[٦]

فِـــداءٌ خـــالَتِـــي لِبَنـــي حُيَـــيّ خُصـوصـاً يـومَ كُـسُّ القـومِ رُوقُ[٧]

هُـــمُ صَبَـــرُوا وصبـــرُهُـــم تَلِيـــدٌ علـــى العَـــزَّاءِ إذْ بَلَـــغَ المَضِيـــقُ[٨]

وهـــم دَفَعُـــوا المَنِيَّـــةَ فـــاسْتَقلَّـــتْ دِرَاكـــاً بعـــد مـــا كـــادتْ تَحيـــقُ[٩]

تَـــلاَقَيْنـــا بغَيْبَـــةِ ذي طُـــرَيـــفِ وبعضُهـــمُ علـــى بعـــضٍ حَنِيـــقُ[١٠]

فجـــاؤُوا عـــارضـــاً بـــرِداً وجئْنـــا كسَيْـلِ العِـرْضِ ضـاق بـه الطـريـقُ[١١]

مَشَيْنـــا شَطْـــرَهـــم ومَشَـــوْا إلينـــا وقُلنـا: اليـومَ مـا تُقْضَـى الحقـوقُ[١٢]

---

(١) استقل القوم: ذهبوا وارتحلوا، النية: الوجه الذي ينويه المسافر. فريق: مختلفة.

(٢) العرى: جمع عروة، وهي طوق القلادة. المهاوي: جمع مهوى، وهو موضع الهوى. يليق: يحتبس ويثبت. ينحر: يقع.

(٣) عدت ما رمت: تجاوزت ما تطلبه وتبغيه. شحطت: بعدت.

(٤) الأناة: المباركة الحليمة المواتية. المبتلة: التامة الخلق وقيل: يركب بعض لحمها بعضاً.

(٥) الحدثان: جمع الحديث. تحدجه: أي تغلبه بدلها وحديثها.

(٦) بطن أثال: موضع. ضاحية، أي علانية وجهاراً.

(٧) الكسس: قصر الأسنان. والروق: طولها. وأراد أنه إذا قتل قلص عن أسنانه فتبين روقاً.

(٨) التليد، أراد به القديم، وأصله المال القديم. العزاء: الشدة.

(٩) المنية: الموت. الدراك: التتابع.

(١٠) الغيبة: الهبطة من الأرض. حنيق: حانق. وطريف: اسم موضع.

(١١) عارضاً، أي كالعارض، وهو السحاب يعترض في أفق السماء. والبرد: ذو القر والبرد. العرض: الوادي.

(١٢) ما تقضي الحقوق، أي قضاء الحقوق. شطرهم: نحوهم.

رَمَيْنَـا فـي وجـوههـمُ بِـرِشْـقٍ	تَغَـصُّ بـه الحنـاجِـرُ والْحُلـوقُ[1]
كـأَنَّ النَّبْـلَ بينَهـمُ جَـرَادٌ	تُكَفِّيـهِ شـآمِيَـةٌ خَـرِيـقُ[2]
وبَسْـلٌ أَن تَـرَى فيهـمْ كَميًّـا	كَبَـا لِيَـدَيْـهِ إلاَّ فيـه فُـوقُ[3]
يُهَـزْهِـزُ صَعْـدَةً جَـرْدَاءَ فيهـا	سِنـانُ المـوتِ أَو قَـرْنٌ مَحِيـقُ[4]
وَجَـدْنـا السِّـدْرَ خَـوَّاراً ضعيفـاً	وكـان النَّبْـعُ مَنْبَتُـهُ وَثِيـقُ[5]
لَقِينَـا الْجَهْـمَ ثَعلبـةَ بـنَ سَيْـرٍ	أَضَـرَّ بمـن يُجَمِّـعُ أَو يَسُـوقُ[6]
لَـدى الأَعـلامِ مـن تَلَعَـاتِ طفـلٍ	ومنهـم مـن أَضَـجَّ بـه الفُـرُوقُ[7]
فَحـوَّطَ عـن بَنـي عَمـرو بـن عـوف	وأَفنـاءُ العُمـورِ بهـا شَفِيـقُ[8]
فـأَلْقَيْنَـا الـرِّمـاحَ وكـانَ ضـربـاً	مَقِيـلَ الهـامِ كـلٌّ مـا يَـذُوقُ[9]
وجـاوَزْنَـا المَنُـونَ بغيـر نِكْـسٍ	وخَـاظِـي الجِلْـزِ ثَعْلَبُـهُ دَمِيـقُ[10]

---

(١) الرشق: الرمي بالسهام.

(٢) تكفئه: تقلبه. شآمية: ريح تهب من الشام. الخريق: الباردة الشديدة الهبوب.

(٣) البسل: من الأضداد، يكون للحلال والحرام، وهو هاهنا الحرام. الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. الكمي: الفارس. كبا: خرَّ.

(٤) الصعدة: القناة المستوية. قرن: قيل كانت العرب تضع مكان الأسنة القرون. والمحيق: المدلوك المحدد.

(٥) النبع: شجر تتخذ منه القسي، لشدته ورزانته. وثعلبة بن سير، يعني به ثعلبة بن سيار. الخوار: الضعيف. السدر: نبات.

(٦) المعنى: لقينا ثعلبة بن سير وقد أضر بمن معه.

(٧) أضج: صاح وجلب. والفروق: موضع أو ماء في ديار بني سعد. تلعات الطفل: ضعف طفل.

(٨) العمور: حي من عبد القيس.

(٩) الهام: جمع هامة، وهي أعلى الرأس. ومقيله: موضعه.

(١٠) النكس: سهم لا خير فيه، يجعل سنخه نصلاً ونصله سنخاً. الخاظي: الغليظ الصلب. والثعلب: ما دخل في جبة السنان من الرمح. وإنما يعني سهماً. ونراه عنى بالنكس السهم، وبما بعده الرمح. الدميق: المدخل، يقال دمقه فهو مدموق ودميق، أي أدخله.

كــأَنَّ هَــزيــزَنَــا يــومَ الْتَقَيْنَــا هَــزيــزُ أَبَــاءَة فيهــا حَــرِيــقُ(١)

بكــلِّ قَــرارةٍ وبكــلِّ رَيــعٍ بَنَــانُ فَتًــى وجُمْجُمَــةٌ فَلِيــقُ(٢)

وكــم مِــن سَيِّــدٍ مِنَّــا ومنهــم بِــذِي الطَّــرْفَــاء مَنْطِقُــهُ شَهِيــقُ(٣)

بكــلِّ مَجَــالــةٍ غــادَرْتُ خِــرْقــاً مــن الفِتيــانِ مَبسِمُــهُ رَقيــقُ(٤)

فــأَشبَعْنَــا السِّبــاعَ وأَشبعــوهــا فــراحَــتْ كلُّهــا تئــقٌ يَفــوقُ(٥)

تــرَكْنَــا العُــرْجَ عــاكفــةً عليهــم وللغِــرْبــانِ مــن شِبَــعٍ نَغِيــقُ(٦)

فــأَبكَيْنَــا نســاءَهُــمُ وأَبْكَــوْا نســاءً مــا يَسُــوغُ لهــنَّ رِيــقُ(٧)

يُجَــاوِبْــنَ النِّيَــاحَ بكــلِّ فَجْــرٍ فقــد صَحِلَــتْ مــن النَّــوْحِ الْحُلــوقُ(٨)

قَتَلْنَــا الحــارثَ الــوَضَّــاحَ مِنهــم فخَــرَّ كــأَنَّ لِمَّتَــهُ العُــذُوقُ(٩)

أَصــابَتْــه رمــاحُ بنــي حِيَــيٍّ فَخَــرَّ كــأَنَّــه سيــفٌ دَلُــوقُ(١٠)

وقــد قَتَلــوا بــه منَّــا غــلامــاً كــريمــاً لــم تُــؤَشِّبْــه العُــروقُ(١١)

وســائلــةٍ بثَعلبــةَ بــنِ سَيْــرٍ وقــد أَوْدَتْ بثعلبــةَ العَلُــوقُ(١٢)

---

(١) الهزيز: الصوت، وأصله صوت دوران الرحى، أو صوت حركة الريح. والأباءة: أجمة القصب.

(٢) القرارة: المطمئن من الأرض. والريع: المكان المرتفع. البنان: رؤوس الأصابع.

(٣) ذو الطرفاء: موضع.

(٤) الخرق، بالكسر: الكريم المتخرق في الكرم، ومن الفتيان: الظريف في سماحة ونجدة.

(٥) التئق: الممتلىء. فاق يفوق فؤوقاً وفواقاً: أخذه البهر.

(٦) العرج: الضباع. نغيق: نعيق.

(٧) المعنى: بكينا نساءهم وأبكوا نساءنا يعني لشدة ما وقع في الفريقين من القتلى.

(٨) صحلت: بحت.

(٩) العذوق: جمع عذق، العرجون بما فيه من الشماريخ. وقيل العروق، عروق النخل.

(١٠) الدلوق: السلس الخروج من غمده يخرج من غير سل، وهو أجود السيوف وأخلصها.

(١١) التأشيب من الأشب، وهو الخلط.

(١٢) يريد ثعلبة بن سيار، فغيره للضرورة. العلوق: المنية.

وأَفلتَنَــــا ابــنُ قُــرّانٍ جَــريضــاً ... تَمُــرُّ بــه مُسَــاعِفَــةٌ حَــرُوقُ (١)

تَشُــقُّ الأَرضَ شَــائِلَــةَ الــذُّنَــابَــى ... وهــادِيهَــا كــأَنْ جِــذْعٌ سَحُــوقُ (٢)

فلمَّــا استَيقَنُــوا بــالصَّبْــرِ مِنَّــا ... تُــذُكِّــرَتِ العَشَــائِــرُ والْحَــزِيــقُ (٣)

فــأَبْقَيْنَــا ولــو شِئنــا تــرَكْنــا ... لُجَيْمــاً لا تقُــودُ ولا تَسُــوقُ (٤)

وأَنْعَمْنَــا وأَبْــأَسْنَــا عليهـــم ... لنــا فــي كــلِّ أَبْيــاتٍ طَلِيــقُ (٥)

---

(١) الجريض : المغموم الشديد الهم ، يجرض بريقه : يغص به . مساعفة حروق ، يعني فرساً سريعة . يقال فرس حراق العدو ، إذا كان يحترق في عدوه .

(٢) الهادي : العنق ، لتقدمه . والجذع : ساق النخلة . والسحوق : الطويل . الذنابي : الذنب .

(٣) الحزيق : الجماعة من الناس .

(٤) لجيم : قبيلة ، وهو لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . القود نقيض السوق ، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها . وأكثر ما يكون القود للخيل ، وأكثر ما يكون السوق للإبل .

(٥) المعنى : جعلناهم يعرفون نعمنا كما بأسنا ولنا في كل بيت عندهم أسير أطلقناه .

ـ ٧٠ ـ

وقال العباسُ بْنُ مِرْداسٍ (١)
[من المُنْصِفَاتِ]

لأَسمـاءَ رَسْـمٌ أَصبـحَ اليـومَ دارسَـا   وأَقْفَـرَ منهـا رَحْـرَحـانَ فـرَاكِسَـا (٢)

---

(١) العباس بن مرداس (نحو ١٨ ق. هـ/ ٦٣٩ م) بن أبي عامر السلمي من مضر. أبو الهيثم: شاعر فارس، من سادات قومه. أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام. وأسلم قبيل فتح مكة. وكان من المؤلفة قلوبهم، ويدعى فارس العُبيد ـ بالتصغير ـ وهو فرسه. وكان بدوياً قحاً. لم يسكن مكة ولا المدينة. وكان يكثر من زيارة البصرة. وقيل قدم دمشق وابتنى بها داراً. وكان ممن ذم الخمر وحرمها في الجاهلية مات في خلافة عمر.

مضمون الأبيات: هذه القصيدة من المنصفات. قال أبو عبيدة: غزت بنو سليم ورئيسهم عباس بن مرداس مراداً، فجمع لهم عمرو بن معديكرب فالتقوا بتثليث من أرض اليمن، بعد تسع وعشرين ليلة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل من كبار مراد ستة، وقتل من بني سليم رجلان، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه، فقال عباس بن مرداس قصيدته التي على السين، وهي إحدى المنصفات.

وقد بدأ قصيدته بذكر الأطلال والحبيبة، وانتقل بعد إلى وصف الحرب وقد ساروا إلى الأعداء في جمع كثيف، يمتطون الإبل ويقودون الخيل، في رحلة طويلة قضوا فيها تسعاً وعشرين ليلة، وصبحوا أعداءهم على حين غرة، هم في الحديد وأعداؤهم في غفلة عنهم ينحرون الإبل ويقطعونها، ولكنهم عند ما رأوهم، أدوا للحرب حقها، وقاوموا أعنف مقاومة، في استبسال رائع. ثم فخر بشجاعته التي شهد له بها الكثير، وفخر كذلك بشجعان قومه وشدة طعنهم للأعداء الذين حمتهم دروعهم من الهلاك، وأن قومه قتلوا بكريم منهم ستة من أعدائهم.

وروى أبو الفرج أن عمرو بن معديكرب أجابه عن هذه القصيدة بقصيدة أولها:

لمـن طلـل بـالخيـف أصبـح دارسـا   تبـدل آرامـاً وعينـا كـوانسـا

(٢) أقفر: خلا. درس: أمحى. رحرحان وراكس: موضعان.

فَجَنْبَيْ عَسِيـبٍ لا أَرى غيـرَ مـاثِـلٍ خـلاءً مـن الآثـار إلاَّ الـرَّوامِسـا[1]
لَيَـالـي سَلْمَـى لا أَرَى مثـلَ دَلِّهـا دَلاَلاً وأُنْسـاً يُهْبِـطُ العُصْـمَ آنسـا[2]
وأَحسَـنَ عَهْـداً للمُلِـمِّ ببيتِهـا ولا مجلساً فيه لمن كـان جالسـا[3]
تضـوَّعَ منهـا المسـكُ حتَّـى كـأَنما تـرَجَّـلُ بـالـرَّيحانِ رَطْبـاً ويـابسـا[4]
فـدَعْهـا ولكـنْ هـل أتـاهـا مَقـادُنـا لأَعـدائنـا نُـزْجِـي الثِّقَـالَ الكـوَانِسـا[5]
بِجَمْـعٍ يُـريـدُ ابْنَـيْ صُحَـارٍ كليهمـا وآلَ زُبَيْـدٍ مُخْطِئـاً ومُـلامسـا[6]
علـى قُلُـصٍ نَعْلُـو بهـا كـلَّ سَبْسَـبٍ تَخَـالُ بـه الْحِـرْبـاءَ أَشْمَـطَ جالِسـا[7]
سَمَـوْنَـا لهـم تِسْعـاً وعشـريـن ليلـةً نَجُوبُ من الأَعراضِ قَفْراً بَسَابسا[8]
فبتْنـا قُعـوداً فـي الحـديـد وأَصبحـوا علـى الـرُّكُبَـات يَحْـرُدون الأَنـافِسـا[9]
فلـم أَرَ مثـلَ الْحَـيِّ حيَّـا مُصَبَّحـاً ولا مِثْلَنَـا لمّـا التَقَيْنَـا فـوارسـا[10]
أَكَـرَّ وأَحْمَـى للحقيقـةِ منهـمُ وأَضْـرَبَ مِنَّـا بـالسيـوفِ القَـوانسـا[11]

---

(١) الروامس: أراد الآثار المرموسة، أي المطموسة.

(٢) العصم: جمع أعصم وعصماء، وهو الوعل. المعتصم في أعالي الجبال.

(٣) المعنى: ولا أرى عهداً أحسن من عهد من يزورها ولا مجلساً أفضل من مجلسها.

(٤) الترجل والترجيل: تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه. تضوع: فاح.

(٥) يعني النساء في الحمول وأصله من كنس الظبي: دخل في كناسه، جعله لدخول المرأة في هودجها.

(٦) المعنى: يصف طلبهم لأبني صحار ولجميع آل زبير.

(٧) الأشمط: الأشيب قد خالط سواد شعره بياض. القلص: النوق. والسبسب: المفازة.

(٨) القفر: الخلاء. نجوب: نقطع. البسابس: القفار.

(٩) يقال حرد اللحم، إذا قطعه. والأنافس: جمع الأنفس، أي الأحب والأكرم.

(١٠) المعنى: لم أر مثلهم ولا مثلنا عند اللقاء.

(١١) أكر: أكثر كراً. الحقيقة: ما يحق على المرء أن يحميه. القوانس: جمع قونس وهو أعلى بيضة الرأس.

وأَحْصَنَنَــا منهــم فمــا يَبْلُغُــونَنَــا فَــوَارِسُ مِنَّــا يَحْبِسُــونَ المَحَـابِسـا(١)
إذا مــا شَــدَدْنَـا شَــدَّةً نَصَبُــوا لهــا صُدُور المَذَاكِي والرِّماحَ المَدَاعِسا(٢)
إذا الخيلُ جالتْ عن صريعٍ نُكِرُّها عليهـم فمـا يَـرْجِعْـنَ إلاَّ عَـوَابِسـا(٣)
نُطـاعِــنُ عــن أحسـابنـا بـرمـاحنـا ونضربُهم ضَرْبَ المُذِيدِ الْخوَامِسا(٤)
وكنــتُ أَمــامَ القــومِ أَوَّلَ ضــاربٍ وطـاعَنـتُ إذْ كـان الطِعـانُ تَخـالُسـا(٥)
فكــان شُهــودي مَعْبَــدٌ ومُخَــارقٌ وبِشْرٌ، وما اسْتَشْهَدْتُ إلاَّ الأكايسا(٦)
مَعِـي ابْنَـا صُـرَيْـم دَارعـانِ كـلاهمـا وعُرْوَةُ، لَوْلاَهُمْ لَقِيتُ الدَّهَارسَا(٧)
ومــارَسَ زَيْــدٌ ثــم أَقْصَــر مُهْــرُهُ وحُــقَّ لـه فـي مثلهـا أَن يُمَـارِسـا(٨)
وقُــرَّةُ يَحميهــمْ إذا مــا تبَــدَّدُوا ويَطْعُنُهـم شـزْراً فـأَبـرحْـتَ فـارِسـا(٩)
ولو مات منهم مَنْ جَرَحْنا لأَصبحتْ ضِبَـاعٌ بـأَكنـافِ الأَراكِ عَـرَائِسـا(١٠)
ولكنهــم فــي الفــارســيِّ فــلا تــرَى من القومِ إلاَّ في المُضاعَفِ لابِسا(١١)
فــإنْ يَقْتُلُــوا مِنَّــا كــريمـاً فـإنَّنـا أَبـأْنـا بـه قَتْلَـى تُـذِلُّ المَعَـاطِسـا(١٢)

---

(١) المعنى : لقد منعنا من أعدائنا فرسان أشداء .
(٢) المذاكى : جمع مذك، وهو ما جاوز القروح بسنة . وقد قرح الفرس، إذا دخل في السادسة . المدعس من الرماح : الغليظ الشديد الذي لا ينثنى .
(٣) المعنى : إذا حاولت الخيل الإدبار نحفها على الهجوم .
(٤) المذيد : الذي يعينك على ما تذود . الخوامس : الإبل التي وردت خمساً، وهو أن تشرب يوماً وترعى ثلاثة ثم ترد في اليوم الخامس . نطاعن : نقاتل .
(٥) المعنى : كنت أول من هجم وطاعنت ساعة كان الطعن لا يزال نادراً .
(٦) الأكايس : جمع الأكيس . والكيس : العقل . ومعبد ومخارق وبشر : أسماء .
(٧) الدهارس : أي الدواهي .
(٨) أقصر : كف ونزع .
(٩) أبرحت : جئت بأمر مفرط معجب . تبددوا : تفرقوا .
(١٠) يقال إن الضبع إذا مات القتيل فانتفخ ذكره تقعد عليه .
(١١) الفارسي : يعني به الدروع . المضاعف : المنسوج حلقتين حلقتين .
(١٢) أباءه به : قتله به . البواء : السواء والكفء . المعاطس : الأنوف .

قتلنا به في مُلْتقى الخيل خمسةً ... وقاتِلَهُ زِدْنا مع الليل سادِسا[1]
وكُنّا إذا ما الحربُ شبَّتْ نشُبُّها ... ونَضربُ فيها الأَبْلَخَ المُتقَاعِسا[2]
فأُبنَا وأَبقَى طَعْنُنَا من رماحنا ... مَطَارِدَ خَطِّيٍّ وحُمراً مَدَاعسا[3]
وجُرْداً كأَنَّ الأُسدَ فوقَ مُتُونها ... من القوم مَرؤُوساً وآخرَ رائِسا[4]

---

(١) المعنى: قتلنا ستة فرسان مقابل قتيلنا.

(٢) الأبلخ: المتكبر. والمتقاعس: المتمنع الذي لا يطأطىء رأسه. شبت: اشتعلت.

(٣) المطارد: ما يبقى من الرماح إذا تكسرت. والمعروف أن المطرد الرمح القصير. والخطى: الرماح المنسوبة إلى خط البحرين. المداعس: الغليظ الشديد الذي لا ينثني. أبنا: عدنا.

(٤) الجرد: الخيل. يريد عدنا وعلى متون خيلنا رجال كالأسد سواء في ذلك الرئيس والمرؤوس.

ـ ٧١ ـ

وقال سِنان بن أَبي حارثة(١)

قُــل للمثلَّــمِ وابــنِ هنــدِ بعــدَه ... إن كُنْـتَ رائـمَ عِـزِّنـا فـاستقـدِمِ(٢)

تَلْـقَ الـذي لاقـى العَـدُوُّ وتَصْطَبِـحْ ... كـأْسـاً صُبَـابَتُهـا كطعـم العَلْقَـمِ(٣)

نَحبُـو الكَتيبـةَ حيـنَ تَفْتَـرِشُ القَنَـا ... طَعنـاً كـإلهـابِ الحـريـقِ المُضْـرَمِ(٤)

مِنَّـا بِشَجْنـةَ والـذِّبـاب فـوارسٌ ... وعُتَـائـدٍ مثـلُ السـوادِ المظْلـمِ(٥)

وبضَـرْغـدٍ وعلـى السَّـديـر وحـاضِـر ... وبـذي أَمَـرَّ حـريمُهـم لـم يُقْسَـمِ(٦)

فـدهِمْنَهـم دهمـاً بكـلِّ طِمِـرَّةٍ ... ومُقطِّـعٍ حَلـقَ الـرِّحـالـةِ مِـرْجَـمِ(٧)

---

(١) سنان بن أبي حارثة المري. من غطفان. أحد أجواد العرب وقضاتهم المحكمين في الجاهلية. عنفه قومه على كثرة عطاياه، فركب ناقة ولم يرجع، فسمته العرب «ضالة غطفان!» وكان في عصر النعمان بن المنذر قبيل الإسلام. وكانت له مواقف مشهودة في أيام العرب، في يوم داحس والغبراء، وفي يوم شعب جبلة.

مضمون الأبيات: يتهدد الشاعر في هذه الأبيات المثلم بن رياح المري ومالك بن هند بشجاعة قومه وقوتهم وبطشهم. ويذكر ما أصاب عامرا يوم النسار مشيدا بفرسان قومه.

(٢) رائم: من رام. يقول: إن كنت تريد أن تنال من عزنا بقتالنا فتقدم، يتهدده بذلك.

(٣) ضرب الكأس مثلاً لما يلقى عدوه منهم. والعلقم: شراب مر.

(٤) نحبو: نعطي، نمنح. تفترش: تتقارش، تتداخل ويقع بعضها على بعض.

(٥) شجنة، والذباب وعتائد: أسماء مواضع.

(٦) ضرغد، والسدير وحاضر وذي أمر: أسماء مواضع. حريمهم لم يقسم: أي حموا أعراضهم.

(٧) دهمنهم: حملن عليهم. الطمرة: الوثابة. الرحالة: سرج من جلود. المرجم: الذي يرجم الأرض بشدة وقع حوافره.

ولقــد خَبَطْــنَ بنــي كــلاب خَبْطــةً   أَلْصَقْنَهُــمْ بِــدعــائــم المُتَخَيَّــمِ[1]
وصلقْــن كعبــاً قبــل ذلــك صَلْقَــةً   بقَنــاً تعــاوَرُه الأَكــف مُقَــوَّمِ[2]
حتَّــى سقينــا النــاسَ كــأْســاً مُــرّةً   مكــروهــةً حُسُــواتُهــا كــالعَلقَــمِ[3]

(١) المتخيم: موضعهم الذي خيموا به. يقول: دأستهم الخيل حتى ألصقتهم بدعائم متخيمهم. يريد رددنا بني كلاب إلى بيوتهم.

(٢) صلقني: ضربني. تعاوره الأكف: تداوله. مقوم: صفة للقنا، مستقيم.

(٣) الحسوات: جمع حسوة وهي القليل مما يشرب قدر ملء الفم.

وقال سنانٌ أيضاً

إن أُمْسِ لا أَشتكي نُصْبي إلى أَحدٍ ... ولستُ مهتدياً إلاَّ معي هادِ(١)
فقد صَبَحْتُ سوادَ الحيِّ مُشْعَلةً ... رَهْواً تطالعُ من غَوْرٍ وأَنجادِ(٢)
وقد يَسَرْتُ إذا ما الشَّوْلُ رَوَّحها ... بَردُ العَشِيّ بشَفَّانٍ وصُرَّادِ(٣)
ثُمَّتَ أطعمتُ زادي غير مُدَّخر ... أَهلَ المحَلَّة مِن جَارٍ ومن جادِ(٤)
وقد دَفعتُ ولم أَجْرُرْ على أحدٍ ... فتْقَ العَشيرةِ والأكفاءُ شُهَّادى(٥)
قد يعلمُ القومُ إذ طالت غَزَاتُهمُ ... وأَرمُلوا الزادَ أَنِّي مُنفِدٌ زادي(٦)
ولا أَجيءُ بسَوْآت أُعَيَّرُها ... حتى يجيءَ من القبر ابنُ مَيَّاد(٧)
أَثْنُوا عليَّ فكائِنْ قد فَتَحتُ لكم ... من باب مَكرُمَة تُعْتَدُ أَو وَاد(٨)

مضمون الأبيات: يشكو فيها الشاعر الكبر وضعف البصر، ثم يعود بالذكريات إلى أيام الشباب حيث يفتخر بحكمته وفروسيته وكرمه. ثم يتمدح بابتعاده عن الصفات المذمومة ويدعو قومه إلى الثناء عليه لما أضافه إليهم من مجد.

(١) النصب: الداء والبلاء والشر. يقول: كبرت فلا أطيق أمشي فضعف بصري.

(٢) وقد رويت «سوام الحي» والسوام: الإبل الراعية. مشعلة: كتيبة. الرهو: الساكن، التي تسير على هون ثقة بالظفر. الغور: ما غار من الأرض واطمأن. النجد: ما ارتفع من الأرض. أي يأتيهم خيل هذه الكتيبة من كل مكان. وصبحتهم: أتيتهم صباحاً.

(٣) يسرت: كنت أحد الأيسار وهم المتقامرون. الشول: الإبل التي نقصت ألبانها. الشفان والصراد: ريح باردة. يريد أنهم أراحوا إبلهم عشاء إلى الحظائر من شدة البرد.

(٤) مدخر: موفر. الجادي: المجتدي الذي يطلب الجدا وهو العطية.

(٥) لم أجرر: لم آت جريرة. الفتق: وقوع الجرب بين الجماعة وتفرق الكلمة. يريد: جمعت كلمة عشيرتي وحزمت أمرهم ولم أعجز عن القيام بهذا الأمر ولا وكلته إلى غيري.

(٦) الغزاة: الغزوة. أرملوا الزاد: فني زادهم. منفد: مفني، يصف كرمه.

(٧) ابن مياد: رجل من عذرة. السوآت: الأعمال المذمومة. يؤكد استحالة إقدامه على ما يعتبر عيباً.

(٨) كائن: بمعنى كم. تعتد: تحسب. واد: أي وادي مكرمة.

ـ ٧٣ ـ
وقال زَبَّان بن سيَّار [١]

أَبَنـي مَنُـولَـةَ قـد أَطَعْـتُ سَـرَاتَكـم لو كان عَن حَرب الصَّديقِ سَبيلُ [٢]
وبَنُــو أُمَيَّــة كلُّهــم أُمَـرَاؤُهــا وبنــو رِيــاحٍ إن تــدُبِّــرَ قِيــلُ [٣]
سِيـري إليـكِ فسَـوفَ يَمنـعُ سَـرْبَها مـن آل مُـرَّة بـالحجـازِ حُلـولُ [٤]
حَلَـق أَحَلُّـوهـا الفضـاءَ كـأَنَّهـم مـن بيـنَ مَنبِـجَ والكثيـبِ قُيـولُ [٥]
وإذا فـزِعْـت غَـدَتْ بـبَـزِّي نَهْـدَةٌ جَـرداءُ مُشْـرفـةُ القَـذَالِ دَؤُولُ [٦]

---

(١) زبان بن سيار بن عمرو بن جابر الفزاري (نحو ١٠ ق.هـ/ ٦١٣ م): شاعر جاهلي غير قديم. من أهل المنافرات. عاش قبيل الإسلام وتزوج مليكة بنت خارجة المزنية. ومات وهي شابة. فتزوجها ابنه منظور، وأسلم هذا ففرق الإسلام بينهما.
مضمون الأبيات: يخاطب الشاعر قومه ويعدهم بإطاعة أمر رؤسائهم إذا ما وجد مفراً من حرب أصدقائه. ويرى أن بني أمية وبني رياح كلهم أمراء في الحرب. ثم ينصحهم بالابتعاد عن بني مرة الذين يخصهم بسخريته. ثم يعتز بفرسه وسلاحه وأنه بات مستعداً لقتال بني اللقيطة.

(٢) بنو منولة: هم ظالم ومازن وشمخ أولاد فزارة بن ذبيان. السراة: الأعيان.

(٣) قيل: القيل والقال والقول: بمعنى واحد. تدبر: تنظر في العاقبة وتفكر فيها.

(٤) السرب: الإبل وما رعي من المال. الحلول: الجماعات.

(٥) الحلق: جمع حلقة. القيول: جمع قيل وهو الملك أو الرئيس. يشبههم بالملوك هزءاً بهم.

(٦) فزعت: أجبت وأغثت. البز: السلاح. النهدة: الضخمة. الجرداء: القصيرة الشعر. مشرفة القذال: يريد عنقها وهذا مدح في الخيل. الدؤول: التي تدال في مشيها وهو مثل مشي المثقل بحمل قد أثقله.

شوهاءُ مُركِضةٌ إذا طأطأتُها مَرَطَى إذا ابتلَّ الحِزامُ نَسُولُ (١)

أعددتُها لبَني اللَّقيطةِ فوقَها رُمحي وسيفٌ صارمٌ وشليلُ (٢)

ومُجَرَّبُ النَّجَداتِ لِيسَ بناكلٍ عنكم إذا لاقى القبيلَ قبيلُ (٣)

---

(١) الشوهاء: الحسنة الخلق الكاملة حسناً وهو من الأضداد. المركضة: الركاضة تركض الأرض بقوائمها إذا عدت. طأطأتها: أرسلت من لجامها لتسرع. المرطي: التي تمرط السير كأنها تقطعه لسرعتها. النسول التي تنسل في السير أي تسرع.

(٢) بنو اللقيطة: هم حصن ومالك ومعاوية وورد وشريك بنو حذيفة بن بدر الفزاري و «اللقيطة» لقب أمهم. الشليل: الدرع.

(٣) النجدات: الشدائد. القبيل: الجماعة يكونون من الثلاثة فصاعداً وربما أطلق على القبيلة.

ـ ٧٤ ـ

وقال أيضاً

أَلَـمْ يَنْـهَ أولادَ اللَّقِيطـةِ عِلمُهـمْ ... بـزبَّـانَ إذ يَهجُـونَـه وهـو نـائـمُ[١]

يَطُـوفـون بـالأعشى وصُـبَّ عليهـمُ ... لسـانٌ كصَـدر الهُنْـدُوَانِـيِّ صـارمُ[٢]

وإنَّ قتيـلاً بـالهبَـاءَةِ فـي استِـهِ ... صحيفتُـه إن عـاد للظلـم ظـالِـمُ[٣]

متى تقـرؤوهـا تَهْـدِكـم مـن ضـلالِكـم ... وتُعرَفْ إذا ما فُضَّ عنها الخواتمُ[٤]

لـدَى مَـرْبـطِ الأَفْـرَاسِ عنـدَ أبيكـمُ ... حَـذاكُـمْ بهـا صُلْـبُ العَـداوة حـازمُ[٥]

فـإن تسـألـوا عنَّـا فـوارسَ دارمٍ ... يُنبِّئْـكَ عنهـا مـن رَواحـةَ عـالِـمُ[٦]

فـأَقْسَمَ مـرتـاحـاً شـريـكُ بـنُ مـالـكٍ ... إذا مـا التقينـا خَصْمَـهُ لا يُسـالِـمُ[٧]

وأقسـم يـأتـي خُطَّـةَ الضَّيـم طـائعـاً ... بلَـى سـوف تـأتيهـا وأنفُـكَ راغِـمُ[٨]

مضمون الأبيات: يهجو الشاعر في هذه القصيدة أبناء اللقيطة ويبين لهم مخاطر هجائهم له واغترارهم بصمته. ويعيرهم بما كان من أمر مقتل حمل بن بدر صاحب الغبراء. ثم يطلب من بني بدر الفزاريين أن يقصدوا إلى فوارس داحس العبسيين ليستطلعوا منهم أخبار ما سماه «الصحيفة» وهو تهكم بارع وإذلال قاتل. ثم يندد بعد ذلك بالشجاعة الكاذبة لشريك بن مالك والتي انتهت به إلى أن يقهر ويغلب.

(١) يقول إن أولاد اللقيطة يهجونه وهو لا يعبأ بهم ولا يلتفت إليهم.

(٢) الهندواني: السيف. الصارم: القاطع. صب: انهمر. الأعشى: الضعيف البصر.

(٣) الهباءة: موضع به يوم من أيامهم. القتيل: هو حمل بن بدر وقد طعن في ذاك الموضع من جسده وقد عبر عن الطعنة بالصحيفة.

(٤) يقول: متى تروا هذه الطعنة تردعكم عن الظلم والتعدي، وجعلها كالصحيفة في بيانها.

(٥) حذاكم: أعطاكم.

(٦) ينبئك: يخبرك. دارم ورواحة: قبيلتان.

(٧) أقسم: حلف. الخصم: العدو. يسالم: يهادن ويصالح.

(٨) أقسم يأتي: أي أقسم لا يأتي. الضيم: الخضوع. راغم: ذليل ملصق بالرغام وهو التراب.

— ٧٥ —

وقال معاوية بن مالك بن جعفر بن كِلَاب[١]

وهو مُعَوِّدُ الحُكَماءِ

طَـرَقَــتْ أُمــامــةُ والمَـزارُ بعيــدُ ... وَهْنـاً وأصحـابُ الـرِّحـالِ هُجُـودُ[٢]
أَنَّـى اهتــديـتِ وكنـت غيـرَ رَجيلـةٍ ... والقــومُ منهــم نُبَّــهٌ ورُقــودُ[٣]
أَلْفَـوا أبــاهــم سَيِّــداً وأعــانهــم ... كــرَمٌ وأعمــامٌ لهــم وجُــدودُ[٤]
إذ كــلُّ حَــيٍّ نــابــتٌ بــارومــة ... نَبْـتَ العِضـاهِ فمـاجـدٌ وكسِيـدُ[٥]

---

(١) معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري «معود الحكماء»: شاعر من أشراف العرب في الجاهلية. هو أخو «ملاعب الأسنة» عامر بن مالك وعم لبيد بن ربيعة شاعر. لُقِّب بمعود الحكماء لقوله:

أعــوِّد مثلهــا الحكمــاء بعــدي ... إذا مـا الأمـر فـي الحـدثـان نـابـا

مضمون الأبيات: بدأها بذكر الطيف وعجبه كيف اهتدى إلى مضجعه. ثم أخذ يتمدح بمحتده الذي تعاون الابن والعم في بنائه. انتقل بعد ذلك إلى التمدح بقومه ذروة عشيرته، يحملون الديات، يردون الأعداء، لا يعتذرون لمن أتاهم قاصداً ولو في أيام الشدة. ثم يصور لنا غضب المرأة التي لا تستطيع منع زوجها من البذل والكرم والعطاء وذلك لتأصل ذلك في نفسه وجبلته!!

(٢) طرقت: أتت ليلاً. إمامة: اسم. وهناً: بعد ساعة من الليل. الهجود: النائمون.

(٣) الرجيلة: القوية على المشي. المتان: جمع متن وهو ما غلظ من الأرض. نبه: جمع نابه بمعنى مستيقظ. رقود: جمع راقد وهو النائم.

(٤) المعنى: وجدوا أباهم سيداً، وساعدهم نبل محتدهم وكرم أعمامهم وجدودهم.

(٥) الأرومة: الأصل. العضاه: شجر عظيم. الماجد: الكثير فعل الخير. الكسيد: الدون جعله كالسلعة البائرة التي لا تنفق عن صاحبها.

نُعطـــي العَشيـــرةَ حقَّهـــا وحقيقَهـــا فيهـــا ونغفـــرُ ذَنْبَهـــا ونســـودُ[1]
وإذا تُحَمِّلُنَـــا العشيـــرةُ ثقْلَهـــا قُمنـــا بـــه، وإذا تَعُـــودُ نَعـــودُ[2]
وإذا نُـــوافِـــقُ جُـــرْأةً أو نَجـــدةً كنَّـــا سُمـــيَّ بهـــا العَـــدُوَّ نَكِيـــدُ[3]
بـــل لا نقـــولُ إذا تَبَـــوَّأ جِبـــرَةٌ إنَّ المحَلَّـــةَ شِعبُهـــا مَكْـــدُودُ[4]
إذْ بعضُهـــم يَحْمِـــي مَـــراصِـــدَ بَيتـــهِ عَـــن جـــاره، وسبيلُنـــا مَـــوْرُودُ[5]
قـــالـــت سُمَيّـــةُ قـــد غَـــوَيـــتَ فـــإن رأتْ حَقًّـــا تنـــاوبَ مـــالَنـــا ووُفـــودُ[6]
غَـــيٌّ لَعمـــرُكِ لا أزال أعُـــودُه مـــا دامَ مـــالٌ عنـــدنـــا مَـــوْجُـــودُ[7]

---

(١) المعنى: نصل القرابة ونعطي كل ذي حق حقه، ونتجاوز عن إساءة المسيء ولهذا نسود.
(٢) ثقلها: غرمها من مثل الديات وسواها. يقول نفعل ذلك دائماً المرة تلو المرة.
(٣) سمي: أراد ياسمية. يقول نحن نكيد العدو بجرأتنا ونجدتنا.
(٤) الشعب: ما انفرج بين جبلين. مكدود: في شدة وضيق. والمعنى إنه لا يعتذر لأضيافه بما ينوبه من شدة وضيق.
(٥) المعنى: نجعل الطرق إلينا سهلة ميسرة حباً بالضيف في وقت يفعل سوانا عكس ذلك.
(٦) الحق هنا بمعنى قرى الضيف والديات والعطايا والهبات. غويت: ضللت.
(٧) المعنى: يجيب امرأته بأنه لن يعود عن غيه هذا ما دام يملك شيئاً من مال.

ـ ٧٦ ـ

وقال أيضاً

أَجَدَّ القلبُ من سَلمَى اجتنابَا   وأقْصَرَ بعدَ ما شابَتْ وشابا[(١)]
وشابَ لِداتُه وعَدَلْنَ عنه   كما أَنْضَيْتَ من لُبْسٍ ثِيابا[(٢)]
فإن يَكُ نَبْلُها طاشت ونَبْلي   فقد نرمي بها حِقَباً صِيابا[(٣)]
فتصطادُ الرِّجالَ إذا رَمَتْهم   وأصطادُ المُخَبَّأةَ الكَعابا[(٤)]
فإن تَكُ لا تَصِيدُ اليومَ شيئاً   وآب قَنِيصُها سَلَماً وخابا[(٥)]
فإنَّ لها منازلَ خاوياتٍ   على نَمَلَى وَقَفْتُ بها الرِّكَابا[(٦)]
مِن الأجزاع أسفلَ من نُمَيْلٍ   كما رَجَّعْتَ بالقلم الكِتَابا[(٧)]
كتابَ مُحَبِّرٍ هاجٍ بَصِيرٍ   يُنَمِّقُهُ وحاذَرَ أن يُعَابا[(٨)]
وَقَفت بها القَلوصَ فلم تجِبْني   ولو أمسَى بها حَيٌّ أجابا[(٩)]

---

(١) أجد: يقل جد النخل يجده: إذا صرمه والصرم: القطع. أقصر: أراد كف عن الصبا ونزع عنه.
(٢) لداته: أترابه ومن هم في سنه. عدلن: انصرفن. انضيت: خلعت.
(٣) طاشت: عدلت ومالت. الحقب: المدة من الزمن. صيابا: جمع صائب وهو المصيب والمعنى هنا: إذا كان قد تغير الأمر والحال في هذا الوقت فقد كان أمرنا قبل اليوم يجيء على استقامة.
(٤) المخبأة: المحجوبة. الكعاب: التي قد نهد ثديها.
(٥) آب: رجع. فنيصها: صائدها. سلما: مستسلماً.
(٦) خاويات: مقفرات. نملي: اسم موضع.
(٧) الأجزاع: منعطف الوادي. نميل: تصغير نملي. رجعت بالقلم الكتابا: إذا عاد بالقلم على الكتابة. يصف درس الدار وآثارها.
(٨) التحبير والتنميق: التحسين. هاج: قارىء والهجاء القراءة. (٩) القلوص: الناقة.

وناجيـــةٍ بَعَثْــت علــى سبيــلٍ كــأنَّ علــى مَغَــابنَهــا مَــلاَبــا [١]
ذَكَــرْتُ بهــا الإيــابَ، ومــن يُسَــافِرْ كمــا ســافــرتُ يَــذَّكِــرِ الإيــابــا [٢]
رأيــتُ الصَّــدعَ مــن كعــبٍ فــأَوْدَى وكــان الصَّــدْعُ لا يَعــدُو ارتِئَــابــا [٣]
فــأَمسَــى كعْبُهــا كَعْبــاً وكــانــت مــن الشَّنَــآنِ قــد دُعِيَــتْ كِعَــابــا [٤]
حَمَلْــت حَمَــالــةَ القُــرَشِــيِّ عنهــم ولا ظُلْمــاً أردتُ ولا اختِــلابــا [٥]
أُعَــوِّدُ مثلَهــا الحكمــاءَ بَعْــدِي إذا مــا الحــقُّ فــي الأشيــاعِ نَــابــا [٦]
سَبَقْــتُ بهــا قُــدَامــةَ أو سمَيــراً ولــو دُعِيَــا إلــى مِثْــلٍ أجــابــا [٧]
وأكْفِيهــا مَعَــاشِــرَ قــد أَرَتْهــمْ مــن الجَــرْبَــاءِ فَــوقَهــمُ طِبَــابــا [٨]
يَهِــرُّ مَعَــاشِــرٌ مِنَّــا ومنهــم هَــريــرَ النــابِ حــاذرتِ العِصَــابــا [٩]
ســأحملُهــا وتَعْقِلُهــا غَنــيٌّ وأُورثُ مجــدَهــا أبــداً كِــلابــا [١٠]

---

(١) الناجية: الناقة السريعة. المغابن: أسفل البطن. الملاب: ضرب من الطيب.
(٢) الإياب: العودة. يريد ذكر طول سفره وشوقه إلى الرجوع إلى أهله ومنزله.
(٣) الصدع: الفتق والفساد. يعد: من الوعد. ارتئاب: من رأب الصدع أي سوّاه وأصلحه.
(٤) الشنآن: البغض والعداوة وكعب هو كعب بن ربيعة بن عامر. يفخر في البيتين السابقين بأنه سعى في إصلاح أمر قومه حتى تم له ما أراد وعادوا قبيلاً واحداً.
(٥) الحمالة: الدية والغرامة التي يحملها عن القدم. الاختلاب: الخديعة.
(٦) الحق عند العرب: ما يلزمهم من الحمالات وقرى الأضياف. الأشياع: المتفرقون. ناب: جاء. يريد: أقوم بهذه الأشياء ليتعودها الحكماء فيفعلوا مثلها. وقيل إنه سمي «معود الحكماء» لقوله هذا البيت.
(٧) قدامة وسمير من بني سلمة الخير من قشير وكانا شريفين.
(٨) الجرباء: السماء. الطباب: جمع طبابة وأصلها الخرز التي تكون في أسفل القربة طولاً، شبه بها النجوم. والمعنى شبيه بالقول المأثور: «سأريك نجوم الظهر!!» يريد أنه يكفي هذه الخلة وهذه الأفعال معاشر قد أعيتهم وأرتهم ما يكرهون.
(٩) تهر: تكره. الناب: الناقة المسنة. العصاب: ما يعصب به كالعصابة والناقة العصوب هي التي لا تدر حتى يعصب فخذاها.
(١٠) تعقلها: تؤدي عقلها أي ديتها. غني وكلاب: قبيلتان.

فـإن أحْمَـدْتُهـا نفسِـي فـإنِّـي أتيـتُ بهـا غَـدَاةَ إذٍ صَـوَابـا[1]
وكنـتُ إذا العظيمـةُ أفـزَعَتْهـم نَهَضْـتُ ولا أدِبُّ لهـا دِبَـابـا[2]
بِحَمْـدِ الله ثـمَّ عَطَـاءِ قـومٍ يَفُكُّـونَ الغَنَـائـمَ والـرِّقـابـا[3]
إذا نـزلَ السحـابُ بـأَرضِ قـومٍ رَعَيْنَـاهُ وإن كـانـوا غِضَـابـا[4]
بكـلِّ مُقَلَّـصٍ عَبْـلٍ شَـوَاهُ إذا وُضِعَـت أعِنَّتُهـنَّ ثَـابـا[5]
ودافِعَـةِ الحِـزام بِمِـرْفَقَيهـا كَشَـاة الـرَّبْـلِ آنَسَـتِ الكِـلابـا[6]

---

(١) غداة إذٍ: يومئذ. الصواب: الرشد والحق.
(٢) الدباب: الدبيب وهو نوع من المشي. يقول: قمت بها إذا ضعفوا عنها بقوة ولم أضعف عن حملها فأدب بها ضعفاً.
(٣) المعنى: تمكنت من ذلك بحمد من الله ومساعدة قوم شرفاء يعفون عن الغنائم والأسرى.
(٤) أراد بالسحاب الغيث الذي يكون عنه النبات.
(٥) المقلص: الطويل أراد به الحصان. شوى الفرس: قوائمه. عبل الشوى: ضخمها في اكتناز. ثاب: رجع.
(٦) دافعة الحزام بمرفقيها: تنحي الحزام وتؤخره وذلك إنها تمد يديها مداً شديداً فمرفقاها يدفعان حزامها. الربل: ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر. يقال: خرجوا يتربلون أي يرعون الربل.

ـ ٧٧ ـ

وقال عامرُ بن الطُّفَيْل(١)

لقــد عَلِمــتْ عُليــا هَــوَازنَ أنّنــي أنـا الفـارس الحـامي حَقيقـةَ جَعفـرِ(٢)
وقــد عَلِــمَ المــزنُــوقُ أنّــي أكِــرُّهُ علـى جمعهـم كَـرَّ المَنيـحِ المُشَهَّـرِ(٣)
إذَا ازوَرَّ مــن وقْـع الـرِّمـاحِ زَجَـرْتُـه وقلـت لـه ارجـع مُقْبـلاً غيـرَ مُـدْبـرِ(٤)

(١) عامر بن الطفيل (٧٠ ق. هـ ـ ١١ هـ/ ٥٥٤ ـ ٦٣٢ م) بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة: فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية، كنيته أبو علي. ولد ونشأ بنجد. وكان يأمر منادياً في عكاظ ينادي: هل من راجل فنحمله؟ أو جائع فنطعمه؟ أو خائف فنؤمنه؟ وخاض المعارك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخاً. فوفد على الرسول ﷺ وهو في المدينة بعد فتح مكة يريد الغدر به. فلم يجرؤ عليه، فدعاه إلى الإسلام، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولي الأمر من بعده، فرده، فعاد حنقاً، ومات في طريقه قبل أن يبلغ قومه. وقيل إنه مات بالطاعون، وإنه كان في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: «أغدة كغدة الإبل وموتاً في بيت سلولية؟» ثم ركب فرسه حتى سقط ميتاً عن عمر يناهز ٨٠ سنة.

مضمون الأبيات: ذكر في هذه الأبيات يومين من أيام العرب: يوم المشقر ويوم فيف الريح. يفتخر الشاعر بنفسه وبفروسيته وبحصانه «المزنوق» ثم يشير إلى طعنة مسهر الحارثي التي أودت بإحدى عينيه ليؤكد أنه وإن فقد إحدى عينيه إلا أنه لم يفقد الشجاعة والإقدام. وإنه على الرغم من كثرة الأعداء فإن هذا لا يؤثر على قومه الذين يزدادون شجاعة وقوة جلاد.

(٢) هوازن: جد قومه الأعلى. الحقيقة: ما يحق عليهم أن يحموه من منع جار وإدراك ثأر. جعفر: هو ابن كلاب بن ربيعة بن عامر.

(٣) المزنوق: اسم فرسه. المنيح: قدح تكثر به القداح لا حظ له. المشهر: المشهور.

(٤) الازورار: الميل عن الشيء والانحراف عنه.

فـأنبـاتـه أنَّ الفِـرارَ خَـزَايَـةٌ　　على المرءِ ما لم يُبْلِ جُهداً فيُعذَرِ[1]
ألسـتَ تَـرَى أرمـاحَهـم فـيَّ شُـرَّعـاً　　وأنتَ حِصانٌ ماجدُ العِرْق فاصْبر[2]
أردت لكيـلاع يعلـمَ اللَّـهُ أننـي　　صَبَرتُ وأخْشَى مثلَ يـوم المُشَقَّـر[3]
لَعَمْـري ومـا عَمْـرِي علـيَّ بهَيِّـنٍ　　لقـد شَانَ حُرَّ الـوجـه طعنَةُ مُسْهِر[4]
فَبِيسَ الفتَـى إن كنـتُ أعـورَ عـاقـراً　　جَبَاناً فما عُذرى لدَى كلِّ مَحْضَر[5]
وقـد علمـوا أنِّـي أكُـرُّ عليهـمُ　　عَشِيَّـةَ فَيْـفِ الـرِّيـح كَـرَّ المُـدَوِّر[6]
أقـولُ لنفـسٍ لا يُجـادُ بمثلهـا　　أقِلِّـي المِـزاحَ إنني غيـرُ مُقصِـر[7]
ومـا رِمْـتُ حتَّـى بَـلَّ صَـدْري وصَـدْرَهُ　　نَجيـعٌ كهـدَّاب الـدِّمَقـس المُسَيَّـر[8]
فلـو كـان جَمـعٌ مِثلَنـا لـم نُبـالِهـم　　ولكـن أتَتْنـا أُسـرَةٌ ذاتُ مَفخَـرِ[9]
فجـاؤُوا بفـرسـان العَـريضَـةِ كلِّهَـا　　وأَكْلُـبَ طُـرًّا فـي لِبـاس السَّنَـوَّر[10]

---

(١) الخزاية: الاستحياء، أي أن الفرار يوجب ذلك. يبل جهداً: يبذل كل ما بوسعه. يعذر: يكون بين العذر.

(٢) شرعاً: من قولهم شرع الرمح: تسدد.

(٣) المعنى: صبرت وصمدت لكي لا يحدث ما حدث يوم المشقر.

(٤) مسهر: هو الذي غدر بعامر وطعنه بالرمح في وجهه ففلق الوجنة وانشقت عينه. شان: الشين: العيب والعاهة.

(٥) يقول: يا لبؤسي من رجل إذا كنت أرضى أن أكون أعور عاقراً وجباناً أيضاً!!

(٦) المدور: الذي يطوف بالدوار وهو أعماد كانوا يتخذونها بحذاء أوثانهم. وقيل الدوار اسم صنم. أكر: أهجم. فيف الريح: من أيام العرب.

(٧) غير مقصر: غير ممتنع عن القيام بما عليّ.

(٨) ما رمت: ما برحت. النجيع: الدم المصبوب. الدمقس: الحرير. المسير: برود من اليمن يؤتى بها مسيرة أي فيها خطوط.

(٩) نبالهم: نعبأ بهم.

(١٠) العريضة: الأرض. أكلب: حي من خثعم. السنور: الدروع.

ـ ٧٨ ـ

وقال عامرٌ أيضاً

ولَتَسْـأَلَـنْ أسمـاءُ وَهْـيَ حَفِيَّـةٌ نُصَحَـاءَهـا أَطُـرِدْتُ أم لـم أُطْـرَدِ(١)
قـالـوا لهـا: فلقـد طَـرَدْنـا خيلَـهُ قُلـحَ الكِـلابِ وكنـتُ غيـرَ مُطَـرَّدِ(٢)
فَـلأَبْغِيَنَّكُـمُ المَـلاَ وعُـوَارِضـاً ولأُهبطَـنَّ الخيـلَ لابَـةَ ضَـرْغَـدِ(٣)
بـالخيـل تَعثُـر فـي القصيـدِ كـأنَّهـا حِـدَأٌ تَتَـابَـعُ فـي الطـريـقِ الأَقصَـدِ(٤)
ولأثـأَرَنَّ بمـالـكٍ وبمـالـكٍ وأخـى المَـرَوراةِ الـذي لـم يُسْنَـدِ(٥)

مضمون الأبيات: هذه الأبيات ذات صلة بيوم الرقم وهو يوم انتصرت فيه غطفان على بني عامر رهط عامر بن الطفيل، حيث فر عامر منهزماً حتى دخل بيت أسماء بنت قدامة الفزارية وصنع بها ما صنع ثم تمكن من الفرار وأكثر من ترداد اسمها في شعره. أما الذي يعبر عنه «بأخي المروراة» فهو أخوه الحكم بن الطفيل الذي خنق نفسه عندما شعر بالهزيمة في مكان يدعى المروراة. كما كان له أخ آخر قتل في هذه المعارك يسميه قتيل مرة واسمه حنظلة بن الطفيل.

وقد بدأ الأبيات بما كان من سؤال أسماء عن خيله، وإجابة قومها بأنهم قد طردوا هذه الخيل. ثم توعد أعداءه بالثأر لقتلاه مفتخراً بفرسه وسلاحه وبلائه في الحرب وصبره على شدائدها.

(١) أسماء: هي بنت قدامة بن سكين الفزاري وكان عامر يهواها. حفية: بارة مشفقة. تسأل نصحاءها عني تتعهد أحوالي.

(٢) القلح: صفرة تعلو الأسنان. يذم بني فزارة بمناداتهم قلح الكلاب.

(٣) الملا وعوارض ولابة ضرغد: مواضع. أبغينكم: أطلبكم.

(٤) القصيد: كسر القنا. الحدأ: الطيور المعروفة. الأقصد: الأكثر اعتدالاً واستقامة.

(٥) مالك ومالك: رجلان من قومه. أخو المروراة: أخوه الحكم بن الطفيل. لم يسند: لم يدفن وترك للسباع تأكله.

وقتيـــلُ مُـــرَّةَ أَثـــأَرَنَّ فـــإِنَّـــه   فَـــرعٌ وإنَّ أخـــاهُـــم لـــم يُقْصَـــدِ(٦)
يـــا أسَـــم أُخـــتَ بنـــي فَـــزارة إنَّنـــي   غـــازٍ وإنَّ المَـــرءَ غيـــرُ مُخَلَّـــدِ(٧)
فِيئـــي إليـــكِ فـــلا هَـــوَادَةَ بيننـــا   بعـدَ الفـوارس إذ ثَـوَوْا بـالمَـرْصَـدِ(٨)
إلاَّ بكـــلِّ أحَـــمَّ نَهـــدٍ ســـابـــحٍ   وعُـــلاَلـــةٍ مـــن كـــل أسمَـــرَ مِـــذْوَدِ(١)
وأنـــا ابـــنُ حَـــرب لا أزالُ أشُبُّهـــا   سَمَـــراً وأُوقِـــدُهـــا إذَا لـــم تُـــوقَـــدِ(٢)
فـــإذا تَعَـــذَّرَتِ البـــلادُ فـــأَمْحَلَـــت   فمجـــازُهـــا تَيمـــاءُ أو بـــالأَثمُـــدِ(٣)

---

(١) قتيل مُرّة: «حنظلة بن الطفيل» أخوه. فرع: رأس عال في الشرف. لم يقصد: لم يقتل.

(٢) اسم: ترخيم أسماء. مخد: باقٍ.

(٣) فيئي إليك: ارجعي إلى نفسك. الهوادة: اللين. ثووا: قضوا. أقاموا.

(٤) الأحم: الفرس لونه بين الكميت والأدهم. النهد: الضخم المرتفع. السابح: الذي يسبح في سيره للسرعة. الأسمر: الرمح. العلالة: لعلها آخر الطعن. المذود: صفة للرمح لأنه يذاد به أي يدفع بواسطته.

(٥) أشبها: أذكيها وأوقدها. سمراً: ليلاً.

(٦) تعذرت: تغيرت. أمحلت: أجدبت. مجازها: مشربها. تيماء والإثمد: موضعان.

ـ ٧٩ ـ

وقال عوفُ بن الأحْوَص (١)

أتَتْنَـا قُـريـشٌ حـافليـنَ بجمْعِهـم   وكـان لهـا قِـدْماً مـن الله نَـاصِرُ(٢)
فلمَّـا دنَـونـا لِلقِبـاب وأهلِهـا   أُتِيـحَ لنـا ذِيـبٌ مع اللَّيـل فـاجـرُ(٣)
أُتيحـت لنـا بَكـرٌ وتَحـتَ لِـوَائهـا   كتائِبُ يَرْضَاها العزيز المُفاخِرُ(٤)
وكـانـت قـريـشٌ لـو ظَهـرنـا عليهم   شِفاءً لما في الصَّدر والبُغْضُ ظاهِرُ(٥)
حَبَـتْ دُونَهـمْ بكـرٌ فلـم نَستطعهـمُ   كـأَنَّهـمُ بـالمشـرفيَّـة سـامِـرُ(٦)

(١) عوف بن الأحوص بن جعفر العامري. من بني كلاب بن عامر بن صعصعة، يكنى أبا يزيد: شاعر جاهلي. كان في أيام حرب الفجار، وهو القائل فيها:

وإنـي وقيسـاً كـالمسمـن كلبـه   فتخـدشـه أنيـابـه وأظـافـره

والأحوص لقبه، وأصل الحوص ضيق في العين. وعوف هذا ابن عم الطفيل والد عامر بن الطفيل.

مضمون الأبيات: تدور هذه الأبيات حول حرب كانت بين قبيل الشاعر وبين كنانة وبكر وقريش. ويبدو الشاعر معترفاً بشدة بأس كنانة وقريش وبراعتهم في الحرب. كما يعترف بهزيمة قومه ويرد ذلك إلى تفوق أعدائهم عدداً وتميزهم بالقوة وشدة المراس.

(٢) المعنى: جاءت قريش جميعاً وقريش كانت دائماً تحظى بنصر من الله.

(٣) القباب: أرض فيها نبات وشجر.

(٤) بكر: هم بكر بن كنانة. والكتائب: فردها كتيبة مجموعة من الفرسان.

(٥) ظهرنا عليهم: غلبناهم.

(٦) حبت: دنت. المشرفية: نوع من السيوف. السامر: المتحدث ليلاً. يريد: كأن سيوفهم مخاريق سامر يلعبون بها بالليل ويتلهون ويتحدثون غير مكترثين.

ومـا بَـرِحَـت بكْـرٌ تَثـوبُ وتَـدَّعـي ويَلحــقُ منهــم أوَّلــونَ وآخِــرُ[1]
لَـدُنْ غَـدوةً حتَّى أتـى الليـلُ وانجلَـت غَمــامــةُ يــوم شَــرُّهُ مُتَظَــاهِــرُ[2]
ومـا زال ذاكَ الـدَّأْبَ حتَّـى تخـاذلـتْ هَــوازنُ وارفَضَّــت سُليــمٌ وعــامِـرُ[3]
وكـانـت قـريـشٌ يفْلِقُ الصَّخـرَ جَـدُّهـا إذا أوهـنَ النـاسَ الْجُـدُودُ العَـوَاثـرُ[4]

---

(١) تثوب: تكثر. تدعي: تنتسب وتصف أنفسها، يطعن طاعنها ويقول: أنا فلان.. خذها من فلان...

(٢) متظاهر: شديد يركب بعضه بعضاً.

(٣) الدأب: العادة، المنوال. أرفضت: تفرقت.

(٤) الجدود: الحظوظ. العواثر: جمع عاثر، يقال عثر جده: تعس.

ـ ٨٠ ـ

وقال الجُمَيْحُ الأسديُّ، وهو مُنقذُ بن الطَّمَّاح(١)

يــا جــارَ نَضلَــةَ قــد أنَــى لــكَ أَنْ ... تَسعَــى بجــارِكَ فــي بنــي هِــدْمِ(٢)
مُتَنَظِّمِيـــنَ جِـــوارَ نضلـــةَ يـــا ... شــاهَ الــوُجُــوهُ لــذلــك النَّظْــمِ(٣)
وبنُـــو رَوَاحـــةَ ينظـــرون إذا ... نَظَــرَ النَّــدِيُّ بــآنُــفٍ خُثْــمِ(٤)
حــاشَــى أبــي ثَــوْبَــانَ إن أبَــا ... ثَــوْبــانَ ليــس ببُكْمــةٍ فَــدْمِ(٥)
عَمْــرَو بـــنَ عبـــدِالله إنَّ بـــه ... ضِنًّـــا عـــن المَلحَـــاةِ والشَّتْـــمِ(٦)

---

(١) الجميح الأسدي (نحو ٥٣ ق. هـ/ ٥٧١ م) هو منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف بن عمرو الأسدي: فارس شاعر جاهلي، قتل يوم جبلة عام مولد النبي ﷺ واختلف في اسمه واسم أبيه فزعم بعضهم أنه منقذ بن طريف. وأبوه الطماح هو صاحب امرىء القيس الذي دخل معه بلاد الروم.

مضمون الأبيات: كان نضلة بن الأشتر جاراً لبني عبس فقتلوه غدراً إذ اجتمعت رجال عدة من كل بطن من بطونهم وأمسكوا جميعاً رمحاً وطعنوه به ليضيع دمه. يصور الشاعر هذا الغدر ويهجو بني رواحة بن قطيعة بن عبس. ويستثني منهم «أبا ثوبان». ثم ينذر غطفان طراً بجيش جحفل عظيم يثأر لنضلة وينعاه بالرماح ليجزي عبساً سوء ما صنعوا. ثم يرثي فضلة فيعدد مآثره في إكرام الضيف ورعاية الجار واحتمال الحقوق والعطف على الفقير.

(٢) آنى: حان. تسعى بجارك: تطلب ثأره.

(٣) متنظمين: مجتمعين يشير إلى إمساكهم جميعاً بالرمح لقتله، وهو يتهكم بهم إذ كان الأولى بهم الاجتماع لحمايته حفظاً لحقوق الجيرة. شاه الوجوه: أي شاهت تلك الوجوه وقبحت.

(٤) الندي: النادي، أراد أهله. آنف: جمع قلة للأنف. الخثم: العظام الكثيرة اللحم.

(٥) يستثني أبا ثوبان الذي لم يكن عيياً ولا قليل الفهم.

(٦) الملحاة: اللوم.

لا تَسقِنـــــي إن لـــــم أزُرْ سَمَـــــراً غَطَفَـــانَ مَـــوكِـــبَ جَحْفَـــلٍ دَهْـــمِ (١)

لَجِـــبٍ إذَا ابتَـــدُّوا قَنَـــابلَــــهُ كنَشَـــاصِ نَـــوْءِ المِـــرْزَم السَّجْـــمِ (٢)

مَجْـــرٍ يَغَـــصُّ بـــه الفضـــاءُ، لـــه سَلَـــفٌ يَمـــوجُ عَجـــاجُـــهُ فَخـــمُ (٣)

يَنْعَـــوْنَ نَضْلَـــةَ بـــالـــرمـــاحِ علـــى جُـــردٍ تكـــدَّسُ مِشيَـــةَ العُصْـــمِ (٤)

مِـــن كـــل مُشتَـــرفٍ ومُـــدْمَجَـــةٍ كـــالكَـــرِّ مـــن كُمْـــت ومـــن دُهْـــمِ (٥)

حَتَّـــى أُجـــازي بـــالـــذي اجتَـــرمـــت عَبْـــسٌ بـــأَســـوأ ذلـــكَ الجُـــرْمِ (٦)

يـــا نَضْـــلَ للضيـــفِ الغـــريـــبِ ولِلْـــجـــارِ المَضِيـــمِ وحـــامـــلِ الغُـــرْمِ (٧)

أَمْ مَـــنْ لأَشْعـــثَ لا ينـــامُ وأَرْمـــلٍ مِثْـــل البليَّـــة سَمْلَـــةِ الهِـــدْمِ (٨)

---

(١) سمراً: ليلاً. الجحفل: الجيش العظيم. الدهم: الكثير.

(٢) اللجب: ذو الأصوات لكثرته. ابتدوا: أخذوا بجانبيه. القنابل: الجماعات. النشاص: ما ارتفع من السحاب. المرزم: نجم له نور. السجم: السائل.

(٣) المجر: الثقيل الذي لا يتبين سيره من كثرته. يغص به الفضاء: يضيق به من كثرته. السلف: الخيل المتقدمة. يمور: يذهب ويجيء. العجاج: الغبار. الفخم: الكثير.

(٤) ينعون نضلة بالرماح: أي يطعنون أعداءهم طلباً لثأره. الجرد: الخيل القصيرة الشعور. التكدس: سير الخيل مسرعة كأنها مثقلة. العصم: الوعول.

(٥) المشترف: المشرف. المدمجة: المعصوبة الخلق. الكر: الحبل. شبه الفرس في اندماجها بالحبل في فتله.

(٦) أجازي: أقتص. اجترمت: ارتكبت جرماً.

(٧) المضيم: المظلوم. حامل الغرم: من تحمل حمالة من دية ونحوها.

(٨) الأشعث: البائس الفقير. الأرملة: المحتاجة المسكينة. البلية: البعير الذي كان لرجل في الجاهلية فإذا مات الرجل شد عند قبره وفقئت عيناه وشد عقاله وترك بلا علف حتى يموت. ليركبه صاحبه يوم يبعث عند الحشر. السمل: الثوب البالي وكذلك الهدم.

ـ ٨١ ـ

وقال حاجبُ بنُ حبيبِ بن خالدٍ(١)

بـــاتَـــتْ تَلُـــومُ عَلـــى ثـــادِقٍ ... لِيُشـــرَى فقـــد جَـــدّ عِصْيـــانُهـــا(٢)

أَلاَ إِنَّ نَجْـــواكِ فـــي ثـــادِق ... سَـــوَاءٌ علـــيَّ وإعْـــلانُهـــا(٣)

وقـــالـــت: أَغِثْنـــي بـــه إنَّنـــي ... أرَى الخيـــلَ قـــد ثـــابَ أَثْمـــانُهـــا(٤)

فقلـــتُ: ألـــم تَعلمـــي أنَّـــه ... كَـــريـــمُ المَكَبَّـــةِ مِبْـــدَانُهـــا(٥)

كمَيْـــتٌ أُمِـــرَّ علـــى زَفْـــرَةٍ ... طـــويـــلُ القـــوائـــمِ عُـــرْيـــانُهـــا(٦)

---

(١) ابن المضلل: هو حاجب بن حبيب بن خالد بن قيس بن المضلل من بني ثعلبة الأسدي: شاعر جاهلي لا نعرف الكثير عنه.

مضمون الأبيات: تصور هذه الأبيات اعتزاز الشاعر بفرسه، كما تصور بعض ما كان يدور من الحوار بين الشاعر وزوجته في سياسة المال. فهي تلح عليه أن يبيع فرسه «ثادق» وتحتج بأن أثمان الخيل قد علت، وأن هذه الفرصة السانحة لبيعه فيرد عليها حجتها بأن يبين لها مناقب هذا الفرس، ينعته وينعت جماله وغناءه في الحرب والسلم.

(٢) ثادق: اسم فرسه. يشري: يباع.

(٣) النجوى: السر. يريد: سواء علي أأسررت الملامة فيه أم أعلنتها فإنها منك غير مقبولة.

(٤) المعنى: أغثنا بثمنه فإن الخيل قد ثابت أثمانها أي زادت.

(٥) كريم المكبة: أي كريم المكبة على الأعداء يهزمهم حين يحمل عليهم. مبدانها: سمينها.

(٦) الكمئة: أحمد الألوان في الخيل عند العرب (حمرة إلى سواد). أمر: فتل كما يفتل الحبل.

الزفرة: الواحدة من الزفير، كأنه زفر فطوي على ذلك. عريانها: أي هو ممحص القوائم ليس به رهل.

تـــراه علـــى الخيـــلِ ذا جُـــرْأَةٍ إذَا مـــا تَقطَّـــعَ أَقْـــرَانُهـــا[1]
فهـــنَّ يَـــرِدْنَ وُرُودَ القَطـــا عُمَـــانَ وقـــد شُـــدَّ مُـــرَّانها[2]
طـــويـــلٌ العِنـــانِ قليـــلُ العِثـــا رِ خـــاظِـــي الطَّـــريقَـــةِ رَيَّـــانُهـــا[3]
وقلـــت ألـــم تَعلَمـــي أنَّـــه جَميـــلُ الطُّـــلالـــةِ حُسَّـــانُهـــا[4]
يَجُـــمُّ علـــى الســـاقِ بعـــدَ المِتـــانِ جُمـــومـــاً ويُبْلَـــغُ إمْكـــانُهـــا[5]

---

(١) المعنى : تراه يتقدم الخيل جميعاً لا يتعب بينما هي تتأخر تعباً .

(٢) المران : الرماح . شد : ضبط وأحكم .

(٣) الخاظي : الكثير اللحم ، المكتنز اللحم . الطريقة : طريقة متنه أي ظهره . ريانها : ممتلئها .

(٤) الطلالة : ما أشرف منه . الحسان : التام الحسن الزائد على الحسن .

(٥) يجم : يكثر جريه كما يجم الماء ، والجم الكثير . المتان : المباعدة في الغاية . يبلغ إمكانها : أي تصيب الساق منه ما تريد من الجري : يريد أنه إذا حركه بساقه جم جريه وزاد .

ـ ٨٢ ـ

وقال حاجبٌ أيضاً

أَعلنْـتَ فـي حُـبِّ جُمْـلٍ أيَّ إعـلانِ ... وقـد بـدا شَـأْنُهـا مـن بَعـدِ كِتْمـانِ[١]

وقـد سَعَـى بيننـا الـواشـونَ واختلفـوا ... حتَّـى تجنَّبْتُهـا مـن غيـر هِجْـرَانِ[٢]

هـل أَبْلُغَنْهـا بمثـلِ الفَحْـل نـاجيـة ... عَنْسٍ عُـذَافِـرَةٍ بـالـرَّحْـلِ مِـذْعـانِ[٣]

كـأَنَّهـا واضـحُ الأَقـرابِ حَـلأَهُ ... عـن مـاءِ مَـاوَانَ رامٍ بعـد إمْكـانِ[٤]

فجـال هـافٍ كسفُّـودِ الْحَـديـدِ لـه ... وَسْـطَ الأَمـاعِـز مـن نَقْـعٍ جَنَـابـانِ[٥]

مضمون الأبيات: يعبر الشاعر في هذه الأبيات عن حبه «جُمْل» ولكنه يتجنبها في ظاهر الأمر بتأثير من الوشاة. ثم يتمنى أن يصل إليها على ظهر ناقة يشبهها بالحمار الوحشي الذي ينعته بعدد من الأبيات لينتقل بعد ذلك إلى مدح قوم جاورهم خالصاً بعد ذلك إلى محد «الحارثين» بجودهما وكرمهما.

(١) المعنى: اعترف بحب جمل علانية وقد ظهر ذلك مني رغم محاولتي كتمان هذا الأمر وستره عن الناس.

(٢) المعنى: لقد أكثر الواشون الكلام في هذا الموضوع حتى تجنبتها ستراً لها لا هجراً وفراقاً.

(٣) الناجية: السريعة. العنس: الناقة القوية الصلبة. العذافرة: الضخمة. المذعان: المطيعة، المنقادة.

(٤) الواضح: الأبيض، يصف حماراً وحشياً. الأقراب: جمع قرب وهو الخاصرة. حلأه: منعه. ماوان: موضع. الرامي: الصائد.

(٥) جال: ذهب وجاء. الهافي: السريع. شبهه بسفود الحديد في النفاذ. الأماعز: أرض ذات حصى. النقع: الغبار. الجنابان: الجنابان. أراد أنه من شدة عدوه ووقعه على الأرض يرتفع له غبار في موضع لا يكون فيه غبار.

تــأوِي سنــابــكُ رجلَيْــهِ مُحَنَّبــةً ... فـي مُكـرَهٍ مـن صَفيـح القُـفِّ كَـذَّانِ (١)

يَنتــابُ مــاءَ قُطَيَّــاتِ فــأخلَفَــهُ ... وكــان مَــوْرِدُهُ مــاءً بِحَــوْرانِ (٢)

فلــم يَهُلْـهُ ولكــن خَـاضَ غَمْـرَتَـهُ ... يَشْفـي الغَليـلَ بعَـذبٍ غيـرِ مِـدَّانِ (٣)

ويـلُ أمِّ قَـومٍ رأينـا أمـسِ سـادتَهـم ... فـي حـادثـاتٍ ألَمَّـتْ خيـرَ جيـرانِ (٤)

يَـرْعَيْـنَ غِبًّـا وإنْ يَقْصُـرْنَ ظـاهـرةً ... يَعطِفْ كرامٌ على ما أحدثَ الجانِي (٥)

والحـارثـانِ إلـى غـايـاتهـم سَبَقَـا ... عَفْـواً كمـا أحْـرزَ السَّبـقَ الجَـوادانِ (٦)

والمُعطيـانِ ابتغـاءَ الْحَمـدِ مـالَهمـا ... والحمـدُ لا يُشْتَـرَى إلاَّ بــأثمـان (٧)

---

(١) محنبة: من التحنيب وهو الاحديداب في الساقين. مكره: في مكان يوجد فيه على السائر كراهة.

القف: الصلب من الأرض وصفيح القف: ما استوى منه. الكذان: الحجارة الرخوة.

(٣) قطيات وحوران: موضعان. أخلفه: وجده لا ماء فيه.

(٤) لم يهله: لم يفزعه. الغليل: العطش. المدان: ما سال من الدلاء فاستنقع قدام الغدير.

(٥) المعنى: الويل لأم قوم رأينا سادتهم في الحادثات خير جيران.

(٦) الغب: أن تشرب الإبل يوماً وتظمأ يوماً. الظاهرة: أن يشرب كل يوم نصف النهار. وهو هنا يصف حسن أخلاقهم مع شركائهم في الماء فلا يضايقونهم. وإن اتفق من واحد منهم جناية على مشاربه يعطفهم الكرم عليه حتى يرضى.

(٧) سهلاً: من غير مشقة. يريد لا أحد يستطيع بعد غاية «الحارثين».

(٨) المعنى: يتابع مدح الحارثين الذين يشتريان الحمد بالمال ولكل شيء ثمن!

ـ ٨٣ ـ
وقال سُبَيْعُ بن الخَطِيم(١)

بـانَـتْ صَـدُوفُ فقلبُـه مَخطـوفُ ... ونـأَتْ بجـانبهـا عليـك صَـدُوفُ(٢)
واستَـودَعتـك مـن الـزَّمـانـةِ إنَّهـا ... ممـا تـزورك نـائمـاً وتَطُـوفُ(٣)
واستبـدلَـتْ غيْـرِي وفـارقَ أهلُهـا ... إنَّ الغَنـيَّ علـى الفقيـر عَنِيـفُ(٤)
إمَّـا تَـرَيْ إبلـي كـأَنَّ صُـدورَهـا ... قَصَـبٌ بـأيـدي الـزَّامِـريـنَ مَجُـوفُ(٥)
فـزجـرتُهـا لمّـا أذِيـتُ بسَجْـرهـا ... وقَفـا الحنيـنَ تَجَـرُّرٌ وصَـريـفُ(٦)

---

(١) سبيع بن الخطيم: من سادات بني التيم بن عبد مناة، من تميم: شاعر فارس جاهلي، عاصر بعض الإسلاميين. وكان فارس نحلة. شهد يوم جزع الأطلال. وقد خطب إلى عمه فقال: نعم أزوجك بنتي على أن تعطيني فرسك «نحلة» فأبى وقال في ذلك شعراً.

مضمون الأبيات: يبدي الشاعر أسفه لرحلة صاحبته «صدوف» وما أثر ذلك في قلبه وجسمه. وأن خيالها يعاوده في النوم. وأبدى أيضاً أن من أسباب هذه الرحلة عنف الغني على الفقير. تحدث بعد ذلك عن إبله وحنينها وذكر مرابعها ومصايفها ومشتاها. ثم فخر برعيه الغيث في الأرض البعيدة الوحشية ذات البقر. ثم ذكر اشتراكه بالحروب وفروسيته، ووصف فرسه والأمطار والسحب والزهر الذي يزين حفافي الغدير وسواها من الموضوعات.

(٢) بانت: انقطعت. صدوف: اسم امرأة. نأت: بعدت.

(٣) الزمانة: الحب بما يصيب من أوصاب.

(٤) المعنى: لقد اختارت سواي وتصرفت معي كما يتصرف الغني مع الفقير.

(٥) المجوف: الواسع الجوف. الزامرين: الذين يزمرون. يريد أن إبله تحن.

(٦) زجرتها: نهرتها. أذيت: تأذيت. السجر: فوق الحنين من الإبل. قفا: تبع. التجرر: ما يخرجه البعير ونحوه من بطنه ليمضغه ثم يبلعه. الصريف: أن تصرف بنابها.

فـــاقْنَـــيْ حيـــاءَكِ إنَّ ربَّـــكِ هَمُّـــهُ ... فـي بَيْـنِ حَـزْرَةَ والثُّـوَيْـرِ طَفِيـفُ[1]
فـــاسْتَعجَمــتْ وتتــابعــتْ عَبَــرَاتُهــا ... إنَّ الكــريــمَ لِمــا ألــمَّ عَــرُوفُ[2]
واعتــادَ لمَّــا أن تَضَــايــقَ سِــرْبُهــا ... بِلِــوَى بــوادِرَ مَــرْبَــعٌ ومَصِيــفُ[3]
وإذَا شَتَــتْ يــومــاً فــإنَّ مكــانَهــا ... بَلَــدٌ تَحَــامــاهُ الــرجــالُ وَرِيــفُ[4]
ولقــد هَبَطْــتُ الغَيْــثَ أصبحَ عــازبــاً ... أُنُفــاً بــه عُــوذ النِّعــاج عُطُــوفُ[5]
متهجِّمَـــاتٌ بـــالفَـــرُوق وثَبْـــرةٍ ... حِيــنَ ارتبــأْتُ كــأَنَّهُــنَّ سُيــوفُ[6]
ولقــد شَهِــدتُ الخيــلَ تحمِــلُ شِكَّتــي ... جَــرداءُ مُشْــرِفَــةُ السَّــراةِ سَلــوفُ[7]
تــرمــي أمــامَ النــاظِــرَيــن بمُقلــةٍ ... شَــوْسَــاءَ يــرفعُهــا أشــمُّ مُنِيــفُ[8]
ومجــالــس بيــضِ الــوجــهِ أعــزَّةٍ ... حُمــرِ اللِّثــاتِ كَــلامُهــمْ معــروفُ[9]
أربــابُ نَخلَــةَ والقُــريــظِ وشــاهِــمٍ ... إنِّــي كــذلــكِ آلِــفٌ مــأْلُــوفُ[10]

---

(١) اقني حياءك : احفظيه . حزرة والثوير : موضعان .

(٢) استعجمت : لم ترد جواباً . تتابعت : انهمرت . عبراتها : دموعها . عروف : صبور .

(٣) اعتادها : انتابها . اللوى : منعرج الرمل . نوادر : موضع . المربع : المكان الذي يقيمون فيه في الربيع والمصيف مكان الإقامة في الصيف .

(٤) تحاماه الرجال : تتحاماه لخوفه .

(٥) العازب : البعيد المتنحي . الغيث : يريد الكلأ لأنه من الغيث . أنف : يريد هبطته أول واحد فرعيته قبل أن يسبقني إليه أحد . العوذ : الحديثات النتاج . النعاج : البقر الوحشية .

(٦) متهجمات : داخلات في «كنسهن» والكنس بيت البقرة الوحشية . الفروق وثبرة موضعان . ارتبأ : راقب وحفظ . جعلهن كالسيوف في بريقهن وحسنهن .

(٧) الشكة : السلاح . السراة : الظهر . السلوف : المتقدمة . الجرداء : القصيرة الشعر . مشرفة : عالية .

(٨) الخوصاء : الغائرة . يرفعها : يرفع العين حجاج منيف ، وإنما يريد أن حجاجها مرتفع وهذا مدح ، والحجاج : العظم الذي ينبت عليه الحاجب .

(٩) اللثات : جمع لثة .

(١٠) نخلة والقريظ وشاهم (وقيل وساهم كما في المفضليات) : مواضع . آلف ومألوف : أعامل بالألفة وأعامل بمثلها .

إنّـــي مطيعُـــكِ ثـــم إنِّـــي ســـائِـــلٌ قَـــومـــي وكلُّهـــمُ علـــيّ حَلِيـــفُ[١]
مِـــن غيـــر مـــا جُـــرْم أكـــونُ جنيتـــهُ فيهـــم ولا أنـــا إنْ نُسِبْـــتُ قَـــذِيـــفُ[٢]
ومُسيَّـــبٍ خَصِـــرٍ ثـــوى بمضَلَّـــة وإذا تُحـــرِّكُـــهُ الـــريـــاحُ يَـــزيـــفُ[٣]
حَلَّـــت بـــه بعـــدَ الهـــدُوِّ نِطـــاقَهـــا مِسْـــعٌ مُسَهَّلَـــة النِّتـــاج رَجُـــوفُ[٤]
تَـــزَعُ الصَّبَـــا رَيْعـــانَـــهُ ودَنَـــتْ لـــه دُلـــحٌ يَنُـــؤْنَ عِظـــامُهُـــنَّ ضعِيـــفُ[٥]
تَنفِـــي الحَصَـــى حَجَـــراتُـــه فكـــأنـــه برحالِ حِمْيَرَ بالضُّحَى مَحفُوفُ[٦]

(١) حليف: يريد وكلهم معين عليّ فكأنهم تحالفوا ضدي.
(٢) المعنى: لست بدخيل في قومي فأقذف بذلك. قذيف هنا بمعنى دعي النسب.
(٣) الخصر: البارد. ثوى: أقام. يزيف: يسرع. والمسيب عنى به غديراً قد سيب وترك بمضلة من الأرض فإذا حركته الريح اضطرب.
(٤) النطاق: شقة تلبسها المرأة تشد بها وسطها. المسع: ريح الجنوب. وقيل ريح الشمال. رجوف: ترجف. المعنى: إن هذا الغدير أتى عليه المطر ليلاً من سحابة حلت نطاقها واستدرتها ريح الجنوب هدواً بعد نوم الناس. وجعل للسحاب نتاجاً وحملاً.
(٥) الصبا: ريح مهبها من الشرق. تزعه: تكفه. ريعانه: أوله. الدلح: جمع دلوح وهي الثقيلة لكثرة مطرها. ينؤن: ينهضن وهي مسترخية الجوانب لا تماسك لأرجائها.
(٦) حجراته: نواحيه. برحال حمير: أراد ألوان النبت التي تكون عن المطر شبهه بالرحال المزينة وإنما خص حمير لأنهم ملوك، فرحالهم مختلفة الألوان فشبه ألوان الزهر بها.

ـ ٨٤ ـ

وقال ربيعةُ بنُ مَقْرومٍ الضَّبِّيُّ(١)

تَـذكَّـرتَ والـذكـرى تَهيجُـكَ زينبَـا ... وأصبحَ بـاقـي وصلِهـا قـد تَقَضَّبـا(٢)
وحـلَّ بفَلْـجٍ فـالأبـاتـرِ أهلُهـا ... وشطَّـتْ فحلَّـتْ غَمـرَةً فمُثَقَّبـا(٣)
وطـاوعـتُ أمـرَ العـاذِلاتِ وقـد أُرَى ... عليهـنَّ أبَّـاءَ القَـرينـةِ مِشْغَبـا(٤)
فيـا رُبَّ خَصْـمٍ قـد كَفَيـتُ دِفـاعَـه ... وقَـوَّمـت منـه دَرْأَهُ فَتنكَّبـا(٥)
ومـولًـى علـى ضَنْـكِ المَقَـامِ نَصرتُـه ... إذَا النَّكسُ أكبَـى زَنْـدُهُ فتـذَبـذَبـا(٦)

---

(١) ربيعة بن مقروم (بعد ١٦ هـ/ بعد ٦٣٧ م) ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي. من شعراء الحماسة. من مخضرمي الجاهلية والإسلام. وفد على كسرى في الجاهلية. وحضر بعض الفتوح في الإسلام وحضر وقعة القادسية. وعاش حوالي ١٠٠ سنة.

مضمون الأبيات: يبدأ الشاعر أبياته بتذكر هواه أيام الصبا. ثم يذكر بعد ذلك جلده في مقاومة الخصم ونصرة المولى. ويتمدح برد الأعداء وقرى الضيف. ثم يصف فرسه ورمحه ويفتخر بشرب الخمر وحماية الإبل ورد المعتدي، ليصف بعد ذلك سرعة الخيل وشجاعة الفرسان. ثم يعدد قبائل من طيء نكل بها قومه، كما يذكر أسماء عدد من الفرسان الذين قتلوهم.

(٢) تقضب: تقطع.

(٣) شطت: بعدت. فلج والأباتر وغمرة ومثقب: مواضع.

(٤) أباء: من الأباء. القرينة: النفس. مشغب: شديد الشغب.

(٥) الدرء: الميل. تنكب: عدل عما كان فيه.

(٦) المولى: هنا الولي. الضنك: الضيق. النكس: الرديء من الرجال. أكبى زنده: لم يأت بشيء كما يكبو الزند إذا لم تكن فيه نار. تذبذب: لم يثبت على شيء.

وأضيـافِ ليـلٍ فـي شَمَـالٍ عَـريَّـة   قَريتُ من الكُوم السَّدِيفَ المُرَعَّبا[1]
وواردَةٍ كـأنَّهـا عُصَـبُ القَطَـا   تُثِيـرُ عَجَـاجـاً بـالسَّنـابـك أصْهَبَـا[2]
وَزَعْـتُ بمثـل السِّيـدِ نَهـدغ مُقَلِّـصٍ   كَميـشٍ إذَا عِطْفـاهُ مـاءً تَحَلَّبَـا[3]
وأسمـرَ خطِّـيٍّ كـأنَّ سِنـانَـه   شِهـابُ غضًـى شيَّعْتَـهُ فتلهَّبَـا[4]
وفتيـانِ صِـدقٍ قـد صَبَحـتُ سُـلافـةً   إذا الدِّيكُ في جَوشٍ من اللَّيلِ طرَّبا[5]
سُخَـامِيَّـةً صَهْبَـاءَ صِـرفـاً وتـارةً   تعَـاوَرُ أيـديهـم شِـوَاءً مُضهَّبَـا[6]
ومشجـوجـةً بـالمـاءِ ينْـزُو حَبـابُهـا   إذا المُسْمِـعُ الغِـرِّيـدُ منهـا تحَبَّبـا[7]
وسِـرْب إذا غـصَّ الجَبَـانُ بـريقـهِ   حَمَيْتُ إذا الدَّاعي إلى الرَّوْع ثوَّبا[8]
ومَـرْبَـأَةٍ أوْفيـتُ جُنْـحَ أصِيلـةٍ   عليهـا كمـا أوْفـى القَطَـاميُّ مَـرقبـا[9]

---

(١) الشمال: الريح المعروفة. العرية: الباردة. الكوم: جمع كوماء وهي العظيمة السنام. السديف: شحم السنام. المرعب: المقطع.

(٢) الواردة: قطع من الخيل. عصب القطا: جماعاتها. شبه بها الخيل في سرعتها. أصهب: يعني الغبار في لونه.

(٣) وزعت: كففت. السيد: الذئب. النهد: الضخم. المقلص: الطويل القوائم. كميش: سريع. عطفاه: جانباه. الماء: هنا العرق. تحلب: سال.

(٤) الأسمر: الرمح. خطي: منسوب إلى الخط موضع بالبحرين. الشهاب: النار في رأس العود. الغضا: شجر كثير النار حسن التوقد. شيعته: أعنته بحطب.

(٥) صبحت: سقيتهم الصبوح. السلافة: خالص الشراب وأوله. جوش في الليل: قطعة من آخره.

(٦) السخامية: السهلة اللينة السلسة، أراد الخمر. الصهباء: التي تقرب إلى البياض لعتقها. تعاور: تتناول. المضهب الملهوج وهو الذي لم ينضج.

(٧) المشجوجة: الممزوجة. ينزو: يرتفع. الحباب: كحباب الماء وهي النفاخات تعلوها عند الصب. الغريد: الذي يغرد في صوته، يعني مغنياً. تحبب: روي.

(٨) السرب: القطيع من الإبل. غص الجبان بريقه: جف ريقه فلم يسغه. الروع: الفزغ. ثوب: استغاث مرة بعد أخرى.

(٩) المربأة: الجبل يربأ عليه الربيئة وهو الطليعة. أوفيت: علوت وأشرفت. الأصيلة: العشية.

رَبيئَـــةَ جَيـــشٍ أو ربيئـــةَ مقْنَـــبٍ إذا لـم يَقُـدْ وَغْـلٌ مـن القـوم مِقْنَبَا[1]
فلمَّـــا انْجلَـى عَنِّـي الظَّـلامُ دَفعْتُهـا يُشبِّهُهـا الـرائـي سَـراحِيـنَ لُغَّبـا[2]
إذَا مـا عَلَـتْ حَـزْنـاً بَـرَتْ صَهَـوَاتِـه وإنْ أَسْهَلَـتْ أَذْرَتْ غُبـاراً مُطَنَّبـا[3]
فما انصرفَـتْ حَتَّى أَفاءَت رماحُهم لأعدائهم في الحرب سَمًّا مُقشَّبا[4]
مغـاويـرُ لا تَنْمِـي طـريـدةُ خيلِهـم إذ أَوْهَـنَ الـذُّعـرُ الجَبَان المُـرَكَّبـا[5]
ونحـن سَقينـا مـن فَـريـرٍ وبُحتُـرٍ بكـلِّ يَـدٍ مِنَّـا سِنـانـاً وثعلبـا[6]
ومَعـنٍ ومِـن حَيَّـيْ جَـديلـة غـادرتْ غَمِيـرةَ والصِّلَّخْـمَ يَكْبُـو مُلَحَّبـا[7]
ويـومَ جُـرَادَ استلحَمـتْ أَسَـلاَتُنَـا يَـزيـدَ ولـم يَمْرُر لنا قـرنُ أعضبـا[8]
وقـاظَ ابْنُ حِصـن عـانِيـاً فـي بُيـوتِنـا يعـالـجُ قِـدًّا فـي ذراعَيْـه مُصْحَبـا[9]

جنحها: ميلها وتوليها نحو الغروب. القطامي: الصقر. المرقب: الموضع الذي يرقب عليه الصيد. يريد: كنت في نظري وحدي وذكائي كالصقر في نظره الصيد.

(١) ربيئة: طليعة. المقنب: أقل من الجيش. الوغل: من لا خير عنده.

(٢) السراحين جمع سرحان وهو الذئب. اللغب: المتعبة من اللغوب وهو التعب والإعياء.

(٣) الحزن: الغليظ من الأرض. الصهوات جمع صهوة وهو أعلى المتن من الإنسان. جعلها من الأرض تشبيهاً. برتها: يعني بحوافرها. أسهلت: صارت في السهل. أذرت: أثارت. مطنب: كأن للغبار أطناباً وهي الحبال تشد بها بيوت العرب إلى الأوتاد.

(٤) أفاءت: ردت وأرجعت. المقشب المخلوط.

(٥) المغاوير: جمع مغوار وهو كثير الغارات. لا تنمي: لا تنجو. الطريدة: ما طرد من إبل الناس. يريد: إذا طردوا إبلاً لم تستنقذ منهم. أوهل: أفزع. المركب: الذي يستعير فرساً ليغزو عليه فيكون له نصف الغنيمة.

(٦) فرير وبحتر: قبيلتان. الثعلب: ما دخل من طرف الرمح في السنان.

(٧) معن وجديلة وعميرة والصلخم: قبائل. يكبو: ينكب على وجهه. الملحب: من قولهم لحبه أي ضربه بالسيف أو جرحه.

(٨) جراد: موضع كان فيه يوم من أيامهم. الأسلات: القنا. استلحمت: جعلته لحماً. الأعضب من الظباء: المكسور أحد القرنين والعرب تتشاءم به: يريد أنه ما مر في ذلك الوقت ما يدفع إلى التشاؤم.

(٩) قاظ أقام القيظ كله. العاني: الأسير. القد: السير من الجلد. وقد مصحب: عليه صوفه أو شعره أو وبره.

وفـارسَ مَـرْدُود أشـاطـتْ رمـاحُنـا وأجْـزَزْن مسعـوداً ضِبـاعـاً وأذْؤُبـا[1]

(١) مردود: اسم فرس، فارسها زياد الغساني أخو محرق بن الحرث بن مزيقياء. أشاطت رماحنا: عرضته للقتل. أذؤب: جمع ذئب. أجزرن: جعلته جزراً للضباع والذئاب.

ـ ٨٥ ـ

وقال عبدُالله بن عَنَمَةَ الضَّبّيُّ[(١)] يمدحُ الحَوْفَزانَ، وهو الحارث بن شَرِيك

أشتَّ بليلَى هَجْرُها وبِعادُها	بما قد تُواتينا وينفعُ زادُها[(٢)]
سنلهو بليلَى والنَّوَى غَيرُ غَرْبة	تضمَّنها من رامتين جِمادُها[(٣)]
ليالِيَ ليلى إذ هيَ الهمُّ والهوَى	يُريدُ الفؤادُ هجرَها فيُصادُها[(٤)]
فلمَّا رأيتُ الدارَ قَفْراً سألتُها	فعَيَّ علينا نُؤْيُها وَرَمادُها[(٥)]

---

(١) ابن عنمة (بعد ١٥ هـ/ ٦٣٦ م) عبدالله بن عنمة بن حرثان الضبي. شاعر مخضرم. عاش في الجاهلية ورثى فيها بسطام بن قيس. ثم شهد القادسية سنة ١٥ هـ في الإسلام. كان متزوجاً في بني شيبان، نازلاً فيهم وهو ابن أختهم.
مضمون الأبيات: يبدأ أبياته بذكر ليلى وهجرها وأمله بجمع شمله بها من جديد. ثم ينتقل إلى مدح الحوفزان الحرث بن شريك، يمدحه بالشجاعة، ثم يهجو أعداءه ويصور حقدهم. ثم يذكر نزول الحوفزان عند امرأة باهلية هزئت بخمع رجله وعجبت كيف يكون رئيساً، ولكنها عندما عرفت فروسيته انتابها خوف شديد، ووصف سوء قراها للضيف. وفي الأبيات وعيد لبني عبيد، ووعيد لبني سعد كافة وهم رهط قيس بن عاصم المنقري الذي حفز الحوفزان يوم جدود.

(٢) أشت: فرق.

(٣) النوي: وجهك الذي تريده في سفرك. الغربة: البعد. رامتين: موضع بالبادية. الجماد: الأرض الصلبة.

(٤) يصادها: يصير صيداً لها. الفؤاد: القلب.

(٥) قفراً: خالية. النؤي: الحاجز من تراب حول الخيمة ليمنع السيل. يقول: سألنا النؤي فلم يجبنا وعيي عن الإجابة.

فلـــم يَبْـــقَ إلاَّ دِمْنَـــةٌ ومَنَـــازِلٌ كمـا رُدَّ فـي خـطِّ الـدَّواةِ مِـدادُهـا (١)
إذا الحـــارثُ الحـــرَّابُ عـــادَى قبيلـــةً نكَـاهـا ولـم تَبْعُـدْ عليـه بـلادُهـا (٢)
سَمَـوتَ بجُـردٍ فـي الأعِنَّـةِ كـالقنـا وهُـنَّ مطـايـا لا يَحـلُّ فِصـادُهـا (٣)
تُعَلِّـقُ أضغـاثَ الحَشيـشِ غُـواتُهـا وتُسْقَى لِخِمْسٍ بعد عِشْرٍ مُرَادُها (٤)
يُطرِّحـنَ سَخْلَ الخيـل فـي كـلِّ منزلٍ تبيَّـنُ منـه شُقْـرُهـا وَورَادُهـا (٥)
لهـــنَّ رَذِيَّـــاتٌ تفُـــوقُ وحـــاقِـــنٌ من الجُهْدِ والمِعْزَى أبانَ كُبَادُها (٦)
كفـــاك الإلَـــهُ إذْ عَصَـــاك مَعـــاشِـــرٌ ضِعـافٌ قليـلٌ للعـدُوِّ عَتَـادُهـا (٧)
صُـــدورُهُـــمُ تغلـــي عليـــكَ شَنَـــاءَةً فلا حُلَّ من تلك الصُّدورِ قِتادُها (٨)

---

(١) الدمنة آثار الناس وما سودوا من رماد. يصف الدار ودروسها.

(٢) الحرَّاب: من الحرب أو من قولهم حربه أي سلبه ماله. والحارث هو الحارث بن شريك لقب بالحوفزان لأن قيس بن عاصم المنقري زجه بالرمح حين فاته فحفزه عن فرسه فعرج منها. نكاها: أصاب منها وأكثر الجراح والقتل.

(٣) سموت: ارتفعت إلى العدو. الجرد: الخيل القصيرة الشعر. القنا: الرماح أراد أنها دقيقة مضمرة. فصادها: ما يفصد من دمها فيؤكل. يريد: هي أكرم من أن يستحل فيها ذلك. وفي هذا تعريض وكان قوم من أعداء الممدوح يأكلون الفصيد ويقرون الضيف منه. وهذا أبعد عاراً ومخزية.

(٤) الأضغاث: جمع ضغث. وهو مثل الحزمة ملء الكف ونحوه. غواتها: جمع غاو وهو الهزيل. الخمس: أن ترد يوماً وتتركه ثلاثة أيام وترد في الخامس. العشر: أن ترد يوماً وتتركه ثمانية أيام وترد في العاشر. مرادها: من أراد يرود إذا ذهب. يصف الشاعر صبر الخيل على ما يلحقها من التعب في الغزو واجتزائها بما يعلق عليها من الحشيش اليابس وعلى تأخير الورود.

(٥) السخل: أصله ولد الشاة وجعله للخيل. أراد أنهن للتعب الذي يلحقهن ينبذن أولادهن في المنازل وقد كبرت حتى يتبين للناظر إليها ألوانها من ورد وأشقر.

(٦) الرذيات: جمع رذية وهي المهزولة من السير. تفوق: من الفواق وهي الريح تشخص من الصدر، أي هي تفوق من الجهد. الحافن: التي من ضعفها لم تستطع أن تخرج عند ولادها. جميع ما ينبغي أن يخرج مع ولدها فبقي في جوفها. أبان: ظهر الكباد: وجع الكبد. وقيل داء يأخذ المعزي فيهلكها. يريد كأنها معزي قد كبدها الجهد ونفخ بطونها.

(٧) العتاد: العدة.

(٨) الشناءة: البغض. النفاسة: الحسد. القتاد: شجر صلب كثير الأشواك.

بـأيـديهـم قَـرْحٌ عـن العَكْـم جـالِـبٌ | كما بان في أيدي الأُسَارَى صِفادُها(١)
قد اصفرَّ من سَفعِ الدُّخَانِ لِحاهُمُ | كما لاحَ في هُدْبِ المُلاء جِسادُها(٢)
لِئـــامٌ مُبِيــــنٌ للعشيـــرة غشُّهـــم | وقد طال من أكل الغِثاثِ افتِئادُها(٣)
فــآبَ إلـــى عُجْـــرُوفـــةٍ بـــاهليّـــةٍ | يُخَـلُّ عليهـا بـالعَشِـيّ بِجَـادُهـا(٤)
حُـذُنَّـةُ لمَّـا ثـابـت الخيـلُ تـدَّعِـي | بمُـرَّة لـم تُمنَـعْ وطـار رُقـادُهـا(٥)
تقـولُ لـه لمَّـا رأتْ خَمْـعَ رجْلـه: | أهـذا رئيـسُ القـوم؟ رَادَ وِسـادُهـا(٦)
رأتْ رجـلاً قـد لاحَـهُ الغـزْوُ مُعلِماً | لـه أُسـرةٌ فـي المجـد راسِ عمـادُهـا(٧)
فبـاتــتْ تُعَشِّيــه الفصِيـدَ وأصبحــتْ | يُفَـزَّعُ مـن هَـوْل الجَنـانِ فُـؤَادُهـا(٨)
وإنِّـــي علـــى مـــا خيَّلَـــتْ لأَظُنُّهـــا | سيـأْتـي عُبَيـداً بَـدؤُهـا وعِيـادُهـا(٩)

---

(١) العكم: شد الأحمال على الإبل. الجلبة: قشرة تعلو الجرح. الصفاد: الشد. يقول أثر العمل في أيدي عدائك كأنه الشد في أيدي الأسارى فهم بالتالي ليسوا فرساناً ولا ملوكاً، أي هم لا يضرونك.

(٢) يصفهم بأنهم ابرام لا يدخلون مع القوم في الميسر، وأنهم يلزمون المطابخ تطفلاً واختلاطاً بالطهاة، فاصفرت لحاهم من لون الدخان، وشبه لون لحاهم بلون هدب الملاءة المصبغة بالجساد وهو الزعفران.

(٣) الغِثاث: جمع غث وهو الذي ليس فيه سمن. الافتئاد: شي اللحم أو الخبز.

(٤) آب: عاد يعني الحارث بن شريك. العجروفة: العجوز. البجاد: الكساء. يُخل: يدخل فيه الخلال.

(٥) حُذنة: اسم العجوز. نابت بمرة: رجعت بأسير اسمه مرة. تدعي: تنتسب. طار رقادها: خافت العجوز وأحست بالشر ففارقها النوم والهدوء.

(٦) الخمع: العرج. راد: قلق. دعا عليها بأن تبلى بما يقلقها لأنها استخفت به.

(٧) لاحه: غيره وأشحب لونه. المعلم: الجاعل لنفسه علماً يعرف به في الحرب ولا يفعل ذلك إلا الشجاع. الراسي: الثابت. العماد: جمع عمود أي بيته ثابت في الكرم.

(٨) تعشيه الفصيد: أي فصدت له جملاً فأطعمته دم الفصيد، وكان قوم من العرب يفعلون ذلك فيعيرون به. الجنان: روع القلب وقيل بل هو القلب.

(٩) العياد: العود.

سيـــأتــي عُبيـــداً راكـــبٌ فيقُـــودُه فيَهبطُ أرضاً ليس يُرعَى عَرَادُها[1]
فلـولا وَجَـاهـا والنِّهـابُ الـذي حَـوَتْ لكـان علـى أبنـاءِ سَعْـد مَعـادُهـا[2]

---

(١) العراد: نوع من النبات.
(٢) الوجى: وجع يجده الفرس في حافره. معادها: رجوعها. النهاب: الغنيمة.

ـ ٨٦ ـ

وقال عبدالله بن عَنَمةَ أيضاً
وهو من بني غَيْظ بن السِّيد

مـا إنْ تـرَى السِّيدُ زَيـداً فـي نفـوسهـمُ كمـا تـراه بنـو كُـوزٍ ومـرْهـوبُ[(١)]

إنْ تسـألـوا الحـقَّ نُعـطِ الْحَقَّ سـائلَـهُ والـدِّرْعُ مُحْقَبَـةٌ والسيـفُ مَقْـرُوبُ[(٢)]

فـإنْ أبَيْتُـمْ فـإنَّـا مَعْشَـرٌ صُبُـرٌ لا نَطْعَـمُ الـذُّلَّ إنَّ السـمَّ مَشْـرُوبُ[(٣)]

فـازْجُـرْ حِمـارَكَ لا يـرتَـعْ بـروضتنـا إذَنْ يُـرَدَّ وقيْـدُ العَيْـرِ مَكْـرُوبُ[(٤)]

مضمون الأبيات: يقول في البيت الأول أن قومه «السيد» لا يوجبون لبني زيد في نفوسهم من الحرمة والتبجيل ما يوجبه بنو كوز وموهوب والقبائل الأربع كلهم من بني ضبة بن اد بن طابخة. ثم يخاطب بني السيد: إن أردتم الصلح أجبناكم والسلاح مستور، وإن أبيتم أظهرناه لكم. ثم طلب من عدوه أن ينتهي وينزجر وإلا جر على نفسه شراً مستطيراً كشؤم داحس على غطفان. ثم ينذر بني ذهل وهم أخوة بني السيد أنهم إن غضبوا لأخوتهم أولئك فليس هناك ما يدعو إلى تقاعس بني السيد عن نصرة زرعة فليس هناك فاضل ولا مفضول، وإنما هم جميعاً سواسية.

(١) السيد وزيد وكوز ومرهوب: قبائل. يريد أن بني السيد لا يوجبون لبني زيد في نفوسهم من الحرمة والتبجيل ما يوجبه بنو سعد ومرهوب.

(٢) محقبة: في حقيبة البصير. مقروب: أي في قرابه. يريد: إن أردتم الصلح أجبناكم والسلاح مستور، وإن أبيتم أظهرناه لكم.

(٣) المعنى: إن أبيتم فإنا لا نقبل الضيم ونؤثر عليه السم إن لم نجد عنه مندوحة.

(٤) مكروب: شديد الفتل. يرتع: يرعى. يقول: انته عنا وازجر نفسك عن التعرض لنا وإلا رددناك مضيقاً عليك.

ولا تكـونَـنْ كمَجْـرَى داحـس لكـمُ   في غَطَفـانَ غَـداةَ الشِّعْـبِ عُـرْقُـوبُ[1]

إنْ تَـدْعُ زَيْـدٌ بنـي ذُهْـلٍ لمغْضَبَـةٍ   نَغْضَبْ لزُرْعَةَ، إنَّ الفضلَ مَحْسُوبُ[2]

(١) عرقوب: فرس زيد الفوارس بن حصين بن ضرار. كان التنازع بينهم في رهان وقع على هذا الفرس. يقول: لا يكونن شؤم هذا الفرس عليكم كشؤم داحس على غطفان. يشير إلى الحرب التي وقعت بين عبس وذبيان بسبب سباق داحس والغبراء.

(٢) المعنى: أن تدع زيد قومها لأمر تغضب له أجبنا نحن لقومنا وغضبنا لهم، فإنا أكثر منكم عدداً.

— ٨٧ —

وقال عَبد قَيس بن خُفَافٍ(١)

من بني عمرو بن حنظلة، من البراجِم قوم من تميم

أَجُبَيــلُ إنَّ أبــاكَ كــارِبُ يــومِــهِ ... فـإذا دُعيـتَ إلـى العظـائـم فـاعجَل(٢)

أُوصيـكَ إيصـاءَ امـرىءٍ لـك نـاصـحٍ ... طبِـنٍ بـرَيـبِ الـدَّهـرِ غيـرِ مُغَفَّـلِ(٣)

اللَّـــهَ فـــاتَّقِـــهِ وأوفِ بنـــذرهِ ... وإذا حَلفــتَ ممــاريــاً فتحَلَّــلِ(٤)

والضَّيــفَ أكْــرمْــهُ فــإنَّ مَبيتَــه ... حَــقٌّ، ولا تَــكُ لُعْنَــةً لِلنُّــزَّلِ(٥)

واعلــمْ بــأنَّ الضيــفَ يُخبِـر أهلَـه ... بمَبيــتِ ليلتِــه وإن لــم يُسْــأَلِ(٦)

---

(١) عبد قيس بن خفاف أبو جبيل البرجمي من بني عمرو بن حنظلة: شاعر تميمي جاهلي فحل، من شعراء المفضليات. من البراجم وهم بطون من أولاد حنظلة بن مالك من تميم.

من شعر عبد قيس المتداول قوله من أبيات لولده جبيل:

احــذر محــل الســوء لا تنــزل بــه ... وإذا نبــابــك منــزل فتحــول

وذكروا أنه حمل دماً عن قومه فأسلموه فيها وأنه أتى حاتماً الطائي ومدحه فحملها عنه.

مضمون الأبيات: القصيدة تعلم مكارم الأخلاق التي يرغب العربي بالتحلي بها. فهي من أولها إلى آخر سياسة رسمها الشاعر لولده جبيل فكأنه يريد من ابنه اتباع ما ورد فيها من معان سامية وأخلاق فاضلة في سلوكه في هذه الحياة.

(٢) جبيل: ابنه. كارب: قرب ودنا. يومه: هنا بمعنى يوم وفاته وكارب يومه: دنا أجله.

(٣) طبن: فطن، حاذق. ريب الدهر: مصائب الدهر.

(٤) مماريا: مجادلاً. تحلل: قل إن شاء الله.

(٥) لعنة: يلعنه الناس كثيراً.

(٦) المعنى: يريد أن الضيف يتحدث عن معاملة المضيف له حتى وإن لم يسأل عن ذلك.

وذَعِ القــوارصَ للصَّــديــقِ وغيــره ... كــيْ لا يَـرَوْكَ مـن اللِّئـام العُـزَّلِ[١]
وصِـلِ المُـواصِـلُ مـا صَفَـا لـك وُدُّهُ ... واجـذُذْ حِبـالَ الخـائِـنِ المُتَبَـدِّلِ[٢]
واتــركْ مَحَـلَّ السَّــوءِ لا تنــزِلْ بــه ... وإذا نبــا بــك منــزلٌ فتحـــوَّلِ[٣]
دَارُ الهـــوانِ لمــــن رآهــــا دارَه ... أَفَـراحِـلٌ عنهـا كمـن لـم يَـرْحَـلِ[٤]
واستَغْــنِ مــا أغنــاك ربُّـكَ بــالغِنَــى ... وإذا تُصِبْـكَ خَصـاصـةٌ فتجَمَّـلِ[٥]
وإذا تَشَــاجَــرَ فــي فــؤادِكَ مَــرَّةً ... أمـرانِ فـاعمِـدْ لـلأعـفِّ الأجْمَـلِ[٦]
وإذا هَمَمْــتَ بــأَمــرِ شَــرٍّ فــاتَّئِــدْ ... وإذا هَمَمتَ بـأمـر خيـرٍ فـاعْجَـلِ[٧]
وإذا أتتْــكَ مــن العَــدوِّ قَــوَارِصٌ ... فاقرُصْ كذاكَ ولا تَقُلْ لم أفْعَلِ[٨]
وإذا افتقــرتَ فــلا تكــنْ مُتَخَشِّعــاً ... تَرْجُو الفواضِلَ عند غير المُفْضِلِ[٩]
وإذا لِقِيــتَ القــومَ فــاضــربْ فيهــمُ ... حتَّـى يَـروْكَ طِـلاَءَ أجـربَ مُهْمَـلِ[١٠]
وإذا لقيــتَ البــاهِشِيــنَ إلــى النَّــدَى ... غُبْــراً أكُفُّهُــمُ بقــاعٍ مُمْحِــلِ.[١١]

---

(١) القوارص: الكلام القبيح. العزل: جمع عازل من اعتزل الناس.
(٢) صل: من الوصل والوصال. اجذذ: اقطع.
(٣) نبابه منزله: لم يوافقه. تحول: ابتعد.
(٤) الهوان: الذل. يريد شتان بين من يرضى الإقامة في دار الـذل ومن يرحل عنها.
(٥) الخصاصة: الفقر والحاجة. التجمل: التجلد وتكلف الصبر.
(٦) المعنى: إذا تنازعك أمران فاختر أكثرهما عفة وجمالاً.
(٧) اتئد: تروى. المعنى: فكر قبل الإقدام على عمل الشر ولا تتردد في القيام بعمل الخير.
(٨) القوارص: الكلام القبيح.
(٩) المعنى: إذا افتقرت لا تذل نفسك أمام غير الفضلاء ترجو عطاءهم ونوالهم.
(١٠) المعنى: كن شجاعاً في الحرب حتى يتقيك الأعداء ويتحاموك كما يتحامى البعير الأجرب وطلاءه.
(١١) الباهش: الفرح. يريد الذين يأتونه يلتمسون جداه ونائله. غبر: من الغبار. ممحل: مجدب. الندى: العطاء.

فــأَعِنْهــمُ وايْسِـــرْ بمــا يَسَـــرُوا بـــه   وإذا [هُــمُ] نـزلـوا بضَنْـكٍ فـانْـزل[1]

(١) أعنهم: ساعدهم. أيسر بما يسروا به: أسرع إلى إجابتهم. الضنك: الضيق. أي آسهم في ضيقهم.

— ٨٨ —

وقال أيضاً

صَحَـــوْتُ وزايَلَنـــي بَـــاطِلـــي ... لعَمْـــرُ أبيـــكَ زِيَـــالاً طَـــويـــلاَ[1]
وأصبحـــتُ لا نَـــزِقـــاً لِلِّحَـــاءِ ... ولا لِلُحـــومِ صَـــدِيقِـــي أَكُـــولا[2]
ولا ســـابِقِـــي كـــاشِـــحٌ نـــازحٌ ... بـــذَحْـــلٍ إذَا مـــا طلبـــتُ الـــذُّحُـــولاَ[3]
وأصبحـــتُ أعـــددتُ للنَّـــائِبـــا ... تِ عِـــرْضـــاً بـــريئـــاً وعَضْبـــاً صَقِيـــلاَ[4]
ووَقْـــعَ لِســـانٍ كحَـــدِّ السِّنـــانِ ... ورُمْحـــاً طَـــويـــلَ القنـــاةِ عَسُـــولاَ[5]
وســـابِغَـــةً مـــن جيـــادِ الـــدُّرُو ... عِ تَسْمَـــعُ للسَّيـــفِ فيهـــا صَلِيـــلاَ[6]
كمـــاءِ الغـــدِيـــرِ زَفَتْـــه الـــدَّبُـــورُ ... يَجُـــرُّ المُـــدَجَّـــجُ منهـــا فُضُـــولاَ[7]

مضمون الأبيات: يصور لنا الشاعر في هذه الأبيات بعض ما يجعله لنفسه من الفضائل. فهو قد زايل الباطل، يحاول الابتعاد عن الخصومة والحفاظ على الصديق. حازم لا يترك الثأر. يعتز ببراءة عرضه، يراها هي وفصاحة اللسان عدة للنائبات، عدة معنوية قرنها بأخرى مادية هي السيف والرمح والدرع.

(١) زايله: فارقه. باطله: لهوه ولعبه.

(٢) النزق: الخفيف: الطائش. لاحاه لحاء وملاحاة: تخاصما واشتد ذلك منهما. أكول: يريد أنه لا يغتاب صديقه.

(٣) الكاشح: المعرض عنك من العداوة ولا يستقبلك بوجهه إنما يوليك كشحه والكشح الخاصرة وما حولها. الذحل: الثأر.

(٤) العضب: السيف القاطع.

(٥) الرمح العسول: المضطرب للينه.

(٦) السابغة: الدرع الطويلة. الصليل: صوت وقع السيوف.

(٧) أراد أن هذه الدرع في صفائها مثل ماء الغدير الذي تصفقه الرياح. الدبور: ريح تهب من الغرب تقابل الصبا، وخصها لأنها شديدة المر تكدر الماء. وَزَفْيها الماء: أن تطرده وتدفعه. المدجج: اللابس السلاح التام، يريد أنها سابغة تفضل عن أطرافه.

وقال أَوسُ بن غَلّفاءَ الهُجَيْمِيّ(١)
يهجو يزيدَ بنَ الصَّعِق الكلابيّ

جَلبنــا الخيــلَ مــن جَنْبَــيْ أَرِيــكٍ إلـى أجَـأٍ إلـى ضِلَـعِ الـرِّجَـامِ(٢)

بكـــلِّ مُنَفِّـــقِ الجِــرذانِ مَجْـــرٍ شـديـدِ الأَسْـرِ لـلأعـداءِ حَـامِ(٣)

أصبْنـــا مَـــن أصبْنـــا ثـــم فِئْنـــا علـى أهـل الشُّـرَيْـف إلـى شَمَـامِ(٤)

وجَــدنــا مَــن يقــودُ يــزيــدُ منهــم ضِعــافَ الأَمْــر غيــرَ ذوِي نظــامِ(٥)

فــأَجْــرِ يــزيــدُ مَــذْمــومــاً أو انْــزِعْ علـى عَلْـبٍ بـأنفِـكَ كـالْخِطـامِ(٦)

---

(١) أوس بن غلفاء الهجيمي التميمي. من شعراء المفضليات. عده ابن سلام الجمحي في الطبقة الثامنة من فحول الجاهلية.

مضمون الأبيات: قال أوس هذه القصيدة يشير إلى وقعة جرت بين قومه وأعدائهم ويرد على شاعر هجا قومه. يصف جيش عشيرته العظيم، ويتحدث عن المواضع التي سلكها هذا الجيش. ويتهكم بابن الصعق (الشاعر الذي هجا قومه) ويصفه بالضعة والحمق، ويذكره بما أصاب قومه من هزيمة ويعيره بقصودهم عن الثأر وغدرهم بجيرانهم.

(٢) أريك وأجأ وضلع الرجام: مواضع.

(٣) منفق الجرذان: يخرجها من النافقاء وهو الجحر. يصف جيشاً عظيماً وذلك أن الجرذان تسمع وقع الخيل على الأرض فتظنه السيل فتخرج هوارب منه. المجر: الجيش العظيم لا يتبين حركته إذا سار. الأسر: الشد.

(٤) فئنا: رجعنا. الشريف وشمام: موضعان.

(٥) يزيد: هو ابن الصعق الكلابي.

(٦) العلب: أن تؤخذ حديدة أو نحوها فيقشر بها الأنف حتى يبدو العظم. يقول: أجر إلى عداوتنا أو اكفف على صغر مصلوب الأنف.

كـأنَّـك عَيْـرُ سَـالِئـةٍ ضـرُوطٌ ... كثيـرُ الجهـل شتَّـامُ الكـرامِ[١]
فـإنَّ النـاسَ قـد عَلِمـوك شيخـاً ... تَهـوَّكُ غيـرَ شَتـمٍ أو خِصـامِ[٢]
وإنـك فـي هجـاءِ بنـي تميـمٍ ... كمُـزدادِ الغـرامِ إلـى الغـرَامِ[٣]
هُـمُ مَنُّـوا عليـكَ فلـم تُثِبهُـم ... فَتيـلاً غيـرَ شتـمٍ أو خِصَـامِ[٤]
وهُـمْ تـركـوك أسْلَـحَ مـن حُبَـارَى ... رأتْ صَقْـراً وأشْـردَ مـن نعـامِ[٥]
وهـمْ ضـربُـوكَ ذاتَ الـرأس حتَّـى ... بَـدَتْ أُمُّ الـدِّمـاغِ مـن العِظـامِ[٦]
إذا يـأْسـونهـا نَشَـرَتْ عليهـم ... شَـرنْبثـةَ الأصـابـعِ أُمَّ هـامِ[٧]
فمَـنَّ عليـك أنَّ الجِلْـدَ وارَى ... غثِيثَتَهـا وإحـرامُ الطَّعـامِ[٨]
وهـمْ أدَّوا إليـك بنِـي عَـدِيٍّ ... بـأَفْـوَقَ نـاصـلٍ وبشـرٍّ ذامِ[٩]
وحَيَّـيْ جَعفـرٍ والحـيَّ كعبـاً ... وحَـيَّ بَنِـي الـوحيـدِ بـلا سَـوَامِ[١٠]

---

(١) السالئة المرأة التي تسلأ السمن وسلأ السمن: طبخه. والعير: الحمار، السيد.

(٢) التهوك: التحير والتردد.

(٣) الغرام: الشر الدائم.

(٤) تشب: تكافىء، تجزي. تُثبهم فتيلاً: تفدهم. والفتيل السحاة في شق النواة. وما أغنى عنه فتيلاً أي ما أغنى عنه مقدار تلك السحاة التي في شق النواة.

(٥) الحبارى: طير بري يدعى دجاجة الأرض يسلح حين الخوف.

(٦) ضربه ذات الرأس: أصاب أم رأسه. أم الدماغ: الجلدة التي تحيط بالدماغ وتجمعه.

(٧) يأسونها: يعالجونها. شرنبثة: غليظة. الهام: الطائر الذي يزعمون خروجه من رأس القتيل. يقول: كأنما تطلع عليهم من الشجة هامة عظيمة غليظة الأصابع يهول منظرها. وجعلها أم هام تهويلاً لكبرها.

(٨) غثيثتها: ما فسد منها. إحرام الطعام: منعه من شرب الماء، وكانوا يمنعون من به جرح وترجى حياته أن يشرب الماء لئلا تنتفض جراحه فيموت.

(٩) بنو عداء: من بني أسد. الأفوق: سهم ذهب فوقه وهو موضع الوتر من السهم. الناصل: الذي ذهب نصله. الذام: الذم.

(١٠) السوام: الإبل الراعية.

فـــإنَّـــا لـــم يكـــن ضَبَّـــاءُ فينـــا ... ولا ثَقْــفٌ ولا ابــنُ أبــي عِصَــامِ[1]

ولا فَضْـــحُ الفُضُـــوحِ ولا شُيَيْـــمٌ ... ولا سُلمــاكُــمُ صَمِّــي صَمَــامِ[2]

قتلتـــمْ جـــارَكـــمْ وقـــذفتمـــوهُ ... بـــأُمِّكُــمُ فمــا ذنْــبُ الغُــلاَمِ[3]

أَلاَ مَـــنْ مُبلِـــغُ الجَـــرْمِّـــي عَنِّـــي ... وَخيــرُ القــول صــادقــةُ الكِــلامِ[4]

وهـــلاَّ إذْ رأيـــتَ أبـــا مُعَـــاذٍ ... وعُلْبَــةَ كنــتَ فيهــا ذا انتقــامِ[5]

رآه مُجـــامِـــعَ الـــوَرِكيْـــنِ منهـــا ... مكــان السَّــرْجِ أُثْبِــتَ بــالْحِــزامِ[6]

---

(١) ضباء: رجل من بني أسد كان جارا لبني جعفر، فقتله بنو أبي بكر بن كلاب غدراً فلم يدرك بنو جعفر بثأره ولم يدوا ديته. المعنى: يتهكم بهؤلاء أي لست من هؤلاء الذين غدر بهم فذهبت دماؤهم هدراً.

(٢) فضح الفضوح وشييم... أعلام رجال. ويقال للداهية صمي صمام.

(٣) المعنى: يعيرهم بالغدر بجارهم.

(٤) يريد من يخبر الجرمي بمقالتي الصادقة.

(٥) المعنى: ألا تنتقم لأبي معاذ وعلبة.

(٦) مجامع الوركين: يشير بهما إلى عجز الفرس، والمعنى: أسره ثم ارتدفه أي أركبه خلفه.

— ٩٠ —

قال عليُّ بن سليمان: حدثنا أبو العبّاس محمد بن يزيد، أنَّ الأصمعي أنشد أصحابه أرجوزةً لرجل من بني تميم يقال له (صُحَيْر بن عُمَير)[١] يعني هذه الأُرجوزة:

تهـــزأُ منِّـــي أُخْـــتُ آلِ طَيْسَلَـــهْ[١]
قـــالـــت أراه مُمْلِقـــاً لا شَـــيْءَ لَـــهْ[٣]
وهـــزِئَـــتْ مِنِّـــيَ بنـــتُ مَـــوْءَلَـــهْ[٤]
قـــالـــت: أراه دَالِفـــاً قـــد دُنْـــيَ لَـــهْ[٥]
وأنـــتِ لا جُنِّبْـــتِ تبـــريـــحَ الـــوَلَـــهْ[٦]

---

(١) لم نعثر له على ترجمة.

مضمون الأبيات: هذه الأرجوزة الطريفة غريبة النهج في الشعر العربي، إذ تجدها موحدة الغرض، فليست هي إلا حواراً بين الراجز وامرأة ـ لعلها زوجه ـ عابت عليه فقره وشيخوخته، فأجابها مصوراً حالها السالف والباقي، وحاله السالف والباقي أيضاً، وهجاها في ذلك هجاء شديداً، وفخر بنفسه فخراً عريضاً.

(٢) طيسلة: اسم، الراجح أنه اسم قبيلة.

(٣) مملق: فقير، معدم.

(٤) هزئت: سخرت.

(٥) في صلب ش «قال الأصمعي: إذا قصر خطوه وضعف فقد دلف. ودنى له: قصر الرداء إذا قصر».

(٦) تبريح: معاناة. الوله: شدة الحب.

مــزؤُودةً أو فــاقــداً أو مُثكَلَــهْ[1]

ألسْــتِ أيّــامَ حَلَلنـــا الأعْـــزلَــهْ[2]

وقَبْــلُ إذْ نحــنُ علــى الضُّلَضِلَــهْ[3]

[وقبلهـــا عـــامَ ارْتبَعْنَـــا الجُعَلَـــهْ][4]

مثـــلَ الأتـــان نَصَفـــاً جَنَعــدلَــهْ[5]

وأنـــا فـــي ضُـــرَّابِ قِيــلاَن القُلَــهْ[6]

أبقَــى الــزَّمـانُ منـكِ نَـابـاً نَهْبَلَـهْ[7]

ورَحِمـــاً عنـــد اللِّقـــاح مُقْفلَـــهْ[8]

ومُضغـــةً بـــاللُّـــؤْمِ سَمّـــاً مَبْهَلَـــهْ[9]

إمّـــا تـــرَيْنـــي للـــوَقـــارِ والعَلَـــهْ[10]

قـاربـتُ أَمْشِـي الفَنْجَلَـى والقَعْـوَلَـهْ[11]

وتـــارةً أَنْبِـــثُ نبثـــاً نَقْثَلَـــهْ[12]

---

(١) مزؤودة، أي مذعورة. مثكلة: التي تفقد ولدها.

(٢) الأعزلة: موضع، قال ياقوت: وادٍ لبني العنبر بن عمرو بن تميم.

(٣) الضلضلة: موضع. ط «المضلضلة».

(٤) الجعلة: أرض لبني عامر بن صعصعة.

(٥) أي ألست مثل الأتان. والأتان صخرة في الماء، فهو أصلب لها. والجنعدلة: الصخرة الصلبة. النصف قد بلغت خمساً وأربعين.

(٦) القيلان: جمع قال، كنار ونيران. والقال والمقلى: العود الذي تضرب به القلة، والقلة: عود قدر شبر محدد الطرفين تلعب به الصبيان.

(٧) الناب: الكبيرة. والنهبلة: الهرمة.

(٨) المعنى: رحمها مقفل وقت اللقاح فهي غير قادرة على الإنجاب.

(٩) مبهلة: مهملة.

(١٠) العلة: الجزع.

(١١) الفنجلى والقعولة: من مشي الكبير.

(١٢) النبث: استثارة التراب. النقثلة: مشية الشيخ يثير التراب إذا مشى.

خَـــزْعلـــةَ الضِّبعـــانِ راحَ الهَنْبَلـــهْ[1]
وهـــل علمـــتِ فُحَشـــاءَ جَهَلـــهْ[2]
مَمغـــوثـــةً أعـــراضُهـــمْ مُمـــرطَلَـــهْ[3]
مـــن كـــلِّ مـــاءٍ آجِـــنٍ وسَمَلـــهْ[4]
كمـــا تُمـــاثُ فـــي الهِنـــاءِ الثَّمَلـــهْ[5]
عَـــرضْـــتُ مـــن جَفيلِهـــم أن أجْفِلَـــه[6]
وهـــل عَلمـــتِ يـــا قُفَـــيَّ التَّتْفُلـــهْ[7]
ومَـــرْسِـــنَ العِجـــلِ وســـاقَ الْحَجَلَـــهْ[8]
وغَضَـــنَ الضَّـــبِّ ولِيـــطَ الجُعَلَـــهْ[9]
وكشَّـــةَ الأفعـــى ونفْـــخَ الأصَلَـــهْ[10]
أنِّـــي أُفيـــتُ المِـــائـــةَ المـــؤَبَّلَـــهْ[11]
ثـــم أُفـــيءُ بعـــدهـــا مُستقبَلـــهْ[12]
ولـــم أُضِـــعْ مـــا ينبغـــي أن أفعَلـــهْ[13]

(١) الخزعلة: الظلع والعرج. والضبعان: الذكر من الضباع. الهنبلة: الضبع العرجاء.
(٢) فحشاء: جمع فاحش، كجاهل وجهلاء.
(٣) الممغوث: الملطخ. والممرطل مثله.
(٤) آجن: آسن. السملة: الماء القليل.
(٥) الثملة: الخرقة يهنأ بها البعير والهناء الطلاء. تماث: تمرس.
(٦) الجفيل: الجمع.
(٧) التتفلة: الأنثى من الثعالب.
(٨) المرسن: أنف العجل.
(٩) والغضن: تكسر الجلد. والليط: اللون والقشر. الجعلة: نوع من الحشرات.
(١٠) كشة الأفعى: صوت جلدها. الأصلة: الحية.
(١١) أفيت: أنحر. المؤبلة: الكثيرة، وقيل هي المتخذة للقنية.
(١٢) أفيء: أهب.
(١٣) أضع: أقصِّر.

وأفْعـلُ العــارفَ قبـلَ المســألــهْ[1]
وهــل أكُــبُّ البـائـكَ المحفَّلــهْ[2]
وأُنتِــجُ العَيــرانــةَ السَّبَحْلَلــهْ[3]
وأطعــنُ السَّحســاحــةَ المُشلشِلــهْ[4]
علــى غِشــاشٍ دَهَــشٍ وعجَلــهْ[5]
إذا أطــاشَ الطَّعــنُ أيــدِي البَعَلــهْ[6]
وصــدَّق الفِيــلُ الجَبــانُ وَهَلــهْ[7]
أقصَــدْتُهــا فلــم أُجِــرْهــا أَنْمُلــهْ[8]
مــن حيــثُ يمَّمــتُ سَــواءَ المَقتَلــهْ[9]
وأطعــنُ الخــذْبــاءَ ذات الــرَّعَلــهْ[10]
تــرُدُّ فــي وَجــهِ الطَّبيــبِ فُتُلَــهْ[11]
وهــل علِمْــتِ بَيْتَنــا إلاَّ وَلَــهْ[12]
شَــرَبَــةٌ مــن غيــرنــا أو أكَلَــهْ[13]

(١) العارف: المعروف.
(٢) البائك: السمينة العظيمة السنام. المحفلة: الناقة لا يحلبها صاحبها أياماً حتى يجتمع لبنها في ضرعها.
(٣) العيرانة: التي تشبه بالعير في صلابتها. السبحللة: العظيمة.
(٤) السحساحة: السيالة، مثل المشلشلة.
(٥) الغشاش: الدهش أيضاً.
(٦) يقال: بعل بالأمر، إذا لم يدر كيف يصنع فيه.
(٧) الفيل أراد الفيل الرأي، وهو المخطىء. والوهل: الفزع.
(٨) أجرها: أحميها. (٩) السواء: الوسط.
(١٠) الخدباء: الضربة التي تهجم على الجوف، وأصل الخدب الهوج. والرعلة: القطعة تبقى من اللحم معلقة.
(١١) الفتل: جمع فتيل. (١٢) إلا وله: إلا وفيه.
(١٣) شربة وأكلة: جمع شارب وآكل. والمراد الضيوف.

— ٩١ —

وقال سَوَّارُ بنُ المُضَرَّب(١)

أَلَــم تَــرَنِــي وإنْ أَنبــأْتُ أَنِّــي ... طَوَيْتُ الكَشْحَ عَن طَلَبِ الغوَانِي(٢)

أُحِــبُّ عُمَــانَ مــن حُبِّــي سُلَيْمَــى ... ومــا طِبِّــي بحُــبِّ قُــرى عُمَــانِ(٣)

---

(١) هو سوار بن المضرب السعدي، سعد بني تميم، وقيل سعد بني كلاب. وهو شاعر إسلامي ذكر المبرد أنه هرب من الحجاج وقال:

أقــاتلــي الحجــاج إن لــم أزر لــه ... دراب وأتــرك عنــد هنــد فــؤاديــا

والمضرب بتشديد الراء المفتوحة. ذكر التبريزي في شرح الحماسة أنه سمى بذلك لأنه شبب بامرأة فحلف أخوها ليضربنه بالسيف مائة ضربة، فضربه فغشي عليه، فسمى مضرباً لذلك.

مضمون الأبيات: يبدو أنه قال تلك القصيدة بعد هربه من الحجاج حيث يشير فيها إلى أنه طريد.

وهو لا يزال يعاوده الصبا فيحن إلى معاهد الحبيبة وقد ملأت عليه خياله مقترنة بتلك الأيام الخوالي، وطيفها يزوره في ذلك المزار البعيد. وهو في طريقه إلى ذلك المهرب ظل يجتاز البلاد الموحشة في سرعة ظاهرة، على تلك الناقة التي نعتها، وطلبه لا يزال معلقاً بسلمى التي تزيد بلادها منه بعــداً، فقد صار اليوم إذا حدثته نفسه بالعودة إليها تخيل مشاق الطريق ومخاوفه وما تتعرض الإبل له من جهد وإعنات. ثم يعود به الحنين إلى سلمى فيذكر جمالها وطراءتها، ويهيجه في ذلك بكاء الحمام، ثم يذكر أن الذي قدم لذلك البين ما كان من ذينك الطائرين قد صاحا، أما أحدهما فعلى فرع من الغرب، وأما الآخر فعلى البان، فاشتق من ذلك ما تشاءم به، فكان البين وكانت الغربة. ثم طلب إلى سلمى أن تسأل عنه أشراف القوم ليخبروها بما لا يزال عليه من الحفاظ والنخوة، وكثرة الجنايات.

(٢) أنبأت: أخبرت. الغواني: النساء. طويت الكشح: هنا بمعنى انصرفت.

(٣) يقال: ما ذاك بطبي، بكسر الطاء، أي ما هو من عادتي وشأني.

عَـلاقَـةَ عـاشـقٍ وهَـوًى مُتـاحـاً فمـا أنـا والهـوَى مُتـدانِيَـانِ[1]
تَـذَكَّـرُ مـا تَـذَكَّـر مـن سُلَيْمَـى ولكـنَّ المَـزارَ بهـا نـآنـي[2]
فـلا أنْسَـى ليـالـيَ بـالكَلَنْـدَى فَنِيـنَ وكـلُّ هـذا العيشِ فـانِ[3]
ويـومـاً بـالمجَـازة يـوم صِـدْقٍ ويـومـاً بيـن ضَنْـكَ وصَـوْمَحـان[4]
ألا يـا سَلْـمَ سَيِّـدةَ الغـوَانِـي أمَـا يُفْـدَى بـأرضـكِ تلـكِ عَـانِ[5]
ومـا عـانِيـكِ يـا ابنـةَ آل قَيْـسٍ بمَفْحُـوشٍ عليـه ولا مُهَـانِ[6]
أَمِـنْ أهْـلِ النَّقَـا طَـرَقَـتْ سُلَيْمـى طـريـداً بيـن شُنظُـبَ والثَّمـانِ[7]
سَـرَى مـن ليلـهِ حتـى إذَا مـا تـدَلَّـى النَّجـمُ كـالأُدْمِ الهِجَـانِ[8]
رَمَـى بلـدٌ بـه بَلـداً فـأضْحَـى بظَمْـأَى الـرِّيـحِ خـاشِعَـةِ القِنـانِ[9]
تمُـوتُ بنـاتُ نَيْسَبهـا ويَغْبَـى علـى رُكْبـانِهـا شَـرَكُ المِتَـانِ[10]
يُطـوِّي عنـد رُكْبَـةِ أرحَبـيٍّ بعيـدِ العَجْـبِ مـن طَـرَفِ الجِـرَانِ[11]

---

(١) متدانيان: مقتربان.
(٢) نآه: نأى عنه، بعد.
(٣) الكلندي: موضع. فان: زائل.
(٤) المجازة وضنك وصومحان: أسماء مواضع.
(٥) العاني: الأسير.
(٦) مفحوش: يقال فيه الفحش. مهان: مذل.
(٧) شنظب، بضم الشين والظاء: واد بنجد لبني تميم، والثماني: هضبات ثمان في أرض بني تميم.
(٨) الأدم: جمع آدم وأدماء، وهي الإبل أشرب بياضها سواداً. والهجان: البيض.
(٩) يريد بأرض ظمأى. والقنان: جمع قنة والقنة الجبل الصغير. كنى بالظمأ هنا عن الجفاف. والجدب. الخاشعة: اليابسة لم تمطر.
(١٠) بنات نيسبها: الطرق الصغار تتشعب من الطريق الأعظم. والمتان: جمع متن، للصلبة. الشرك: الطرق التي لا تخفى عليك ولا تستجمع لك، فأنت تراها وربما انقطعت، ولكنها لا تخفى عليك.
(١١) يطوي: يطول. أرحب: حي من همدان. العجب: أصل الذنب. الجران: باطن العنق.

مَطِيَّةِ خائفٍ ورجيعِ حَاجٍ شَموذِ الذَّيلِ مُنْطلقِ اللَّبَانِ[1]
قذيفِ تنائِفٍ غُبْرٍ وحَاجٍ تَقَحَّمَ خائفاً قُحَمَ الجَبانِ[2]
كأَنَّ يَديه حين يُقالُ سِيرُوا على مَتْنِ التَّنُوفَةِ غضْبَتانِ[3]
يقِيسانِ الفلاة كما تَغَالَى خلِيعَا غايَةٍ يَتبادَرانِ[4]
كأنَّهما إذا حُثَّ المَطايا يَدَا يَسَرِ المتَاحَةِ مُسْتعانِ[5]
سَبُوتَا الرَّجْعِ مائِرَتَا الأَعالِي إذا كلَّ المطيُّ سفيهتانِ[6]
وهادٍ شَعشَعٍ هَجَمت عليه تَوالٍ ما يُرَى فيها تَوَانِ[7]
أَعاذِلَتَيَّ في سَلْمَى دَعَانِي فإنِّي لا أُطاوعُ مَنْ نَهانِي[8]
ولو أنِّي أُطيعُكما بسَلْمَى لكنتُ كبعضِ مَن لا تُرشِدَانِ[9]
دَعَانِي مِن أذاتِكُما ولكنْ بذكْرِ المَذْحِجيَّةِ عَلِّلانِي[10]
فإنَّ هَوَايَ ما علِمتْ سُليمى يَمانٍ إنَّ مَنزلَها يَمانِ[11]

---

(١) يقال رجيع سفر، إذا كان قد سوفر عليه. وقيل الرجيع من الإبل: ما رجعته من سفر إلى سفر. والحاج: حاجة. والشموذ: وصف من شمذت الناقة، إذا رفعت ذيلها. اللبان: الصدر.

(٢) تقحم: ركب الشدائد. التنائف جمع تنوفة: وهي القفر من الأرض.

(٣) غضبتان، الغضبة: ما غلظ من الصخر.

(٤) تغالي، من المغالاة وهي المراماة لينظر أيهما أبعد غلوة. وقد جعل المغالاة هنا لسباق الخيل. الغاية: الهدف. يتبادران: يتسابقان.

(٥) يسر المتاحة: سبلها. والمتاحة: الاستقاء على البكرة. مستعان: استعين، فهو أسرع له.

(٦) السبوت: التي تسرع في سيرها. والرجع: رد الدابة يديها في السير. مار: اضطرب وتحرك. السفيهة: الخفيفة. كل: تعب.

(٧) الهادي: العنق. والشعشع: الطويل. التوالي: الأعجاز يقال في مثل: «ليس توالي الخيل كالهوادي». والهوادي: أوائل الخيل.

(٨) المعنى: يطلب من عاذلتيه تركه وشأنه لأنه لا يستمع إلى كلام من ينهاه.

(٩) المعنى: لو أطعتكما في سلمى لكنت أخطأت سبيل الرشد.

(١٠) المذحجية: سلمى. عللاني: منياني.

(١١) يمان: نسبة إلى اليمن.

تكِـلُّ الـرِّيـحُ دون بـلادِ سَلمـى وسِـرَّاتُ المنـوَّقـةِ الهجَـانِ[(١)]
بكـلِّ تَنـوفـة للـرِّيـحِ فيهـا حَفيـفٌ لا يَـروعُ التُّـرْبَ وَان[(٢)]
إذا مـا المسنفـاتُ عَلـوْنَ منهـا رَقـاقـاً أو سَمـاوَةَ صَحصَحـانِ[(٣)]
يَخِـدْن كـأنَّهـنَّ بكـلِّ خَـرْقٍ وإغسـاءَ الظَّـلام علـى رهـانِ[(٤)]
وإن غـوَّرْنَ هـاجـرةً بفَيْـفٍ كـأنَّ سَـرابَهـا قِطـعُ الـدُّخَـانِ[(٥)]
وضَعْـنَ بـه أجِنَّـةَ مُجْهِضَـاتٍ وُضِعـنَ لثـالـثٍ عَلقـاً وثـانِ[(٦)]
وليـلٍ فيـه تَحسَـبُ كـلَّ نَجْـم بـدَا لـك مـن خصـاصـةِ طَيلَسـانِ[(٧)]
نَعشْـتُ بـه أزِمَّـةَ طـاوِيـاتٍ نـواجٍ لا تبيـنُ علـى اكتنـانِ[(٨)]
تُثيـرُ عـوازبَ الكُـدْرِيِّ وَهْنـاً كـأنَّ فِـراخَهـا قُمْـرُ الأفـانـي[(٩)]
يطـأن خُـدودَه مُتشَمِّعـاتٍ علـى سُمْـرٍ تَفُـضُّ حَصَـى المتـانِ[(١٠)]
سَـرِيْـنَ جميعَـه حَتَّـى تـولَّـى كمـا انكَـبَّ المعبَّـدُ للجِـرانِ[(١١)]

(١) المنوقة : المذللة . يقال جمل منوق ، إذا ذلل حتى صار كالناقة .
(٢) التنوفة : الأرض القفر . وان : ضعيف .
(٣) المسنفات : المتقدمات في سيرها . الرقاق ، بالفتح : الأرض السهلة المنبسطة . الصحصحان : الأرض المستوية الواسعة .
(٤) يخدن ، من الوخد ، وهو ضرب من السير . أغسى الليل ، إذا أظلم .
(٥) التغوير : القيلولة ، يقال : غوروا ، أي أنزلوا للقائلة . الفيف : المفازة لا ماء فيها .
(٦) مجهضات : مسقطات . لثالث ، أي لشهر ثالث .
(٧) خصاصة : فرجة الطيلسان : ضرب من الأكسية .
(٨) طاويات : ضامرات يعني النوق . اكتنان : تستر .
(٩) العوازب : البعيدات . الكدرى : ضرب من القطا . وهناً : نحو نصف الليل . القمر : جمع أقمر وقمراء ، والقمرة : بياض فيه كدرة . والأفاني : جمع أفانية ، وهو ضرب من النبت .
(١٠) يعني خدود الليل . متشمعات : جادات . تفض الحصى : تفرقه . المتان : جمع متن وهو جلد الأرض .
(١١) المعبد : البعير المذلل ، أو الذي قد عم جلده كله بالقطران . والجران : باطن العنق . السري : السير ليلاً .

وشـقَّ الصُّبـحُ أُخْـرَى الليـل شَقًّـا — جمـاحَ أَغَـرَّ منقطِـعِ العِنـانِ(١)
ومـا سَلمَـى بسيِّئَـةِ المُحَيَّـا — ولا عَسْـراءَ عـاسيَـةِ البَنـانِ(٢)
ألاَ قـد هـاجَنـي فـازددْتُ شـوقـاً — بكـاءُ حَمـامتيـن تَجـاوَبـانِ(٣)
تَنـادَي الطـائـرانِ بِصُـرمِ سَلمـى — علـى غُصْنَيْـنِ مـن غَـرْبٍ وَبـانِ(٤)
فكـان البـانُ أنْ بـانـتْ سُلَيْمـى — وبـالْغَـرْبِ اغتـرابٌ غيـرُ دَانِ(٥)
ولـو سـألـتْ سَرَاةَ الْحَـيِّ عنِّـي — علـى أنِّـي تلـوَّنَ بـي زَمـانـي(٦)
لنبَّـأهـا ذَوُو أحسـابِ قَـوْمـي — وأعْـدائِـي فكـلٌّ قـد بَـلاَنـي(٧)
بـدَفْـعِ الـذَّمِّ عـن حَسَبـي بمـالـي — وزبُّـونـاتِ أَشْـوَسَ تَيَّحـانِ(٨)
وأنِّـي لا أزالُ أخـا حِفـاظِ — إذا لـم أجْـنِ كنـتُ مِجَـنَّ جـانِ(٩)

---

(١) أي يجمح مثل جناح الفرس الأغر. والجموح: الذي لا يمكن رده.

(٢) العسراء: التي تعمل بشمالها. العاسية: اليابسة.

(٣) هاجني: أثار شوقي. تجاوبان: تبكي الأولى فتجيبها الأخرى بالبكاء.

(٤) صرم: القطع وهنا بمعنى البعد. الغرب والبان: نبات.

(٥) بانت: بعدت. الداني: القريب. والاغتراب: الفراق والبعد.

(٦) سراة: أعيان. تلون: تغير وتبدل.

(٧) المعنى: خبرني قومي فعرفوا مني صلة الرحم ومواساة الفقير وحفظ الجوار، وكوني جلداً صابراً على محاربة أعدائي ومضطلعاً بنكايتهم. بلاني: جربني واختبرني.

(٨) الزبونة: الدفع والمنع، يقال إنه لذو زبونة. وقيل يعني بذلك أحسابه ومفاخره، أي تدفع غيرها. والأشوس: الرافع رأسه كبراً. والتيحان الذي لا يزال يقع في بلية.

(٩) المجن: الترس. أخا حفاظ: وفي.

ـ ٩٢ ـ

وقال المتَلمِّسُ(١)
يعاتب خالَه الحارثَ بن التوأم اليشكريَّ

تُعَيِّــرُنــي أُمِّــي رجــالٌ ولــن تَــرَى   أخَــا كــرَمٍ إلاَّ بــأن يتكــرَّمــا(٢)
ومـن يـكُ ذا عِـرْض كـريـمٍ فلـم يَصُـنْ   لــه حَسَبـاً كـان اللئيـمَ المُـذَمَّمـا(٣)

---

(١) هو جرير بن عبد المسيح، وقيل ابن عبد العزي (نحو ٥٠ ق.هـ/ ٥٦٩ م) من بني ضبيعة من ربيعة. ابن نزار وأخواله بنو يشكر من أهل البحرين. شاعر جاهلي وكان مع ابن أخته طرفة بن العبد ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة، ثم إنهما هجواه فلما شعر بهجوهما كره قتلهما عنده، فكتب لهما كتابين إلى عامل البحرين يأمره بقتلهما، فلما كانا ببعض الطريق عرفا ما في كتابيهما من بعض من يعرفون القراءة، أما طرفة فلم يعبأ بذلك ومضى إلى عامل البحرين فقتله. وأما المتلمس فقذف صحيفته في نهر الحيرة وهرب إلى بني جفنة ملوك الشام. وقالوا: سمي المتلمس لقوله في قصيدة:

فهــذا أوان العــرض جــن ذبــابــه   زنــــابيــــره والأزرق المتلمــــس

ومات ببصرى (من أعمال حوران في سورية). وفي الأمثال: أشأم من صحيفة المتلمس.

مضمون الأبيات: ذكروا من سبب هذه القصيدة أن المتلمس كان في أخواله بني يشكر، ويقال إنه ولد فيهم فمكث فيهم حتى كادوا يغلبون على نسبه، فسأل عمرو بن هند ملك الحيرة يوماً الحارث ابن التوأم اليشكري عن نسب المتلمس فقال: أواناً يزعم أنه من بني يشكر، وأواناً يزعم أنه من ضبيعة أضجم. فقال عمرو بن هند: ما أراه إلا كالساقط بين الفراشين! فبلغ ذلك المتلمس فقال هذه الكلمة.

(٢) يقال عيره الأمر وعيره به.

(٣) يصن: يحفظ. المذمم: المذموم.

وهـل لِـيَ أمٌّ غيرُهـا إن تـركتُها أبـى اللّـهُ إلاَّ أن أكـونَ لهـا ابْنمَـا[1]
أحـارثُ إنّـا لـو تُسَاطُ دِمـاؤُنـا تـزايَلْـنَ حَتّـى لا يَمَـسَّ دَمٌ دَمـا[2]
أمُنْتَفِـلاً مـن نَصْـر بُهْثـةَ خِلْتَنـي ألاَ إنَّنـي منهـم وإن كنـتُ أيْنمَـا[3]
ألاَ إنَّنـي منهـم وعـرضِـيَ عِـرضُهـمْ كذي الأَنْفِ يَحمِي أنفَه أن يُصَلَّما[4]
لِذِي الحلمِ قبل اليوم ما تُقْرَعُ العَصَا ومـا عُلِّـمَ الإنسـانُ إلاَّ لِيَعْلمـا[5]
فـإنَّ نِصـابـي إنْ سـألـتَ ومَنْصِبـي مـن النـاسِ قـومٌ يَقْتَنُـون المُـزَنَّمـا[6]
وكُنّـا إذا الجبّـارُ صَعَّـرَ خـدَّه أقَمْنـا لـه مـن مَيْلِـهِ فَتَقَـوَّمـا[7]
فلـو غَيـرُ أخْـوالـي أرادوا نَقيصتِـي جَعلتُ لهم فوقَ العَرانينِ ميسَما[8]
ومـا كنـتُ إلاَّ مثـلَ قـاطِـعِ كَفِّـه بكـفٍّ لـه أُخـرى فـأصْبحَ أجـذما[9]
فلمّـا استقـادَ الكـفَّ بـالكـفِّ لـم يجـدْ لـه دَرَكـاً فـي أنْ تَبينَـا فـأحْجَمـا[10]

---

(١) في اللسان: يقال: هذا ابنك، ويزاد فيه الميم فيقال هذا ابنمك.
(٢) تساط: تخلط. يزعمون أن دماء الأعداء تتمايز لا يختلط بعضها ببعض.
(٣) انتقل: انتفى وتبرأ وأنكر. وبهثة هو ابن ضبيعة بن ربيعة. خلتني: حسبتني.
(٤) يصلم: يستأصل. وهو كناية عن الذلة.
(٥) ذو الحلم: هو عمرو بن حممة الدوسي، قضى بين العرب ثلاثمائة سنة فيما زعموا، فكبر فألزموه السابع من ولده فكان معه، فكان الشيخ إذا غفل كانت آية ما بينه وبينه أن يقرع له العصا حتى يعاوده عقله. وقيل هو عامر بن الظرب، أو عبدالله بن عمرو بن الحارث بن همام، أو ربيعة بن مخاشن الملقب أيضاً بذي الأعواد، أو سعد بن مالك المعمر.
(٦) نصابي: أصلي. وفي شرح الديوان: المزنم من الإبل: الذي سمته التزنيم، وهو أن تقشر جلدة الأذن ثم تفتل فتبقى زنمة تنوس وتضطرب. وقيل المزنم من الإبل: الكريم الذي جعل له زنمة، علامة لكرمه.
(٧) الجبار: العاتي من الملوك. صعر خده: أماله كبراً.
(٨) العرنين: أول الأنف. الميسم: اسم للآلة التي يوسم بها، واسم لأثر الوسم أيضاً.
(٩) الأجذم: المقطوع إحدى يديه. يقول: لو هجوت قومي كنت كمن قطع يده بيده.
(١٠) المعنى: لما تبين لي عقم ما سأقدم عليه امتنعت عن ذلك.

فـأَطْـرقَ إطْـراقَ الشُّجَـاعِ ولـو يَـرى ... مسـاغـاً لِنـابَيْـهِ الشُّجَـاعُ لَصَمَّمـا[1]

إذا مـا أديـمُ القـوم أنهجَـهُ البلَـى ... تَفَـرَّى، ولـو كَتَّبْتَـه، وتخـرَّمـا[2]

إذا لـم يَـزَل حَبْـلُ القـرينيـنِ يَلْتـوِي ... فـلا بُـدَّ يـومـاً للقُـوَى أن تُجـذَّمـا[3]

وقـد كنـتُ أرجُـو أن أكـونَ لِخَلْفِكُـمْ ... زعيمـاً فمـا أُحْـرِزْتُ أن أتكلَّمـا[4]

لأُورِثَ بَعْـدِي سُنَّـةً يُهتـدَى بهـا ... وأجْلُـوَ عـن ذي شُبْهـةٍ أن يُفهَّمـا[5]

أرى عُصَمـاً فـي نَصْـرِ بُهْثَـةَ دائبـاً ... وتعـذُلُنِـي فـي نصـر زيـدٍ فبئـسَ مـا[6]

نجزت الأصمعيات
التي أخلَّت بها المفضليات
بحمد الله تعالى وحسن عونه

---

(١) الشجاع: الحية الذكر. وقيل هو ضرب من الحيات يساور الإنسان ويجري ولا يكاد يلحق. مساغ: مفعل من ساغ يسوغ، وأصل معناه سهولة مدخل الشراب في الحلق. صمم الحية في عضته: نيب فلم يرسل ما عض.

(٢) يقال أنهجه البلى، إذا أخلقه. تفري: تشقق. كتب الأديم: خرزه فضمه.

(٣) القوى: جمع قوة، وهو الواحدة من طاقات الخيل المفتول. والقرينان: الدابتان يجمعان في قرن واحد. وقيل القرينان: الصديقان. يلتوي: ينفتل.

(٤) الزعيم: السيد. خلفكم: عقبكم. ما أحرزت: ما منعني أحد من الكلام.

(٥) المعنى: لأجعل سلوكي سنة يهتدي بها وأفهم من لا يفهم.

(٦) عصم رجل من بني ضبيعة قال للمتلمس أنت من بني يشكر ولست منا. والمعنى ينتسب عصم إليهم وينفيني عنهم.

فهرس الشعراء والقصائد

فهرس المحتويات

خ

ش

ض

ف

ن

ى

٤ ـ فهرس الحروف التى لم تذكر فى المعاجم

٥ ـ فهرس الأوصاف

٦ – فهرس التشبيهات

٧ – فهرس الفخر

٨ – فهرس المعانى العامة

٨ — فهرس الأعلام*

* لم أدرج هنا أعلام شعراء الأصمعيات ، لإفرادها فيما قبل بفهرس خاص . وما ورد من الأسماء هنا وفى الفهرسين التاليين مسبوقاً بالرمز (ق) فهو مما ورد فى متن الكتاب لا فى نص الشعر . وانظر ما سبق من التنبيه فى أول الفهارس .

٩ – فهرس القبائل والطوائف ونحوها

١١ – فهرس البلدان والمواضع ونحوها

تعليقات إضافية

١ – ص ٢٣ البيت ١٢ من القصيدة ٢٣ : « قد نضحتُ بشُربة » كذا ضبطت الشين فى أصل الأصمعيات بالضم ، وهو كذلك ضبط القاموس عند الكلام على الشربة بالضم ، ونصه : « ومقدار الرىّ من الماء كالحُسوة » . لكن ضبط فى اللسان بفتح الشين ، ونصه : « والشَّربة من الماء : ما يُشرب مرةً . والشربة أيضًا : المرة الواحدة من الشرب » .

٢ – ص ٤٠ البيت ٨ من القصيدة ٩ :

أسيلٍ سَلجم المُقبَـ ـلِ لاشختٍ ولا جابِ

جاء فى تفسيره : « المقبَل ، أى عند إقباله ، وهو اسم هيئة كمدخل ومخرج » . ليس المراد منه الهيئة الصرفية الاصطلاحية ؛ فإن اسم الهيئة لا يأتى من غير الثلاثى إلاّ ما شذّ ، كالخِمرة من اختمر ، والعِمَّة من تعمَّم ، والنِّقبة من انتقب ، وإنما المراد الهيئة اللغوية ، إذ هو من الناحية الصرفية مصدر ميمى كما هو ظاهر .

٣ – ص ٤٤ البيت ٣ من القصيدة ١٠ « هامةٌ تحت صبَّر » ، توجيهه يكون بأن الميت قد صار تحت القبر . والرواية الأخرى « فوق صيِّر » توجيهها بأن الهامة تحوم فوق القبر .

٤ – ص ٥٨ البيت ٤ من القصيدة ١٤ :

ألفيتنى هشّ النـــدى بشريج قِدحى أو شَجيرى

يبدو أن هذه هى الرواية الأصيلة للبيت ، وهى التى أثبتها ابن قتيبة فى الميسر والقداح ٧٣ والمعانى الكبير ١١٦٦ . وفى هذا التعبير ما فيه من المجاز . ورواية اللسان (شجر) والحماسة ٥٢٦ بشرح المرزوقى : « هشّ اليدين بمرى قدحى أو شجيرى » .

٥ ــ ص ٦٢ « مالك بن حريم » جاء فى ترجمته « مالك بن حريم بن مالك بن حريم بن دألان » . كذا ورد بهذه الصورة فى سمط اللآلى ٧٤٩ . وورد فى جمهرة أنساب العرب ٣٩٥ بإسقاط « حريم » الثانية . وانظر ما كتبت فى حواشى شرح المرزوقى للحماسة ١١٧١ .

٦ ــ ص ٦٨ البيت ٢ من القصيدة ١٦ . شاهد اللسان الذى أشير إليه هو قول عبيد الله بن عتبة بن مسعود :

زعمت فإن تلحقْ فضِنٌ مبرِّز جوادٌ، وإن تُسبَقْ فنفسَكَ أعْوِلِ

٧ ــ ص ٦٩ البيت ٨ من القصيدة ١٦ « فانعق بشاتك » ، كذا وردت فى الأصل واضحة ، ولم نجد للبيت مرجعاً ، والوجه « فانعق بشاتك » بالجمع .

٨ ــ ص ٨٥ البيت ٦ من القصيدة ٢٣ « لا ينقص فقرى أمانتى » ، كذا وردت فى الأصل بالصاد المهملة ، والوجه « ينقض » بالضاد المعجمة كما فى طبقات الشعراء ٢٣٦ . وعند العينى ٤ : ٣٣٢ : « لا يفجع فقرى » .

٩ ــ ص ٩٤ أشرنا فى تخريج القصيدة ٢٥ إلى ترقيم القصيدة التى تليها بأن توضع أرقام مسلسلة إضافية إلى جانب الأرقام الأصيلة ، لتعذر ذلك فى النظام المطبعى . فالبيت الأول من القصيدة ٢٦ يشفع بالرقم الإضافى ٢٥ والثانى بالرقم ٢٦ وهكذا إلى نهاية القصيدة .

١٠ ــ ص ١٠٧ البيت ٥ من القصيدة ٢٨ « مدجَّج » رسمت فى الشنقيطية بشدة مجردة فوق الجيم. ومن المعروف أن تضبط « مدجّج » بكسر الجيم المشددة وفتحها .

١١ ــ ص ١٥٥ البيت ٩ من القصيدة ٣٥ « فلولا الريحُ . . » إلخ . وجه ضبطه :

فلولا الريحُ أُسمعَ أهلُ حَجْرٍ صَليلَ البَيْض يُقدَعُ بالذكورِ

١٢ ــ ص ١٥٦ القصيدة ٥٤ كذا وردت القصيدة مطلقة بكسر الروى

والوجه أن تكون مقيدة بالسكون ليستقيم إعراب قوافيها . وفى البيت الخامس من القصيدة ضُبطت « عَرض » بفتح العين ، وصوابها « عُرض » بضم العين كما فى الشنقيطية .

١٣ – ص ٢٢٣ البيت ١٨ من القصيدة ٨٣ جاء فى شرحه نقلاً عن الشنقيطية : « ومسيب : نبت ». وكذا هو فى الأصل . ولعل صوابه « ومسيّب : سُيَّب » .

١٤ – ص ٢٢٧ البيت ١٨ من القصيدة « راد وسادُها » فى حواشى الشنقيطية « راد وسادها : خلى وسادها » . وهذا النص مطابق للأصل ، لكن جاء فى اللسان (رود) عند إنشاد البيت : « ورجل رائد الوساد ، إذا لم يطمئن عليه ، لهم أقلقه » .

١٥ – ص ٢٤١ البيت ١٥ من القصيدة ٩١ « قذيف تنائف غبر وحاجِ » كذا وردت « وحاج » فى الأصل ، ولعله « وَجاح» بتقديم الجيم . وجاء فى اللسان أن « الوَجاح » : الصَّفا الأملس .

مصر الجديدة	٧ ذى القعدة سنة ١٣٨٣	
فى صباح السبت	٢١ مارس سنة ١٩٦٤	

عبد السلام محمد هارون

وكان تمام مراجعة هذه الطبعة الثالثة فى :

مصر الجديدة	١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٨٧	
فى مساء الاثنين	١٧ يوليو سنة ١٩٦٧	

عبد السلام محمد هارون

محتويات الكتاب